نسخة معدلة قابلة للطباعة

هدية مقدمة من قبل Bassim KH للاخ علي عمر بدوي

حبا ووفاءا

دكتور

محمود سعيد عمران

ستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

ميد كلية الآداب جامعة بيروت العربية سابقا

ائز على جائزة التميز العلمى لجامعة الإسكندرية

منهج البحث التاريخى ومصادر العصور الوسطى

دار المعرفة الجامعية

٢٠٠٦

الفصل الأول
منهج البحث التاريخى

مقدمة

١- مدخل إلى البحث العلمى التاريخى

- مفهوم التاريخ
- الصفات الواجب توافرها فى المؤرخ
- العلم والفن فى التاريخ

٢- المراحل الأولى للبحث التاريخى (العلوم المساعدة)

اللغات

علم المكتبات (البيلوجرافيا)

الأختام

الرنوك

الاقتصاد

النقود والمسكوكات

الفنون (الآداب - النحت - التصوير)

العمارة والترحال والجغرافيا

الحاسب الآلى

عوامل نجاح الرسالة

٣- جمع المادة التاريخية

- تعريف المراجع
- تعريف المصادر
- المفهوم الفكرى لجمع المادة التاريخية
- كيفية جمع المادة التاريخية
- تحليل المادة التاريخية
- الحواشى
- الصور والرسومات والخرائط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لاحظت أن معظم طلاب مرحلة الليسانس أو مرحلة الدراسات العليا سواء لإعداد الماجستير أو الدكتوراه لا يدركون تماماً المنهج التاريخى الصحيح، لذلك تأتى أبحاثهم بنتائج غير كاملة ويعتريها الكثير من القصور، لذلك فكرت فى إعداد كتاب قدر استطاعتى وبعد خبرتى الطويلة فى العمل الجامعى ليكون مرشداً للطلاب.

والحقيقة أن هذا الكتاب لم يأت من فراغ فهو ناتج عن اتصالات عديدة مع أساتذتى أو زملائى أو طلابى فى مصر والعالم العربى حيث أعرت لجامعة بيروت العربية مرتان عملت فى الأخيرة منها عميداً لكلية الآداب بذات الجامعة، يضاف إلى ذلك المؤتمرات العديدة التى حضرتها فى مصر والعالم العربى وكذلك المؤتمرات الدولية التى حضرتها فى معظم بلاد أوربا ونشرت أبحاثى فى مجلدات هذه المؤتمرات فضلاً عن الاتصال المباشر مع معظم المتخصصين فى فروع العصور الوسطى المعروفين عالمياً ومنهم على سبيل المثال ستيفن رانسمان، ميشيل بالارد، جونثان رايلى سميث، فرانكو، بيتر إدبيورى، هانز ماير، مارجو جامعة بيزا، جارسيا فى أسبانيا، جيل كونستابل (دامبرتون أوك بيبر) وغيرهم الكثير.

وواقع الحال أن البحث العلمى هو القيمة المضافة للمادة، ومعنى ذلك، أن العالم الكيمائى مثلاً يأتى ببعض المواد الكيماوية ويضعها بنسب معينة فيكون الناتج دواء معين يشفى المريض. أو أن باحث فى العلوم الالكترونية يأتى ببعض المواد الخام من الحديد والنحاس والبلاستيك وغير ذلك ثم تكون النتيجة فى النهاية جهازاً محمولاً مثلاً، ومعنى ذلك أن المادة الخام المستخدمة فى جهاز المحمول لا يتعدى ثمنها عشرة أو عشرين جنيهاً، ولكن الجهاز فى

لا يوجد مصدر واحد يقدم كل الأحداث،
ولا يوجد مصدر واحد يقدم الحقيقة كلها،
وعلى المؤرخ البحث عن الحقيقة فى كافة
المصادر. إن البحث العلمى هو القيمة
الوصفية والفكرية والفلسفية المضافة إلى
المادة التاريخية.

دكتور محمود سعيد عمران

النهاية يساوي مئات القيمات، وبذلك تكون القيمة الفكرية التي وضعت في المادة الخام هي التي زادت من قيمة المادة الخام.

وما يتعلق بالبحث العلمي التاريخي فهو يساوي القيمة العلمية المضافة للمادة التاريخية الأصلية التي جمعها الباحث من بطون المصادر والبحث العلمي التاريخي لا يتوقف على المصادر فقط ولكن هناك عوامل أخرى يجب أن يتسلح بها الباحث التاريخي حتى يتمكن من الوصول إلى أفضل النتائج التي تعيش فترة مناسبة من الزمن، فلا يوجد في العلم شئ ثابت، فالتطور سنة البحث.

ومعنى القيمة المضافة أن على الباحث أن يجمع كل المصادر الخاصة بموضوع دراسته، وأن يطلع على كل المراجع الحديثة ويجمع منها كل ما يتعلق بموضوعه من أفكار ونتائج، وبذلك تصبح الأمور واضحة أمامه، ثم عليه بعد ذلك أن يضيف إلى بحثه ما لم يرد في المراجع السابقة من أفكار ونتائج.

ولكتابة التاريخ استعدادات فكرية ومادية، والفكرية تتعلق بالمؤرخ وتعليمه ودراساته واستعداده وملكاته وإحساساته وغير ذلك من الأمور التي تجعل منه مؤرخاً، لأن التاريخ لا يكتب اجتهاداً وليس كل من كتب في التاريخ صار مؤرخاً، فبوسع أي إنسان أن يطلق على نفسه مؤرخاً، ولكن الصواب هو أن يقوم بعمل علمي جاد له أصوله وقواعده ويخضع للمنهج العلمي السليم الذي يراعي فيه كل أركان البحث العلمي، حتى يستحق أن يطلق عليه لقب المؤرخ. ولا يمكن أن يكون هناك المؤرخ الشامل لكل العصور، فلكل عصر أدواته ومصادره، فمن المستحيل أن يدرس المؤرخ مصادر كل العصور وأن يلم بخصائص كل مرحلة على حدة حتى يكون له رؤية تاريخية لأحداث مرحلة من مراحل التاريخ، فمن الأفضل أن يتخصص المؤرخ في مرحلة من التاريخ حتى يستطيع أن يتعمق فيها وأن يقدم لها رؤيته التاريخية.

فلكل أمة تاريخها وكذلك لكل دولة بل لكل إقليم، وقد وصل الأمر أن

أصبح لكل مدينة ولكل جماعة أو لكل قبيلة أو لكل أسرة تاريخها، ومن مجموع هذا كله يكون تاريخ مرحلة من مراحل التاريخ، ومن مجموع هذا كله يكون التاريخ، وهو ما لا يقدر عليه فرد.

أما الجوانب المادية التي يحتاجها المؤرخ فهي المراجع والمصادر، وقد بدأت بالمراجع لأن فيها خبرة المؤرخين السابقين في الموضوع الذي يقوم الباحث بدراسته. ويكون الرجوع إلى هذه المراجع معنى الباحث أن يبدأ من الصفر، وهذا ليس من المفيد للباحث، لأن على الباحث أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون حتى يستطيع أن يضيف إليهم. وهنا أتوقف لإيضاح أن على الباحث أن يقرأ المراجع القديمة والحديثة، فليس من المعقول أن يقتنع الباحث على مراجع قديمة وأفكار عفا عليها الزمن، إنما المطلوب أن يطلع الباحث على أقدم وأحدث المراجع وما سجل فيها من آراء. ومثال إلى ذلك أن الباحث إذا كانت أحداث مراجعه تعود إلى عام ١٩٦٠م وهو يكتب في عام ٢٠٠٥م فمعنى ذلك أنه تجاهل كل الأفكار التي وردت في المراجع التي تلت عام ١٩٦٠م وبذلك يكون البحث ناقصاً وتكون الإضافة التي قدمها الباحث غير ذات جدوى، فربما وردت في مراجع سابقة.

أما المصادر فهي كل ما سجل أيام الأحداث أو بعدها بوقت مناسب سواء أكانت وثائق أو مخطوطات أو كتب تاريخية أو أدبية أو آثار وكل ما فيه من مادة تاريخية تفيد الباحث. والمادة التاريخية تنقسم إلى جوانب متعددة فمنها السياسية أو العسكرية أو الدبلوماسية أو الحضارية وغير ذلك وسوف نتناول ذلك بالتفصيل في الصفحات التالية.

لقد بدأ التدوين التاريخي منذ أن تعلم البشر الكتابة، وبدأ تاريخ الشعوب يرتبط بمعرفة الأقوام بالكتابة، ويمكن القول أن من بدأ في تعلم الكتابة هم رجال الدين، سواء كان رجال الدين هؤلاء تابعين للأديان الوضعية أي الأديان الوثنية أو الأديان السماوية مثل اليهودية والمسيحية والإسلام.

١- مدخل إلى البحث العلمى التاريخى

مفهوم التاريخ

الصفات الواجب توافرها فى المؤرخ

العلم والفن فى التاريخ

التاريخية تأتى مع المعلومات التاريخية السليمة التى حصل عليها. أما الخيال العلمى فهو نقطة فى غاية الأهمية ولا ينتبه إليه أحد. ومثال ذلك أننا نأتى بالمادة التاريخية من مصادرها سواء عربية أم أجنبية ثم نقارنها ببعضها البعض ونستخلص النتائج، وهنا نقع فى خطأ غير واضح، لأن ما سجل فى المصادر لم يكن معلوماً لدى القادة السياسيين أو العسكريين الذى أتخذوا القرار، وهنا يجب على الباحث أن يعود بذاكرته إلى الأحداث ويعيش زمنها بكل ما فيها من عادات وتقاليد وسلاح وقدرات الحاكم أو القائد وغير ذلك حتى يعيش الحقبة الزمنية التى يكتب عنها، وتحدثه هذه الحقبة بما فيها من أسرار ليضيفه إلى المادة التاريخية حتى يصبح ما يكتبه تاريخاً حياً ينبض بحياة العصر الذى يتحدث عنه.

ويجب أن يتحلى المؤرخ بالصبر، فطريق البحث العلمى شاق وطويل وبه الكثير من المصاعب، فالبحث عن أحدث المراجع والمصادر المناسبة يحتاج إلى أموال وبحث دؤوب، وعليه أن يجول المكتبات العامة والخاصة ليحصل عليها، وعليه أيضاً أن يتعرف على دور النشر المحلية والعالمية المتخصصة فى نشر الكتب المتصلة بموضوع بحثه ليطلع على كل ما ينشر حول موضوع دراسته. وربما يكون ذلك مكلفاً من الجانب المادى، ولكن الشبكة العالمية «الإنترنت» قد سهلت هذا الأمر كثيراً، وهى مليئة بالمواقع التاريخية والأبحاث الحديثة المتعلقة بكل جوانب البحوث ومنها البحوث التاريخية ويمكن الحصول على كل ذلك بمبالغ زهيدة.

ومما يجب أن يتحلى به المؤرخ عدم التحيز، وكما هو معروف أن المؤرخ باحث عن الحقيقة، فإن التحيز سوف يخرج المؤرخ عن الحقيقة. والمقصود بالتحيز هو - الميل إلى طرف على حساب طرف آخر، ومثال على ذلك فإذا كان المؤرخ يكتب عن مرحلة من مراحل تاريخ الحروب الصليبية ومال إلى المسلمين ضد الصليبيين، فهنا يكون المؤرخ قد خان أمانة العلم وقدم بحثاً بنتائج خاطئة، ولم يخدم القضية الوطنية أو القومية لأن نتائج البحث سوف تسقط

ويلاحظ أن التاريخ بدأ بتدوين أحداث فردية أو ترجمة لنظم أو تخليداً لمآثر بطل أو تدوين أحداث خاصة بمدينة، ثم إلى تاريخ عام يشمل دولة أو إقليماً. وقد كتب ذلك كله على صورة يوميات أو حوليات، ومع ذلك كله فالشخصية المحورية في هذا كله هي شخصية الحاكم. أما الشعوب وتاريخها مثل أحوالها الإقتصادية أو الاجتماعية أو غير ذلك، فقد تأتي عرضاً بين السطور، ولعل المقصود بكتابة التاريخ في هذه المرحلة كان تثقيف العامة واطلاعهم على العظات والعبر من خلال هذا العرض للأحداث. وأود هنا أن أوضح أن ما سبق يطلق على التدوين التاريخي وهو لا يزيد أن يكون مادة للتاريخ، أما كتابة التاريخ أو التأريخ فهي الاستعانة بهذه النصوص وتبويبها وتفسيرها وتحليلها وتقديمها في صورة أقرب إلى الحقيقة للقارئ.

ومما لاشك فيه أن المدونات التاريخية هي وعاء لكل الخبرات البشرية وكل العلوم السابقة. فالذي يريد أن يطلع على حضارة أي دولة أو أمة عليه أن ينقب في بطون المصادر ليتعرف على تطور العمارة في مرحلة ما أو التطور الاقتصادي، أو التطور الاجتماعي، أو تطور العلوم الطبية أو الهندسية وغير ذلك.

مفهوم التاريخ:

يقول ابن خلدون في الكتاب الأول من المقدمة «إعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الإجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة الأحوال».

ومعنى ذلك كما يرى معظم المؤرخين أن للتاريخ معان كثيرة. فالبعض يرى أنه يضم كل المعلومات التي يمكن معرفتها «جغرافية العالم»، لأن علم الجغرافيا له دخل كبير في معظم الحوادث فهو يؤثر عليها، ومن ذلك تأثير الطبوغرافيا على كل حوادث المعارك سواء صيفاً أم شتاء، كذلك الصراع بين الأمم على المعادن التي في باطن الأرض مثل البترول أو الألماس أو اليورانيوم وغير ذلك من المعادن الهامة.

ويرى بعض المؤرخين أيضاً أن التاريخ هو البحث في حوادث الماضي أي كل ما يتعلق بنشاط الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض وذلك بدراسة آثاره الموجودة على الأرض وكتاباته المسجلة في بطون المصادر.

ولقد بدأ التاريخ منذ أن سجل الإنسان حوادث زمانه، أما ما قبل ذلك فيعتبر من عصور ما قبل التاريخ، والعصر التاريخ هو الذي يبدأ الإنسان فيه بتسجيل أحداث عصره، وهكذا حتى نصل إلى الوقت الحاضر. والحقيقة أن التاريخ بدأ عندما بدأ الإنسان يروي لأولاده قصص أجداده التي مزجها بالأساطير، ولقد بدأ ذلك مع تسجيل الأحداث بالرسم أو النقش على الحجر أو الصخر وسار التاريخ يسجل الأسس الهامة في تسجيل موكب البشرية. وهناك نقطة هامة أود الاشارة إليها فلا يوجد إنسان أو جماعة أو دولة أو أمة ليس لها تاريخ، كما لا يوجد أيضاً علم ليس له تاريخ، ومثال ذلك تاريخ الطب بمعنى

أنه إذا ذكرنا جراحة القلب فلها تاريخ متطور حتى وصلنا إلى ما نحن فيه من تقدم بفضل الأجهزة الحديثة، وهكذا يمكن تطبيق ذلك على كل العلوم، وتاريخ العلوم مادة تدرس في جميع جامعات العالم حتى يومنا هذا.

وللإنسان دوراً كبيراً في مجريات الأحداث، لأن التاريخ يسير بطريق مباشر على يد الإنسان، ولذلك أصبح الإنسان ابن الماضي، وبذلك أصبح هناك ارتباطاً مباشراً بين حياة الإنسان الحالي وبين الإنسان في الزمن الماضي، لأن الإنسان الحالي يعيش على تراث الماضي سواء كان تراث الأجداد أم تراث الأمم الأخرى، كما أن الإنسان لا يستطيع أن يفهم الحاضر دون أن يفهم الماضي الذي يعيش فيه أو ماضي الشعوب التي حوله، ومن هذه الخبرات السابقة يستطيع الإنسان أن يفهم نفسه ويكون قادراً على حسن التصرف في وقته الحاضر ليبني للأجيال القادمة مستقبلاً أفضل.

ومما سبق يتضح أهمية دراسة التاريخ، لأنه بدون دراسة الماضي وما فيه من خبرات، فعلى الإنسان أن يبدأ من الصفر، وبذلك أصبح لا غنى للإنسان عن دراسة التاريخ، لأن في التاريخ عظات وعبر، ومنه نتعرف مثلاً على الأسباب التي أدت إلى الحروب الصليبية وفشلها ودوافع الغرب الأوربي في السيطرة على التجارة العالمية التي كان يمر الجزء الأكبر منها عبر مصر والشام مما أدى إلى الكشوف الجغرافية التي تحولت بموجبها التجارة إلى رأس الرجاء الصالح، وما كان لذلك من نتائج على العالم العربي وانهيار دولة المماليك، ثم سيطرة الدولة العثمانية وموقف الغرب الأوربي منها، وما ترتب على ذلك من نتائج أدت إلى الاستعمار الأوربي للعالم العربي.

صفات المؤرخ:

هناك العديد من الصفات التي يجب أن تتوافر في المؤرخ، وأول هذه الصفات سعة الإطلاع في كافة علوم المعرفة لأن التاريخ ليس بمعزل عن العلوم الأخرى، يضاف إلى ذلك أن على المؤرخ أن يفهم تماماً العصر الذي يدرس

موضوعاً فيه، فإذا كان المؤرخ يدرس في الإمبراطورية البيزنطية، فعليه أولاً أن يقرأ في تاريخ بيزنطة كله، ثم يبدأ في التركيز على العصر الذي سوف يقوم بدراسة بعض جوانبه، ثم يركز ويتعمق في البحث الذي يتولى إعداده.

ومن صفات المؤرخ الأمانة والشجاعة، وفيما يتعلق بالأمانة فعليه إذا نقل مادة تاريخية أن ينقلها بأمانة ولا يحرفها أو يزيدها أو ينقصها، ولا يخفي من الأحداث شيئاً حتى لو كان غير راض عنها، ولا ينقل أعمال الآخرين وينسبها إليه. أما الشجاعة فتتجلى في عدم منافقة أصحاب السلطان. والواقع أن لا رقيب على المؤرخ سوى ضميره، ومن يفعل غير ذلك لا يعد مؤرخاً وسوف يقدم نتائج مخالفة للحقيقة، ثم يأتي باحث آخر ويقدم الحقيقة وبذلك تسقط الدراسة غير الملتزمة بالأمانة والشجاعة.

ومن صفات المؤرخ أن تتوافر فيه ملكة النقد، فليس كل ما ورد في المصادر صواباً، وعلى المؤرخ أن يتفحص كل ما يقع تحت يده من أصول وأن يخضعها لكل أنواع النقد والتحليل على ضوء المصادر الأخرى وطبيعة العصر ومنهج البحث العلمي المنزه عن الهوى، وإذا أغفل المؤرخ هذا الجانب سقطت عنه صفة المؤرخ وأصبح مجرد شخص يكتب ما يقع تحت يده، وليس على هذه الحالة يدرس أو يكتب التاريخ، لأن من واجب المؤرخ أن يقدم كلما أمكن من الحقيقة.

ومن الصفات التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ أن يكون ذا عقل راجح منظم، فالنظام وترتيب الحقائق سوف يساعده كثيراً على تحديد العلاقة بين الأسباب والأحداث والنتائج والشخصيات التي لعبت دوراً في الأحداث، والعلاقة بين كل هؤلاء، وبين الزمان والمكان، وما حول ذلك من أحداث وإلا اختلطت المعلومات ببعضها واضطربت.

وعلى المؤرخ أن يكون ذا حاسة تاريخية وخيال علمي حتى يستطيع أن يفهم دوافع من حركوا الأحداث ولعبوا فيها دوراً كبيراً أم صغيراً، والحاسة

أمام بحث آخر يقدمه مؤرخ محايد مهما كانت جنسيته، وسوف يسقط المؤرخ نفسه أمام زملائه المؤرخين، وسوف تسقط أيضاً أبحاثه الأخرى، ومن الصعب جداً أن يستعيد المؤرخ مكانته مرة أخرى.

العلم والفن فى التاريخ :

ليس التاريخ قصة مثل القصص التى تؤلف من نسج خيال الكاتب، بل إنه دراسة علمية على الوثائق والمصادر التاريخية الخاصة بموضوع الدراسة والمراجع العلمية المتعلقة بذات الموضوع، ومن هذه المادة التاريخية وما لدى المؤرخ من علوم مساعدة ومنهج علمى يستطيع الباحث أن يبحث عن الحقيقة الخاصة بالمدة الزمنية التى يدرسها. وواقع الحال أن الحقيقة الكاملة يصعب الوصول إليها، ولكن المؤرخ يحاول قدر الإمكان الاقتراب من الحقيقة كلما أمكن، وهنا نقول أن التاريخ علم.

وواقع الحال أن المادة التاريخية تظل مادة جافة دون روح، وأن الذى يبعث الروح فى المادة التاريخية هو الجانب الفنى الذى يملكه المؤرخ. والرؤية الفنية للمؤرخ تظهر عند قراءته للنصوص، وعلى المؤرخ أن يعيش عصر هذه النصوص ويتخيل كيف كان يعيش الناس فى هذه المرحلة وما هى نظم الحكم وما هى الحياة الاقتصادية وغير ذلك من الأمور التى تجعل المؤرخ يعيش العصر الذى يتحدث عنه. يضاف إلى ذلك أن على المؤرخ أن يدرك كيف كان يتفاوض الناس مع أعدائهم وكيف كانوا يحاربون وما هى الأسلحة التى حاربوا بها وقدرات هذه الأسلحة، والتحصينات التى يواجهها الجيش المهاجم والملابس التى يرتديها المحاربون من الجانبين، والرنوك، وهى الشارات التى يضعها المقاتلون على ملابسهم لتبين المجموعة التى ينتمون إليها ورتبهم. أضف إلى ذلك المناخ وطبوغرافية الأرض، والظروف التى قامت عليها المعركة وغير ذلك من الأمور التى تساعد المؤرخ على أن يكتب تاريخاً تدب فيه الحياة. ومن هنا يمكن القول أن التاريخ علم وفن وأن جانبا واحد لا يكفى.

٢- المراحل الأولى للبحث التاريخى
(العلوم المساعدة)

- اللغات.
- علم المكتبات (البيلوجرافيا).
- الأختام.
- الزنوك.
- الاقتصاد.
- النقود والمسكوكات.
- الفنون، (الأداب، النحت، التصوير).
- العمارة والترحال والجغرافيا.
- الحاسب الآلي.
- عوامل نجاح الرسالة.

اللغات:

مما لاشك فيه لا يوجد علم من العلوم يعتمد على لغة واحدة حتى لو كانت الدراسة تتعلق بالقرآن الكريم، ومثال ذلك أن الباحث يحتاج إلى اللغات لدراسة المناهج المختلفة. يضاف إلى ذلك أن العلوم إذ لم تصل إلى مستوى العالمية لتصبح بحوثاً محلية، وكيف للباحث أن يقنع الآخرين بأبحاثه حتى ولو كانت دينية. كما أن الباحث يحتاج إلى اللغات لقراءة آراء وأفكار المستشرقين المغرضين وغيرهم للرد عليهم إذا لزم الأمر، وهناك العديد من علماء الدين خاصة علماء الأزهر وقد حصل العديد منهم على درجاتهم العلمية فى الماجستير والدكتوراه من دول غربية.

وإذا كان هذا هو الحال مع العلوم الدينية البحتة فما بالك بعلوم الأديان المقارنة وبالفلسفة الإسلامية وغير ذلك من العلوم الأخرى المتعلقة بالإسلام وبالمناطق العربية بخاصة، فإن ما لدى المؤرخ من مصادر ومنهج بدون لغة تصبح عديمة الجدوى إلى حد كبير، لذلك أصبح من الواجب على الباحث أن يسلح نفسه بلغة أو أكثر ليستطيع أن يقدم بحثاً يواجه به العلماء الآخرين فى المؤتمرات الدولية أو فى المجلات العالمية.

وواقع الحال أن التاريخ من العلوم المتصلة بمجموعة كبيرة من العلوم الأخرى، فدارس التاريخ عليه أن يتعامل مع المخطوطات والوثائق وما نشر أو حقق، يضاف إلى ذلك التعليق عليها، وكذلك علوم الجغرافيا والاقتصاد، والأدب والفنون، لذلك أصبح من الضرورى أن يكون الباحث فى التاريخ واسع الاطلاع غزير الثقافة، وكل ذلك يتطلب أن يكون المؤرخ ذا ثروة لغوية فى اللغة التى يكتب بها رسالته، وهى اللغة العربية فى عالمنا العربى يضاف إلى ذلك لغة أو أكثر تتعلق بلغة تخصصه، فإذا كان المؤرخ يبحث فى التاريخ القديم فهناك لغات تتعلق بهذه المرحلة، وإذا كان يدرس فى التاريخ الرومانى أو اليونانى فهناك لغات أخرى، أما إذا كان الباحث يدرس فى التاريخ الأوربى الوسيط أو الحروب الصليبية فأمامه اللغة اللاتينية والفرنسية القديمة، وإذا كان يبحث فى التاريخ البيزنطى فعليه باللغة اليونانية القديمة، وهكذا فلكل عصر لغاته. وعلى الباحث أن يدرس الأسس اللازمة بصفة مبدئية ثم يستمر بعدها فى المزيد.

ومن حسن حظ الطلاب الآن أن هناك العديد من المراكز المتخصصة فى الجامعات الأوربية يقومون بترجمة هذه المصادر والوثائق إلى اللغات الحديثة وهى مراكز موثوق بها يتولى أمرها نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين وعلى مستوى عالمى وسوف نشير إلى بعضها عند الحديث عن الشبكة العالمية (الانترنت).

واللغة كائن حي ينمو ويتطور، وقد تدل الكلمة على أكثر من معنى وهنا يتطلب الأمر الألمام بعلوم اللغة (الفيلولوجي) Philology حتى يستطيع أن يتفهم معنى ما يقرأ. وهنا أنصح الطلاب فى مصر والعالم العربى بأن يبدأو بالاطلاع فى موضوع بحثهم عما كتب باللغة العربية وبعد أن يتعرفوا على ما كتب فى موضوعهم باللغة العربية يتدرجون إلى القراءة فى الكتب المتخصصة التى كتبت بلغة أخرى يستطيعون فهمها، وهكذا تتضح الأمور رويدا رويدا فى المصادر والوثائق.

علم المكتبات:

ودارس التاريخ فى حاجة إلى معرفة علم الباليوجرافيا Paleography، وهو علم دراسة الكتابة والنقوش القديمة، لأن الباحث سوف يتعرض لقراءة بعض المخطوطات والوثائق العربية وسوف يجدها بخطوط مختلفة منها ما كتب مثلاً بالخط النسخى، أو الرقعة أو الفارسى أو الكوفى أو الغربى أو الغبارى والأخير يكتب بحروف دقيقة جداً واستخدم فى كتابة البطاقات التى ترسل بالحمام الزاجل وغير ذلك من الحروف التى يجب أن يتعرف عليها الباحث حتى لا تضيع أو تسقط عنه معلومة هامة تخص بحثه.

وأود أن أتوقف لإيضاح الفرق بين الحوليات أو المدونات أو الوثائق، وفى واقع الحال أنهم جميعاً من المصادر، ولكن معنى الحوليات أو المدونات هى الكتب التى كتبها المؤرخون الذين عاصروا الأحداث أو دونت فى أزمان لاحقة قريبة من الأحداث. أما الوثائق فقد أتفق المؤرخون على اعتبار المكاتبات الرسمية أو شبه الرسمية المتبادلة بين الدول أو الشخصيات الهامة مثل الأوامر والقرارات التى يصدرها الحكام، أو المعاهدات والمراسلات السياسية التى يتبادلها الحكام أو المسئولون مع الحكام أو المسئولين فى دول أخرى أو داخل الدولة. ولكل عصر وثائقه التى تختلف فيها أنواع الأحبار والأوراق وكذلك مساحتها وأختامها وأحياناً الشفرة التى كتبت بها وطريقة تغليفها وغير ذلك مثل الخطوط التى كتبت بها.

الأختام:

أما فيما يتعلق بالأختام التى تبصم بها الوثائق وهى مثل ختم الدولة فى عصرنا الحالى أو الأختام الأخرى التى تخص هيئة أو مصلحة أو نادى أو جمعية، وكانت الأختام تصنع عادة من المعادن كالذهب أو الفضة أو الرصاص، وكانت الأختام تصنع بأشكال مختلفة ومنها الدائرى أو البيضاوى أو المستطيل أو المثلث أو على شكل الصليب. واستخدم مع الأختام الشمع مثل الشمع الأحمر الذى لازال يستخدم حتى يومنا هذا، وبقليل من الحرارة يلين الشمع ثم يضغط عليه بالخاتم فيلتصق الشمع بالوثيقة وعليه النقوش الموجودة على الخاتم.

الرنوك:

ويرتبط بدراسة الأختام علم الرنوك Heraldry وهى الشعارات التى توضع على الأختام أو الأعلام أو على ملابس النبلاء والإقطاعيين، والشعارات هذه مثلما تستخدم جمهورية مصر العربية حالياً نسر صلاح الدين على أختام الدولة أو على الأعلام بعدما كانت تستخدم من قبل صقر قريش، أو التاج الملكى، ومثلما يستخدم الآن بعض الشعارات التى يستخدمها كل سلاح من أسلحة الجيش. وواقع الحال أن كافة الدول قديماً وحديثاً استخدمت هذه الشعارات وعرفتها العصور الوسطى فى الشرق والغرب، فقد استخدمتها الدولة الفاطمية والأيوبية والمملوكية والسلاجقة والعثمانيون وكل دول أوربا فى العصور الوسطى مثل انجلترا والمانيا وفرنسا بالإضافة إلى الامبراطورية البيزنطية، فاستخدموا النسر ذا الرأسين أو الرأس الواحدة أو الهلال أو الصليب كما استخدموا أيضاً أشكال الزهور مثل زهرة الزنبق فى فرنسا أو ألوان الورود مثل إنجلترا.

الإقتصاد:

ومن العلوم المساعدة أيضاً فى دراسة التاريخ علم الإقتصاد، والاقتصاد

هو الزراعة والتجارة والصناعة وطرق المواصلات البرية والبحرية والنهرية والجوية حالياً والنقود وكل ما يتصل بذلك. والاقتصاد هو عصب الحياة منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا وله تأثير فعال فى سير الأحداث التاريخية، فالثروة الطبيعية والمعدنية فى بلد ما يجعلها مطمعاً لدول أخرى، كما أنه يؤثر على نظم الحكم فيها وعلى مستوى المعيشة داخل هذه الدولة، وعلى علاقة هذه الدولة بغيرها من الدول.

ومن الأمثلة على ذلك الهجرات الجرمانية التى اجتاحت غرب أوربا بسبب فقر المناطق التى عاشت فيها القبائل الجرمانية ومجاورتها لبلاد غنية أصبحت ضعيفة بعد ضعف الامبراطورية الرومانية فى الغرب ثم سقوطها فى عام ٤٧٦م. والأراضى المجدبة قليلة الموارد تساعد الشعوب على الاندفاع خارج حدودها والأمثلة على ذلك عديدة. كما أن تحكم بعض الدول فى طرق التجارة وارتفاع الرسوم الجمركية يجعل بعض الدول تفكر فى طرق أخرى مثلما تحكمت دولة المماليك فى طرق التجارة بين الشرق والغرب مما دفع دول أوربا إلى التحرك واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

كما أن ثراء الدول وشعورها بقوتها تجعلها تندفع إلى خارج حدودها مثلما فعلت الثورة الصناعية بدول أوربا وتطلعها إلى استعمار الدول الفقيرة الضعيفة للبحث فى أرضها عن الثروات والمعادن لتطور صناعتها وتزداد ثراء على ثراء على حساب الدول المغلوبة على أمرها وتجعل منها أسواقاً لبضائعها.

النقود والمسكوكات:

ومن العلوم المساعدة أيضاً علم دراسة النقود والمسكوكات، وهو مرتبط بالعلوم الاقتصادية ويعرف أيضاً بعلم النميات أو المنومات Numismatics، فالعملة والنياشين بما عليها من صور وكلمات مع حجمها ووزنها ونوعها وأماكن سكها تقدم للباحثين مادة قيمة خاصة فيما يتعلق بالتجارة. فوجود

وإذا اتجهنا إلى إيطاليا وبدأت من الشمال فيستطيع الزائر أن يرى مدينة ميلان وهى المدينة الشهيرة التى ينسب إليها مرسوم ميلان الذى أصدره الامبراطور قسطنطين العظيم Constantine The Creat (د ٣٠٠-٣٣٧م) فى عام ٣١٣م، الذى اعترف فيه بالمسيحية ديناً فى الامبراطورية الرومانية.

كما يمكن أن ترى كنيسة القديس أمبروز Ambrose ٣٣٤١ أو ٣٤٠ - ٣٩٧م) وهى أقدم كنائس المدينة وقد بنيت فى عام ٣٧٩م، وفى هذه الكنيسة أعمال فنية رائعة تمثل أعمالاً تمتد من العصر الرومانسكى حتى الوقت الحاضر.

وتعتبر كاتدرائية الدومو Duomo أو القبه أو كاتدرائية السيده العذراء أعظم كنائس مدينة ميلان. ويرجع تاريخ هذه الكاتدرائية إلى حوالى عام ١٣٠٠م وهى مبنى معمارى أقيم على الطراز القوطى اللمباردى. وقد بنيت الكاتدرائية بناء على طلب حاكم المدينة جيان جالبزو Gian Galeazzo، والمبنى تحفة معمارية رائعة، ويصل ارتفاع أعمدتها إلى أكثر من مائة متر وأكثر هذه الأعمدة ارتفاعاً العامود الذى وضع عليه تمثال السيدة العذراء ويصل ارتفاعه إلى حوالى مائة وثمانية أمتار، وهذا التمثال مغطى بحوالى ثلاثة آلاف وتسعمائة قطعة من الذهب. وفى ميلان أيضاً العديد من المتاحف والمعارض والمسارح.

وإذا اتجهنا إلى الجنوب الشرقى نجد مدينة البندقية Venice (فينيسيا) وهى مدينة الجزر والجنادل حيث تترابط القنوات التى تصطف على جوانبها القصور التاريخية الزاهية ذات الطرز المعمارية الزاهية وكذلك الكنائس والكاتدرائيات. وفى المدينة حوالى أربعمائة كوبرى على طول قنواتها البالغة مائة وثمانية عشرة قناة وطول المدينة كلها حوالى ٤٢٦٠ متراً وعرضها ٢٧٩٠ متراً. ويبلغ عمق قنواتها حوالى خمسة أمتار، ويرتبط بالمدينة مجموعة من الجزر أشهرها جزيرة مورانو التى تشتهر بصناعة الزجاج، وجزيرتى بوراتو

وتورشيلو، ويربط المدينة باليابسة كوبرى طوله أربعة كيلومترات مبنى عام ١٨٤١م وهو طريق مرصوف جيداً به خط سكة حديد يصل إلى محطة القطارات الرئيسة فى المدينة. وشعب المدينة له شهرة عظيمة فى الترحال والتجارة والمغامرة والكفاح، وكان لها أسطولاً وجيشاً قوياً لعب دوراً كبيراً فى تاريخ العصور الوسطى مع الامبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية والحروب الصليبية.

ومن أعظم ميادين المدينة ميدان القديس مرقص، وفيه تقع كاتدرائية القديس مرقص، ويرجع أهمية تاريخ هذه الكاتدرائية إلى عام ٨٢٩م عندما سرق بعض البنادقة رفات القديس مرقص من كنيسة المرقصية بالاسكندرية، وقد استغرق بناء هذه الكاتدرائية العديد من السنوات ودخلت عليها إضافات معمارية وفنية كثيرة، وعلى سطح الكنيسة يوجد تماثيل ضخمة لأربعة خيول استولى عليها البنادقة من مدينة القسطنطينية أيام الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م. وقد استولى على هذه الأحصنة نابليون بونابرت ولكن إيطاليا استعادتها مرة أخرى. والكاتدرائية يغلب عليها الطابع البيزنطى كما يوجد بها العديد من لوحات الفسيفساء، خصوصاً فسيفساء رقصة سالومى المرتبطة برأس يوحنا المعمدان. ورمز مدينة البندقية هو الأسد المجنح الذى يرمز إلى القديس مرقص.

واذا اتجهنا إلى الجنوب فإن الزائر يمر بمدينة بولونيا حيث توجد أقدم جامعة أوروبية وهى جامعة بولونيا التى أسسها الامبراطور الألمانى فريدريك بارباروسا Frederic Barbarosa عام ١١٥٨م.

وإلى الجنوب تقع مدينة فلورنسا على نهر أرنو Arno، وكانت حصناً منيعاً منذ القرن الأول الميلادى، ومنذ القرن الثالث عشر قام تجار المدينة بتنظيم إتحادات فى فلورنسا، وقد أنجزت هذه الاتحادات العديد من القوانين واهتمت بالفنون والتجارة والصناعة، لذا كانت المدينة هى مهد عصر النهضة فى أوروبا

كلها وكان للدور الكبير الذى قامت به عائلة ميدتشى بالاهتمام بالفنون والمبدعين نتائج هامة مما جعل فلورنسا أعظم مراكز العالم فى الفنون والجمال. ونذكر من أشهر أدباء وفنانى المدينة دانتى Dante (١٢٦٥- ١٣٢١م)، وبوكاتشيو Boccaccio (١٣١٣- ١٣٧٥م)، وبرونلسكى Brunelleschi (١٣٧٧- ١٤٤٦م)، وليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci (١٤٥٢ - ١٥١٩م)، ومايكل أنجلو Michel Angelo (١٤٧٥ - ١٥٦٤م) وغيرهم.

ومن أعظم مبانى المدينة كاتدرائية سانتا ماريا ديل فيورى St. Maria del Fiore وهى المعروفة باسم الدومو Duomo وهى من أعظم الأبنية فى العالم. وقد شيدت على الطراز المعمارى القوطى وبدأ فى بنائها عام ١٢٩٦م، وتم بناء القبة فى عام ١٤٢٠م ويبلغ ارتفاعها إحدى وتسعين متراً. أما واجهة الكاتدرائية فبها العديد من التماثيل ومغطاة بالرخام، واستغرق العمل فيها حوالى ستمائة عام. وفى المدينة أيضاً برج جيوتو Giotto ذو الأجراس الذى يرتفع حوالى خمسة وثمانين متراً، وقد بدأ العمل فيه حوالى عام ١٣٣٧م. وفى المدينة أيضاً معمودية Baptistery سان جيوفانى St. Giovanni ذات الثمانية أضلاع وترجع إلى القرن الثانى عشر ويطلق اسم باب الفردوس على أحد أبوابها وبه لوحات مستوحاة من القصص الدينية. وقد اكتمل البناء فى عام ١٣٣٦م، والمدينة عبارة عن متحف مفتوح تضيق بالمتاحف عن شرح ما بها. وأخيراً نجد كوبرى فيكيو Ponte Vecchio وهو الأثر القديم الوحيد الذى أبقى على نهر أرنو بعد أن هدمت الحرب العالمية الثانية كل كبارى المدينة. ويوجد على الكوبرى رغم صغره طولاً وعرضاً العديد من المحلات المنتشرة التى تبيع الذهب والتذكارات السياحية.

وإلى الشرق من مدينة فلورنسا توجد مدينة بيزا Piza وتشتهر المدينة ببرجها المائل وهو من عجائب الدنيا السبع، وهو برج الكاتدرائية الشهيرة بالمدينة التى بدأ بنائها فى القرن الثانى عشر الميلادى، ويتكون البرج من ثمانية طوابق ويحيط بكل طابق أقواس تحملها أعمدة من الرخام، وارتفاع

البرج حوالي تسعة وخمسين متراً. أما قاعدته فهي حوالي خمسة عشر ونصف
متراً مربعاً. وعمق أساس البرج ثلاثة أمتار فقط، والميل الذي نشاهده الآن لم
يكن مقصوداً ولكنه حدث بسبب ضعف في تربة الأرض، وقد بدأ هذا الميل
يظهر بعد عشرة سنوات من البناء، حيث كان البناء قد وصل إلى الدور الثالث
فقط، ورغم ذلك تم استكمال البرج. وقد أغلق البرج في عام ١٩٩٠م ومنع
الصعود إليه، وقد بذلت محاولات عديدة لانقاذه وأخيراً تم ربط البرج بكوابل
حديدية لمنع سقوطه. أما كاتدرائية بيزا فترجع إلى العصر الرومانسكي في
القرن الثاني عشر، وقد تم الانتهاء من مذبح الكنيسة في عام ١٢٦٠م.

ومدينة روما لها شعارها وهي عبارة عن ذئبة ترضع طفلين، وتحكي
الأسطورة أن أحد الملوك خلعه شقيقه عن العرش وتوجب على أحدى الكاهنات
وهي سيلفيا أن تصبح أماً لطفلي الملك المخلوع، فغضب الملك وأمر باغراق
الطفلين ولكن العبد المكلف بهذه المهمة ترفق بهما ووضعهما في سلة وألقاهما
بالنهر فدفعت الأمواج السلة إلى شجرة تين، وهناك عثرت عليهما ذئبة
فقامت بإرضاعهما إلى أن التقطهما أحد الرعاء، وسماهما ريموس ورومولوس،
وعندما كبر الغلامين قاما بالاطاحة بالمغتصب وتولى ريموس الحكم وأنشأ
مدينة روما عام ٧٥٣ قبل الميلاد. وترتبط المدينة بالقديس بطرس الذي استشهد
في المدينة حيث بنيت كنيسة صغيرة ثم شيد الامبراطور قسطنطين الأول (٣٠٥
- ٣٣٧م) في عام ٣٣٠م بازيليكا في المكان نفسه. ثم أقيم بدلا من ذلك في
عام ١٥١٦م كاتدرائية عظيمة البناء هي مقر الفاتيكان الآن.

وواقع الحال أن مدينة روما تقع في مركز عالم البحر المتوسط، وقد
ساعدها موقعها على أن تكون سيدة العالم المسيحي الكاثوليكي في العصور
الوسطى. وقد لعبت المدينة دوراً دينياً كبيراً باعتبارها مركز البابوية بالإضافة
إلى الجانب الثقافي والتجاري والسياسي. وقد تعرضت إيطاليا للتمزق بعد
سقوط الامبراطورية في الغرب عام ٤٧٦م وظلت إيطاليا لا تعرف الوحدة
السياسية طوال العصور الوسطى، فقد كانت هناك دويلات مثل البندقية وبيزا

وجنوة وفلورنسا وأمالفي وغير ذلك. وفي نهاية العصور الوسطى بدأ عصر
النهضة الذي اهتم بالفنون والتحف والآثار والتاريخ وغير ذلك بعدما تأثر
الغرب بالتراث الإسلامي الذي وفد عليها من صقلية والاندلس ومن بلاد الشام
بتأثير الحروب الصليبية.

ولا أريد أن أخوض في ايطاليا أكثر من ذلك وأتحدث عن بقية مدنها
مثل نابلي وغيرها. والحقيقة أن إيطاليا تعتبر متحفاً مفتوحاً للقلاع والكنائس
والعمارة على مر العصور بداية من عصر الامبراطورية الرومانية، وبها من
المباني التي اشتملت على كل الطرز مثل الكنائس البازيليكية والرومانسكية
والقوطية وكذلك العمارة التي نجد فيها الطراز الباروكي والركوكي
والكلاسيكي الحديث، هذا إلى جانب الفنون بلوحاتها وجدارياتها وتماثيلها إلى
غير ذلك.

وإذا انتقلنا إلى الأندلس بشقيها الأسباني والبرتغالي حالياً فمن الملاحظ
أنك لا تجد مدينة إلا وبها آثار إسلامية إلى جانب الآثار المسيحية، ومن المفضل
أن تبدأ بالبرتغال وعاصمتها لشبونة التي أسقطها البرتغاليون بمساعدة بعض
قوات الحملة الصليبية الثانية في عام ١١٤٧م وهي في طريقها إلى بلاد الشام
خلال حكم الملك البرتغالي الفونسو هنريك Alfonso Henriques (١٢٢٨ -
١١٨٥م)، والتي جعلها الملك دنيس Dinis (١٢٧٩ - ١٣٢٥م) عاصمة
للملكة. وقد هدم البرتغاليون مسجد المدينة بعد سقوطها وبنوا مكانه في عام
١١٥٠م كاتدرائية عظيمة جددت في القرن الرابع عشر على الطراز القوطي.
وفي المدينة بعض القصور والاسوار القديمة وبعض التماثيل لعل أهمها تمثال
الملك الفونسو هنريك.

أما عن أسبانيا فحدث ولا حرج حول اختلاط العمارة الاسلامية بالعمارة
المسيحية في كافة المدن الكبيرة والصغيرة مثل الزخارف والعقود والأبراج
والأسوار والكاتدرائيات والأبواب والقناطر والحمامات وغير ذلك إلى جانب
أسماء المدن نفسها والعديد من الكلمات العربية التي دخلت اللغة الاسبانية.

ولن استطيع في هذه الصفحات أن أدخل في تفاصيل كل هذا، ولكنني سوف اكتفي بالإشارة إلى بعض آثار بعض المدن الرئيسية في الأندلس.

وأبدأ بمدينة قرطبة حيث توجد ساحة مصارعة الثيران، وجامع المدينة القديم وبرج الأجراس الذي أقيم مكان المئذنة القديمة، وأحد أبواب المسجد الذي يسمى حالياً باب القديسة كاتالينا. وفي إشبيلية حيث تحولت مئذنة جامع المدينة الكبير إلى برج للأجراس والمعروف باسم لاخيرالدا La Giralda أو منارة جامع المنصور. هذا بالإضافة إلى قصر أشبيلية. وفي بلنسية حيث الكنيسة العظمى وقلعة الجبليين. وفي مرسيه حيث الكنيسة العظمى القوطية الطراز، والقنطرة الحجيرية الواقعة على نهر شقورة. أما مدينة غرناطة فإن قصر الحمراء يعد من أعظم الآثار الأندلسية الباقية، يضاف إلى ذلك جنة العريف وحي البيازين والكنيسة العظمى التي بنيت على أنقاض مسجد المدينة وضريح فرديناد وإيزابيلا (١٤٧٤-١٥٠٤م) داخل الكنيسة وبقايا قصر شنيل وغير ذلك.

أما مدينة مدريد وهي مجريط قديماً، فهناك كاتدرائية سيدة المدينة التي بنيت على أنقاض مسجد المدينة، وقصر الاسكوريال الذي بناه الملك فيليب الثاني في عام ١٥٦١م، وهو يذكرنا بمكتبة الأسكوريال حالياً التي تضم نوادر المخطوطات، هذا بالإضافة إلى القصر الملكي ومتحف المدينة والمكتبة الوطنية.

وإذا انتهينا من الأندلس بمدينة برشلونة فإنك تجد تحفة فنية معمارية رائعة نادرة عالمياً وهي كاتدرائية العائلة المقدسة Sagranda Familia التي يرتفع أعلى أبراجها إلى حوالي مائة وخمسة وعشرين متراً وهي من أعمال الفنان العظيم أنطوني جودي Antoni Gaudi (١٨٥٢ - ١٩٢٦م)، وقد وضع أساسها في عام ١٨٨٢م واستغرق العمل فيها حوالي أربعين عاماً.

أما عن المملكة المتحدة وهي بأقسامها إنجلترا، ويلز، اسكتلندا وجزء من إيرلندا حالياً. فإن القلاع والكنائس والكاتدرائيات تنتشر في طول البلاد وعرضها، كما أن الجامعات القديمة مثل جامعتي أكسفورد وكامبردج نجد مبانيها من طرز العصور الوسطى. وإذا بدأنا الحديث عن بعض معالم هذه البلاد فسنبدأ بمدينة كانتربري Canterbury على اعتبار أن كاتدرائية هذه المدينة هي أقدم كنيسة في مقاطعة كنت Kent الواقعة في إنجلترا، وأن رئيس أساقفة كانتربري لازال حتى الآن يعتبر رئيساً لكل كنائس المملكة المتحدة. وقد شهدت هذه الكنيسة أحداث تاريخية كان لها أكبر الأثر في تاريخ المملكة كلها، ومن ذلك مصرع رئيس الأساقفة القديس توماس بكت Thomas Becket في عام ١١٧٠م.

وإذا انتقلنا إلى لندن فسنرى قلعة لندن بحوائط رومانية والبرج الأبيض الذي بناه وليم الفاتح William The Conqueror (١٠٦٦ - ١٠٨٧م) في عام ١٠٧٨م، وتوجد أيضاً كاتدرائية القديس بولس الذي يرجع بناؤها إلى عام ٦٠٤م والتي أعاد بناءها النورمان في عام ١١٨٠م وهي الكاتدرائية الرسمية للحكومة البريطانية والتي تم فيها زفاف الأميرة ديانا أخيراً. وفي قلب العاصمة نجد الكلية الملكية التي وضع أساسها الملك هنري السادس (١٤٢٢-١٤٦١م) في عام ١٤٤١م.

وإذا اتجهنا إلى الغرب مع نهر التايمز Thames نجد مدينة وندسور وقلعتها حيث تذكرنا بالصراع الذي دار بين الملك يوحنا (١١٩٩ - ١٢١٦م) والأمراء والذي نتج عنه توقيع أقدم وثيقة تاريخية في أوربا تبشر بالديمقراطية وهي وثيقة العهد الأعظم Magna Carta في عام ١٢١٥م بعد ما تحرك الملك من وندسور إلى برج رونيميد Runnymede حيث تم التوقيع على هذه الوثيقة.

وإذا انتقلنا إلى الشمال الغربي نجد مدينة اكسفورد Oxford حيث توجد

أقدم جامعة في انجلترا، فقد أسست في عام ١١١٧م، ومع الاتجاه إلى الشمال الشرقي نجد مدينة كمبردج Cambride، وهي تعني كلمتين، كام Cam وهو نهير صغير، وكلمة Bride وتعني كوبري حيث أنهت هذه المدينة التي لا تزال تحمل سمات العصور الوسطى، وبها جامعة كمبردج العريقة التي أسست عام ١٢٠٩م، وفي هذه المدينة أيضاً توجد كنيسة دائرية لديمة أسست حوالي عام ١١١٨م، وهي كنيسة إقيمت بغرض إقامة الصلاة من أجل المحاربين الصليبيين في الأراضي المقدسة. وهذه الكنيسة تعتبر واحدة من أقدم أربع كنائس دائرية موجودة في بريطانيا حتى الوقت الحاضر.

ويضيق المكان والصفحات في هذا الكتاب عن تتبع الكنائس والكاتدرائيات والقلاع والجامعات في كل ربوع بريطانيا، لذلك اكتفي بأن أقول أن الزائر بوسعه أن يرى كاتدرائية سالزبوري Salisbury في الجنوب الوسط، وبالقرب منها إلى الجنوب الشرقي نجد قلعة أرندل Arundel التي أسست عام ١٠٦٧م، حيث لجأت إليها الملكة ماتيلدا Matilda في عام ١١٣٧م عندما قام الصراع على الحكم في انجلترا، وبداخل القلعة غرف مكتوب عليها «هنا أقامت ماتيلدا ١١٣٧م».

وإلى جانب هذا فالمتخصص في الحروب الصليبية والتاريخ الإسلامي عليه ألا ينسى العالم العربي خاصة العراق وبغداد، وسوريا ودمشق، ولبنان وبيروت، والاردن وعمان وفلسطين والقدس ومصر والقاهرة والمغرب العربي وتونس والرباط ومراكش. والحقيقة أن زيارة هذه الأماكن والشعور بها وتنفس هواءها وشرب مياهها وتذوق أطعمتها تكون المؤرخ لماماً من الاحساس بالتاريخ، وبوسعه أن يقرأ المصادر والمراجع الخاصة بسهولة، لأن معايشة هذه الأماكن تساعد المؤرخ كثيراً على الشعور بأحداث الماضي وتخيلها بصورة أقرب للواقع تمكنه من صياغة الأحداث بصورة تكاد تكون حية يستطيع أن يقنع القارئ بالوقائع.

الحاسب الآلي :

ومن العوامل المساعدة في علم التاريخ حالياً التعامل مع الحاسب الآلي (الكومبيوتر). ليس لكتابة الرسائل أو الأبحاث بل الأهم من ذلك فهناك العديد من المواقع التاريخية التي تتعامل وتقدم مصادر تاريخ العصور الوسطى في أوربا والامبراطورية البيزنطية والحروب الصليبية وغير ذلك، وهذه المواقع هي في واقع الأمر تتنافس بين جميع جامعات العالم في أوربا وأمريكا واستراليا، وهي تقدم هذه المصادر باللغة الانجليزية بعد ما تم ترجمتها من لغتها الأصلية سواء أكانت اليونانية أو اللاتينية أم غير ذلك.

ويوجد في المواقع أجزاء متخصصة مثل المصادر اليابانية أو المصادر النورمانية في ايطاليا وصقلية، وقد تخصص بعض أساتذة الجامعات في هذه المواقع وتقدم المصادر بمقابل أو بمقابل زهيد ويمكن للباحث أن يتصل بهذه المواقع ويطلب منها ما يريد في تخصصها. وبالإضافة إلى ذلك فإن جميع المؤتمرات التي تعقد في كل المجالات ومنها التاريخ، يعلن عنها في مواقع متخصصة وبامكان المؤرخ الاطلاع على موضوع المؤتمر والمشتركين فيه من كبار العلماء، وكافة البيانات التي يطلبها، كما أنه يستطيع أن يطلب مجلدات المؤتمرات بعد طبعها، أو الاشتراك في الاطلاع عليها.

عوامل نجاح الرسالة :

قبل البدء في عوامل نجاح الرسالة يجدر بنا تعريف الرسالة، ويمكن إيجاز هذا التعريف بأن الرسالة أو الأطروحة هي بحث علمي جاد يتولى الباحث إعداده طبقاً لمنهج علمي بعيداً عن التحيز وأن يكون مؤيداً بالمصادر والمراجع والأسانيد، ويضاف إلى ذلك إذا كانت رسالة دكتوراه أن يكون البحث مبتكراً فيه إضافة علمية لموضوع التخصص.

وواقع الحال أن البحث العلمي التاريخي له درجات متعددة، وأول هذه الدرجات هي مطالبة الطالب في مرحلة الليسانس ببعض البحوث رغم أن هذا

الأمر في الجامعات المصرية ذات الأعداد الكبيرة يعتبر من المشقة بمكان على الطالب والأستاذ، وبالنسبة للطالب ربما تكون الكتب المطلوبة للبحث غير متوفرة في مكتبة الكلية أو الجامعة التي يدرس فيها الطالب، كما أن الإمكانيات المادية للطلاب لا تمكنهم من الانتقال إلى المكتبات الرئيسية في الجامعات الكبيرة، وإذا توفر ذلك فاللغات تصبح عائقاً آخر أمام الباحثين.

والمهم هنا أن ما ينبغي أن يكون، هو مطالبة الطلاب في مرحلة الليسانس ببعض البحوث، ولا ننتظر من طلاب مرحلة الليسانس أن يقوموا ببحوث أصيلة مبتكرة يصل فيها إلى نتائج غير معروفة، ولكن المطلوب منهم أن يتعرفوا على بعض الكتب التي تتناول موضوع ما في تخصصهم واختيار جانبا من هذا الموضوع بمساعدة الأستاذ من أجل التدريب على البحث العلمي، وغالبا ما يطلب منه ملخص عن موضوع معين مثل تاريخ صلاح الدين ويوثق هذه المعلومات من المراجع التي رجع إليها ويتعلم كيف يناقش الأحداث وما يوضع في متن البحث أو في هوامشه وكيف يكتب الحاشية باسم المؤلف، وعنوان الكتاب والدولة أو المدينة التي طبع فيها هذا الكتاب وسنة الطبع وأخيراً أرقام الصفحات. والطالب في هذه المرحلة يطلع على هذه المراجع سواء أكانت موجزة أو متوسعة، وما هي المصادر التي وجدها في الكتاب، وهل يمكن الوصول إليها.

والدرجة الثانية من البحوث هي البحوث التي يقوم بها طلاب الماجستير، وهنا الأمر يتطلب اختيار جانب واحد من تاريخ صلاح الدين، مثل كيف قامت الدولة الأيوبية في مصر، أو كيف كانت العلاقة بين صلاح الدين ونور الدين، أو كيف استعد صلاح الدين لمحاربة الصليبيين، أو أسباب ونتائج معركة حطين، أو صلاح الدين والحملة الصليبية الثالثة وهذا الموضوع يقسم إلى عدة موضوعات منها: استعدادات صلاح الدين لملاقاة القوات الصليبية، أو كيف تعامل صلاح الدين مع الأخبار التي وردت إليه بقدوم الجانب الألماني من الحملة عبر آسيا الصغرى، أو كيف تعامل صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد Richard The Lion-Heart ملك انجلترا ١١٨٩ - ١١٩٩م، أو مراحل

المفاوضات بين صلاح الدين وريتشارد، وهكذا في جميع موضوعات تخصص العصور الوسطى بجميع فروعها. وغالباً ما تكون هذه البحوث في صفحات محددة يبين فيها الطالب عنوان البحث وأهميته وسبب اختياره والنقاط الرئيسية التي يتناولها وأهم المصادر والمراجع التي استقى منها الطالب مادته التاريخية، وما هي النتائج التي توصل إليها.

أما في مرحلة التسجيل لدرجة الماجستير فالأمر يختلف عما سبق، لأن على الطالب أن يختار موضوعه بنفسه، وعلى الأستاذ المشرف والطالب أن يتأكدا من صلاحية الموضوع والقدرة على إنجازه، وهل تتوفر المصادر والمراجع للموضوع داخل البلاد أم خارجها وكيفية الحصول عليها، أم هي متوفرة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وهل لدى الطالب معرفة باللغة التي عليها هذه المصادر. وعند مرحلة اقتناع المشرف بالعمل المقدم عليه الطالب تتحول العلاقة بين الأستاذ والطالب إلى علاقة أخرى قائمة على أساس تحمل الطالب للمسئولية وعلى تبادل الآراء. وهنا يمكنني القول بخبرتي الطويلة أن الطالب يصبح أستاذ بحثه وعلى أستاذه المشرف التوجيه وإيضاح بعض الغموض لقضايا البحث ومشكلاته.

وعند هذه المرحلة أنصح الطلاب بألا يختارون موضوعاتهم بطريقة عشوائية لأن الاختيار له أسس وقواعد وهو أساس الرسالة الناجحة، فعلى الباحث أولاً أن يطلع على كل ما كتب في تخصصه وسوف يكتشف بنفسه ما هي الموضوعات التي يمكن دراستها ولم تدرس بطريقة كافية من قبل، وهذه نقطة في غاية الأهمية ولا يكتشفها الطالب الا بعد الانتهاء من رسالته، لأن المطلوب من الطالب أن يقدم في بداية رسالته تحليلاً عن المصادر والمراجع التي رجع إليها والدراسات السابقة في الموضوع فإذ لم تكن قراءات الطالب واسعة ربما يكتشف بعد مدة أنه يدرس موضوعاً سبق دراسته وبذلك يقدم الطالب عملاً هزيلاً.

فالاطلاع على الدراسات السابقة في الموضوع الذي ينوي تسجيله هام

جداً. وبعد ما يتأكد الطالب أن موضوعه لم يدرس من قبل بدرجة كافية، وأن المصادر والمراجع يمكن الحصول عليها بطريقة أو بأخرى يكون الطالب قد اقتنع تماماً بالموضوع المراد تسجيله، وهنا يمكن القول أن الطالب لا يختار موضوع بحثه، ولكن الموضوع هو الذى يختار الطالب. وواقع الحال أن على الطالب الا يختار موضوعاً لا يميل إليه ويشعر أنه استقر فى وجدانه، لأن الطالب يفرح عندما يختار له البعض موضوعاً ويسجله دون أن يسبر أغواره وستكون الكارثة عندما يتضح عدم وجود المصادر أو أن المادة التاريخية الموجودة فى المصادر لا تكفى لكتابة الرسالة أو غير ذلك من الأسباب التى تجعل الطالب يصاب بالاحباط، وعليه أن يبدأ من جديد بموضوع آخر، وعلى الطالب عندما يفكر فى البحث العلمى عليه أن يدرك تماماً أن البحث العلمى التاريخى هو القيمة الفكرية المضافة للمادة التاريخية الأصلية.

والحقيقة أن البحث العلمى فى حقل العصور الوسطى أمر ليس بالصعب ولكنه أمر ليس بالسهل أيضاً لأننا لازلنا متأخرين فى مجال البحث العلمى فى العصور الوسطى الأوربية لأننا لا نملك إلا القليل من مصادر هذه العصور، وأن علماء الغرب الأوربى وأمريكا قد سبقونا بمراحل فى هذا المجال وأعدوا لذلك إعداداً جيداً مثل جمع المصادر التاريخية ونشر بعضها بلغتها الأصلية أو ترجمة جانباً كبيراً منها إلى اللغات الأوربية الحديثة، وأن فرنسا وانجلترا بلغت شوطاً كبيراً فى هذا الجانب منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى.

وأود أن أذكر فى هذا المقام أنه ينبغى على المهتمين بالدراسات التاريخية والهيئات العلمية المتخصصة أن تسعى للعمل على تيسير الدراسات التاريخية وذلك بتوفير المصادر التاريخية اللازمة خاصة بعد ما وصل العلم إلى درجة متقدمة من التقنية فى التصوير والطباعة ونقل المعلومات عن طريق شبكة المعلومات (الانترنت).

ومن عوامل نجاح الرسالة دقة اختيار عنوان الموضوع، وما يندرج تحته من عناوين الفصول لأن هذا العنوان هو المحور الرئيسى للبحث، فإذا كان

العنوان غير دقيق فإن الباحث سوف يضل الطريق ويضيع وقتاً طويلاً فى جمع مادة ليس فى حاجة إليها أو لا يجمع مادة هو فى أشد الحاجة إليها. وبداية أقول أن عنوان الرسالة التاريخية لابد أن يتضمن مكاناً وزماناً ودولاً أو شخصيات أو ما يشابه ذلك بحيث لا يكون هناك لبس أو غموض.

وحتى يتضح هذا المفهوم نقول مثلاً والحملة الصليبية الخامسة على مصر (١٢١٨ - ١٢٢١م - ٦١٥ - ٦١٨م)، ويمكن أن يكون العنوان:

الحملة الصليبية الخامسة

(حملة جان دى برين على مصر)

١٢١٨ - ١٢٢١م / ٦١٥ - ٦١٨هـ

وسوف أقدم عنواناً آخر فيه بعض الغموض ومن ذلك:

بيزنطة وسياستها الشرقية فى عهد الامبراطور مانويل الأول

١١٤٣ - ١١٨٠م / ٥٣٧ - ٥٧٦هـ

وهنا يكون بعض الغموض فى هذا العنوان لأن هذا يعنى من الناحية اللغوية أن الباحث سوف يتناول موضوع من جزئين، الأول وهو بيزنطة ثم سياستها الشرقية، فإذا كان الباحث يقصد ذلك فيكون ما قدمه صواب. أما إذا كان الباحث يقصد دراسة السياسة الشرقية فقط فيجب أن يكون العنوان:

السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الإمبراطور مانويل

١١٤٣ - ١١٨٠م / ٥٣٧ - ٥٧٦هـ

وفى هذا العنوان أيضاً بعض الغموض، فما هو المقصود بالسياسة الشرقية، أى مع كل الدول التى تقع فى شرق الامبراطورية البيزنطية. فإذا كان هذا هو المطلوب فلا ضرر، إما إذا كان المقصود بالدول الملاصقة وقريبة من الحدود الشرقية فهنا يكون الطالب قد أخطأ، ويمكن معالجة ذلك بوضع عنوان

إضافي تحت العنوان الرئيسي للموضوع. ولما كان المفروض أن يكون عنوان الرسالة قصيراً إلى حد كبير، فيمكن للباحث أن يترك العنوان كما هو وعليه أن يوضح ذلك في أول صفحة من الرسالة فيقول عنوان رسالته ثم يقول والمقصود بذلك هو دراسة الدول المتاخمة للحدود الشرقية أو القريبة منها وهي سلطنة سلاجقة الروم، وإمارة الأرمن، والامارات الصليبية في بلاد الشام، والدويلات في بلاد الشام، ودولة مصر.

وإلى جانب هذا كله فليس العنوان شيئاً مقدساً، انما يستطيع الطالب أن يغير عنوان الموضوع في إطار الحيز الزمني والمكاني الذي اختاره من قبل أو في حيز أقل، ولا ضرر في ذلك بشرط الا يكون هذا التغيير جوهرياً حتى لا يعتبر التغيير تسجيلاً جديداً ويضيع على الطالب مدة التسجيل السابقة. وعلى الطالب إذا شعر أنه لا يستطيع التعامل مع الموضوع الذي اختاره لسبب أو لآخر فعليه الا يعاند نفسه ويكابر بل عليه أن يتوقف ويغير الموضوع حتى لو كان تسجيلاً جديداً.

ومن عوامل الرسالة الناجحة أيضاً الدقة في نقل المادة التاريخية وترجمتها إذا لزم الأمر بكل دقة أيضاً حتى لا يبني نتائجه على معلومات مغلوطة فتكون النتائج خطأ، كما يجب على الباحث أن يتفهم آراء الأخرين، وعليه أيضاً ألا يأخذ آراء الأخرين على أنها حقيقة، فبعض الآراء تقوم على أساس غير سليم أو لأسباب مغرضة. وعلى الطالب أن يدرس الأسس التي قامت عليها هذه الآراء، ويأخذ بما يراه سليماً وينقد ما يراه غير سليم معتمداً على أسس حقيقية.

يضاف إلى ذلك أن على الباحث أن يقدم إبتكاراً وإضافة جديدة إلى ما هو معروف في التخصص الذي يدرسه الطالب، لأنه من المسلم به أن يبدأ الباحث حيث انتهى الأخرون، وليس الابتكار أو الإضافة هو كشف ما هو غير معروف فقط، بل هناك نقاط أخرى تعنيها كلمة الإضافة أو الابتكار، ومن ذلك إعادة ترتيب المادة التاريخية ترتيباً مفيداً، أو الوصول إلى أسباب جديدة

لحقائق معروفة، أو إعداد موضوع مرتب من مادة تاريخية متناثرة في بطون الكتب.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الباحث يقدم رسالة لتقرأ لا أن توضع على الأرفف، ولذلك فعلى الباحث أن يبذل كل ما يستطيع ليكون مقنعاً قوي التأثير في القارئ، ومن هنا يجب على الباحث أن يقدم من الأدلة ما يقنع الأخرين بما يحثه في رسالته، بأن تكون الافكار مرتبة والجمل مترابطة مع سلامة اللغة ودقة تعبيرها وعليه ألا يستطرد أو يقدم جملاً مبهمة أو عبارات تحمل أكثر من معنى، وأن تكون الصياغة في قالب علمي قوية التأثير في القارئ.

وآخر ما يمكن إضافته حول عوامل نجاح الرسالة هو التبويب السليم لفصول الرسالة، فيجب أن يكون الفصل متجانساً مع بعضه من ناحية الزمان أو المكان أو الفكرة الرئيسية بموضوع البحث، وان تكون الفصول مكملة لبعضها البعض وأن تخدم بعضها أيضاً. لذلك يجب اختيار العناوين الرئيسة للفصل بكل تأني ورويه لأن الفصول والعناوين الداخلية للفصول هي المحاور الرئيسة التي يتم جمع المادة على أساسها، ولو اختل ذلك فسوف يجمع الباحث مادة تاريخية ولا يعرف كيف ينظمها ليخدم بها فكرته، وسوف يبذل جهداً آخر لإعادة فرز وتنظيم هذه المادة.

والحقيقة أن الطالب غير ملزم بعناوين الفصول أو العناوين الداخلية لكل فصل، فبوسع الباحث أن يغير ويعدل ويحذف ويضيف طبقاً لما يحصل عليه من مادة تاريخية، فقد يكون الباحث قد وضع عنواناً داخلياً ثم لا يجد له مادة كافية، وعند هذه المرحلة فبوسع الطالب ضمه إلى العنوان الجانبي السابق له أو اللاحق. أما إذا لم يجد له مادة فعليه أن يلغيه. وعندما يحصل الطالب على مادة تاريخية لنقطة لم يكن قد سجلها من قبل في العناوين الداخلية فبوسعه أن يضع عنواناً داخلياً جديداً في المكان المناسب للرسالة. وإذا نجح الطالب في مراعاة ما سبق بكل دقة وتركيز تكون بوادر الرسالة الناجحة قد أصبحت حقيقة إلى حد كبير.

٣- جمع المادة التاريخية

تعريف المراجع.
تعريف المصادر.
المفهوم الفكرى لجمع المادة.
كيفية جمع المادة التاريخية.
تحليل المادة التاريخية.
الحواشى.
الصور والرسومات والخرائط.

المراجع:

قبل الدخول في الحديث عن جمع المادة التاريخية من المراجع والمصادر يجدر بنا التعريف بالمراجع والمصادر. فالمراجع هى الكتب التاريخية التى كتبها المؤرخون المحدثون مثل أساتذة الجامعات وهم محترفون كتابة التاريخ وهم بحكم مراقعهم العلمية لهم سمعتهم ومنهجهم وهم مسئولون عما يكتبون أمام طلابهم وقرائهم وهذه المراجع لها مصداقية إلى حد كبير، فالكمال لله وحده.
والمراجع التى يقدمها أساتذة الجامعات المتخصصون نوعان، الأول منها هى بحوث تنشر فى كتب أو فى مقالات وهى موثقة بالمصادر. أما الثانى منها فهى الكتب العامة التى تحتوى على منهج دراسى كامل مثل كتاب عن تاريخ الامبراطورية البيزنطية، وهى مرحلة تمتد إلى حوالى ألف عام ولا يستطيع الأستاذ أن يقدم مثل هذا الكتاب كما يقدم بحثاً فى نقطة محددة، فهو مرجع عام وضعت فيه الخطوط العريضة للموضوع، وهناك أيضاً من هواة كتابة التاريخ، وهذه الكتب عادة لا يؤخذ بها فى التوثيق لرسائل الماجستير أو الدكتوراه.

المصادر:

أما المصادر التاريخية فهى الكتب التى سجلها المؤرخون القدامى الذين عاصروا الأحداث، وربما يكون بعضهم شهود عيان، أو المؤرخون الذين سجلوا

الأحداث بعدها بوقت مناسب وتسمى هذه مصادر متأخرة زمنياً. وإلى جانب هذه الكتب توجد الوثائق وهى الرسائل الرسمية التى يتبادلها الحكام أو المسئولون مع بعضهم البعض حول مسائل معينة مثل شروط هدنة أو اتفاقيات تجارية أو فك أسر بعض الجنود أو إخطار بأحداث مثلما حدث عندما أرسل الامبراطور البيزنطى إسحق الثانى (١١٨٥- ١١٩٥م) رسولاً إلى صلاح الدين يحمل خطاباً يخبره فيه بوصول الامبراطور الألمانى فريدريك بارب روسا Frederick Barbarosa (١١٥٢- ١١٩٠م) إلى أراضى الإمبراطورية وعبوره المضيق إلى آسيا الصغرى فى طريقه إلى بلاد الشام. هذا بالإضافة إلى كل المواد الأثرية أو الأدبية أو ما سجله الرحالة يتعلق بموضوع الدراسة.

ومن المصادر المخطوطات التى لازالت بلغتها الأصلية أو نسخة منها، وواقع الحال أن التعامل مع المخطوطات يعتبر صعباً من ناحية الخط الذى كتبت به المخطوطات، وفى بعض الأحيان يكون قد تلف أو تآكل جانب من الكتابة. والحقيقة أن عدد المخطوطات الموجودة فى مصر كثيرة وتحتاج إلى أجيال للعمل فيها. ولقد قام مركز تحقيق التراث التابع لوزارة الثقافة بجهد كبير فى تحقيق بعض هذه المخطوطات وهى بين أيدينا نتعامل معها بكل فخر. وأود أن أشير هنا إلى بعض المعلومات وهى أنه يمكن نشر المخطوطات فقط، أى أن تقوم هيئة أو فرد بطبع المكتوب فى المخطوط كما هو دون إضافة. ومثال ذلك كتاب ابن الأثير: الكامل فى التاريخ الذى طبع فى مدينة ليدن فى اثنى عشر مجلداً عام ١٨٥٣م.

أما تحقيق المخطوط فهو عمل علمى كبير، ويبدأ من يريد تحقيق المخطوط بجمع كل النسخ للمخطوط المراد تحقيقه من جميع أرجاء العالم، وبعد ذلك عليه أن يقرأ كل هذه النسخ وسوف يجد بعض الاختلاف فى كل نسخة ناتج عن خطأ فى النسخ، وقد يجد نسخ مصورة مكررة وعليه أن يستبعد النسخ المكررة ويحصر ما تبقى من النسخ ويختار أفضل النسخ ويعتبرها عامود التحقيق ويطلق عليها مثلاً رقم (أ) ثم يرتب النسخ بعد ذلك ويضع النسخ الأقل خطأ لتكون رقم (ب) وهكذا. وعليه بعد ذلك أن يضبط النسخة الأولى

على ضوء النصوص الواردة فى النسخ الأخرى أو المصادر الأخرى التى كتبت فى الموضوع ذاته. ومن الأمثلة على ذلك كتاب «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» أو «سيرة صلاح الدين الأيوبى» لمؤلفه بهاء الدين بن شداد الذى حققه المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال وطبعته الدار المصرية للتأليف والترجمة طبعة أولى عام ١٩٦٤م.

أما الدرجة الثالثة من التعامل مع المخطوطات هو التحقيق والتعليق أو وضع الحواشى أو تصحيح مع وضع الحواشى. وهذا النوع يمر بكافة خطوات مراحل التحقيق السابق ذكرها. ولكنها تزيد عنه بوضع حاشية لكل معلومة تاريخية وردت خطأ، والتعريف بكل شخصية ورد أسمها صحيحاً أو خطأ أو محرف، ووضع حاشية لكل المدن والبلاد والقلاع المندرسة أو تكون غير واضحة للقارئ، ووضع حاشية أيضاً عن كل الوظائف والمصطلحات التى ترد فى متن الكتاب مثل الطبلخاناه أي الموسيقى السلطانية، والحراقة وهى نوع من السفن الحربية إلى غير ذلك مما يجعل القراءة للكتاب سهلة وميسورة. وواقع الحال أن ذلك يعتبر من الأعمال العلمية الكبيرة وتحتاج إلى سنوات طويلة أو إلى مجموعة عمل لانجازه. ومن هذه الأعمال كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمؤرخ الكبير المقريزى وقام بتصحيحه ووضع حواشيه لبعض أجزائه المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زياده وصدر عن مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٣٤م وما بعدها.

وبعد هذا التعريف بقيمة المراجع والمصادر فالأفضل للباحث أن يبدأ بالمراجع العامة الموثوق بها فى موضوع تخصصه مثل الكتب التى كتبت عن الحروب الصليبيــة أو عن أوربا فى العصور الوسطى أو عن الامبراطورية البيزنطية ليتفهم الحقبة الزمنية بأكملها، ويجمع المادة التاريخية التى تناسب موضوعه ويسجل ما يراه من ملاحظات، ثم يبدأ المرحلة الثانية بدراسة الكتب التى كتبت فى الفترة الزمنية موضوع دراسته، وعليه أن يختار ما يساعده على كتابة موضوعه، وتسجيل المصادر والمراجع التى رجع إليها المؤلف، وأرقام

الصفحات وكل ما يساعده على جمع المادة التاريخية. وبعد أن يستوعب ويلم بكل ما ورد فى هذه المراجع المتخصصة ينتقل إلى المصادر التى رصدها من قبل وعدد صفحاتها ويطلع على كل مصدر بكل تركيز ويجمع مادته التاريخية. وهنا أنصح الطالب بالرجوع إلى المصادر التى لها ترجمات حديثة، وأخيراً ينتقل الطالب إلى المصادر المكتوبة باللغات القديمة مثل اليونانية أو اللاتينية. وقبل أن يترك الطالب أى مصدر عليه أن يركز على المادة التاريخية التى سبق أن وردت فى المراجع وبين المادة التاريخية التى لم يستخدمها الباحثون السابقون. ومن هنا سوف يدرك الباحث الجديد الذى سوف يضيف إلى موضوعه. وهنا ملاحظة أود أن أذكر بها الباحث فعليه أن يسجل بيانات المراجع والمصادر التى رجع عليها وأرقامها فى المكتبات أو من أين حصل عليها حتى يمكنه الرجوع إليها إذا لزم الأمر.

المفهوم الفكرى لجمع المادة:

وقبل الدخول فى عملية تفاصيل جمع المادة التاريخية أود أن أقول للباحث مفهوماً فكرياً أساسياً يتم على أساس جمع وتصنيف المادة التاريخية وهذا المفهوم يمكن وضعه فى النقاط الآتية:

الشخصيات	الزمان	المكان
الأسباب	الأحداث	النتائج
الثابت	الثابت المتغير	المتغير
الأصالة	معاصرة الأحداث	حداثة العرض

ومن المهم للباحث أن يضع هذه المفاهيم وهو يجمع المادة التاريخية حول نقاط البحث وقضاياه لأنه بدون هذا المفهوم فسوف يقوم الباحث بجمع المادة التاريخية دون وعى وسوف يفوته الكثير من النقاط التى يجب أن يبحث عنها فى بطون المراجع والمصادر ويقدم بحثاً هزيلاً.

وبداية تقول الشخصيات، فلا يوجد عمل ما إلا وكانت الشخصيات إحدى دعائمه، فإن كانت هناك معركة فلابد من وجود قائد أكبر وقادة مساعدون. فإذا كان هؤلاء القادة حربيون فلا يصلحون لقيادة المشاة والفرسان والعكس صحيح. وإذا كان العمل يقوم على أساس العمل السياسي أو الدبلوماسي فيجب أن يكون هؤلاء الأشخاص مختارين بكل عناية ولهم دراية كافية حول ما سوف يقومون به من أعمال وهكذا، فإذا كانت الشخصية مناسبة للعمل الذى تولت القيام به فتلك بوادر النجاح.

أما الزمان فهو عامل هام جداً، ولا يوجد عمل ليس له زمان، والمقصود بالزمان هو التاريخ الذى دارت فيه الأحداث، فإذا اختار المعنيون بالأمر الزمان المناسب فيكون ذلك من عوامل نجاح المهمة والعكس صحيح، ومن هذه الأمثلة أن الحملة الصليبية الخامسة تحركت من مدينة دمياط جنوب القاهرة وقت فيضان النيل، فما كان من القوات الإسلامية إلا استغلال ارتفاع مستوى الماء في نهر النيل وفروعه وكسرت الجسور وأغرقت المعسكرات الصليبية ففشلت الحملة وجلت عن مصر. يضاف إلى ذلك أن المناخ له دور كبير في المعارك، فالقتال في الصيف غير القتال في الشتاء، إلى غير ذلك.

وفيما يتعلق بالمكان فهو هام جداً، فهل قامت المعركة في مكان مرتفع، ومن كان يسيطر على الموقف، فمن المعروف عسكرياً في العصور الوسطى أن من يملك المرتفعات يسيطر على الأماكن المنخفضة، وهل كان القتال في أرض مسطحة، وهل كان المكان صحراء، أو غابات، وهل كان لدى القوات الغذاء والماء، وهل كان بالإمكان الحصول عليه من الانهار أو الآبار القريبة، وهل كان على القوات عبور بعض الأنهار أم لا، يضاف إلى ذلك موانع الحصون والأسوار وغير ذلك من الأمور التى يلعب فيها المكان دوراً فى العمليات العسكرية، كما أن خطوط الأمدادات لها أكبر الأثر فى العمليات العسكرية.

وفيما يتعلق بالأسباب التى أدت إلى وقوع الأحداث فهي كثيرة

ومتعددة، ومن ذلك هناك أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة، كما أن هناك أسباب معلنة وأسباب غير معلنة، وهناك أيضاً ذرائع ومفردها ذريعة ومعناها أن يتوسل الانسان بوسيلة مثل حرب العراق الأخيرة. وهذه الأسباب والذرائع متعددة فمنها الأسباب الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعرقية وغير ذلك من الأسباب التى تعلنها الدول لمحاربة الدول الأخرى.

أما الأحداث فربما تكون حدثاً واحداً مثل معركة واحدة تؤدى إلى نتائج حاسمة، أو أن هناك معارك متعددة، أو أن المعارك قد تخللها بعض المفاوضات، وهل انتهت المفاوضات فى جولة واحدة أم استغرقت عدة جولات، وهل وقعت الأحداث فى أيام أو أسابيع متقاربة أو متباعدة بحيث تعطى لأحد طرفي الصراع الفرصة للحصول على بعض الامدادات أو النجدات من الدول المتحالفة، وهل كانت المفاوضات تتم لكسب الوقت أم هى مفاوضات جادة يراد بها حل المشكلة.

وعن النتائج فكل حدث سواء كان معركة أو مفاوضات أو غير ذلك فلابد أن تكون له نتائج، فهل انتهى الأمر بانتصار القوات وسيكون لذلك نتائج للمنتصر، أما إذا انتهت بالهزيمة فسيكون هناك نتائج مختلفة، أما المفاوضات فغالباً ما تكون متوازنة إذ لم يكن هناك نصراً أو هزيمة، أما إذا كانت المفاوضات بعد الانتصار فهنا يفرض المنتصر شروطه على المهزوم. وواقع الحال أن النتائج بعد المعارك تكون سياسية أو اقتصادية أو كلاهما معاً. وعندما تكون هناك مفاوضات ربما تتضمن النتائج أكثر من ذلك لانها تحتوى على تسوية شاملة لإزالة أسباب الصراع والتوتر. وهناك نتائج لاحقة للأحداث ونتائج بعيدة المدى. وهذه أمور لا يمكن وضع قواعد لها إنما تدرس كل حادثة على حدة.

وفيما يتعلق «بالثابت» فالمقصود بهذه الكلمة أن المسافة بين القاهرة

وأن أماكن القلاع ثابتة أيضاً وأن وجود الأنهار وغزة ثابتة مدى الحياة والمراوى والكبارى والجسور ثابتة كذلك. أما الثابت المتغير فهو أن التعامل مع كل هذه الأمور وغيرها من الثوابت يختلف من فصل مناخى عن فصل آخر، بمعنى أن المسافة الثابتة من القاهرة إلى غزة تختلف فى معطياتها فى الصيف عن الشتاء.. فالطريق فى الصيف صحراوى جاف يحتاج إلى ماء للمقاتل والخيول وأن السير فيه صيفاً يسبب الإرهاق. أما فى الشتاء فيمكن أن يكون هناك عشب للخيول ومياه للشرب بالإضافة إلى أنه أقل إرهاقاً فى السير شتاء عن السير فى الصيف. كما أن الأنهار أو النهيرات خصوصاً فى بلاد الشام نجدها جافة فى الصيف، أما فى الشتاء فهى تملأ بمياه الأمطار وفى الربيع تملأ من ذوبان الثلوج وكل هذه الأمور من الأهمية بمكان لكى يضعها القائد العسكرى فى حساباته قبل القيام بأى عملية عسكرية. أما المتغير فهو أن يتولى القيادة قائد خبير بالأمور العسكرية إذا كانت المعارك برية، وقائد خبير بالأمور البحرية إذا كانت المعركة بحرية، وأن وضع القائد المناسب فى المعركة المناسبة هو من مفاتيح النصر لأى عملية عسكرية. لأن تحريك الجيوش أو البحرية والاستفادة بقدراتها إلى أقصى طاقة ممكنة هو من الأهمية بمكان فى تاريخ المعارك العسكرية، وفى كثير من الأحيان يكون تغير القيادة عاملاً كبيراً من عوامل النصر أو الهزيمة.

أما الأصالة فهى متعددة المفاهيم، ولكن المقصود هنا هو أصالة المصادر التى يرجع إليها الباحث، سواء كانت كتب منشورة أو وثائق، وعلى الباحث أن يتشكك أولاً فى كل ما هو مكتوب خاصة فيما يتعلق بالوثائق، هل هى أصلية أو مزورة، أو أن هناك فى الوثيقة جانباً سليماً وجانباً مزوراً، وهنا أمر يحتاج إلى خبرة الباحث وإذا تعذر عليه موضوع فمن الطبيعى أن يلجأ إلى المشرف أو إلى أحد المتخصصين فى هذا الجانب.

وفيما يتعلق بمعاصرة الأحداث، فعلى الباحث أن يلجأ إلى المصادر التى عاصرت الأحداث، ومن الأفضل أن يكونوا شهود عيان أو فى مراكز تمكنهم من

الاطلاع على القرارات الخاصة بالأحداث، وإذ لم يتيسر ذلك للباحث أو أنه لم يجد مادة كافية فى هذا كله فله أن يلجأ إلى المصادر المتأخرة زمنياً لعلها نقلت من مصادر أصلية تكون قد فقدت أو أضافت إلى المصادر الأولى بعض المفاهيم أو العبارات التى تسهل على الباحث فهم النصوص. وأود ما أن أقول أنه لا يوجد مصدر واحد يتضمن كل أحداث حدث ما. فالمصادر تكمل بعضها البعض وما كتب فى المصادر الإسلامية حول حدث ما يكمله ما ورد فى المصادر الأجنبية، يضاف إلى ذلك ما يستنتجه الباحث.

ومن المعاصرة أيضاً التعامل مع المكان خاصة ما يتعلق بوصف المدن وأسوارها وتحصيناتها، ومن الفضل هنا أن يلجأ الباحث إلى الكتب الجغرافية وكتب الرحالة الذين عاصروا الأحداث لأنهم يقدمون للباحث وصفاً واقعياً، أما إذا رجع الباحث إلى مصدر متقدم زمنياً فربما يقدم لنا وصفاً للمدينة ولها سور واحد، وربما كان هناك سوران للمدينة وقت المعركة فهنا يقع الطالب فى خطأ، والشئ نفسه ينطبق على المصادر المتأخرة زمنياً فربما أضيف سور ثالث أو أضيفت قلعة داخل المدينة أو أبراج على سور المدينة. فعلى الباحث أن يبحث بدقة عن شكل المدينة وقت وقوع الأحداث التى يدرسها فى الزمن المطلوب. وهناك بعض الجوانب الأخرى تتعلق بالمعاصرة سوف نتحدث عنها عند الحديث عن تحليل المادة التاريخية.

وعن حداثة العرض، فالمقصود بها أن تكون كتابة الرسالة بطريقة حديثة يتفهمها القارئ، ومن ذلك أن الطالب يجمع المادة التاريخية من مصادر مختلفة، وكل مصدر له أسلوبه وبعض المصادر بها ألفاظ أو مصطلحات غير واضحة للقارئ. أضف إلى ذلك ما يقوم الطالب بترجمته من لغات مختلفة بعضها إنجليزى أو فرنسى أو لاتينى أو يونانى وغير ذلك من الكتب الأجنبية التى تناولت جانباً من الموضوع، وعلى الطالب أن يتفهم كل ذلك ويقدمه بأسلوب مترابط دون أن يشعر القارئ بالفرق حتى تخرج الرسالة كلها بنمط واحد هو أسلوب الباحث. وإذا أراد الطالب أن يقتبس كلمة أو أكثر فعليه أن

بضعها بين «قوسين» بحيث يتمشى أعرابها مع ما سبقها وما يلحقها بشرط أن تخدم قضية البحث.

وإذا أراد الباحث أن يحذف جملة أو سطرا مما ورد داخل القوسين فعليه أن يضع بدلها ثلاث نقاط. أما إذا كان الحذف كثيراً فعلي الطالب أن يكمل السطر الذي بدأ الحذف منه بالنقط ثم يضع السطر الثاني بالنقط فقط ثم يبدأ من أول السطر الثالث بالمطلوب.

أما إذا أراد الباحث تفسير كلمة وردت بين القوسين فإنه يضع التفسير بين قوسين مركتين [ ].

وفي ختام هذا المفهوم أقول أن على الباحث أن يضع ذلك في الاعتبار ويتعامل معه بكل دقة حتى يستطيع أن يجمع المادة التاريخية الخاصة بموضوع بحثه على أسس سليمة وحتى لا يبذل جهداً مضاعاً إذا جمع المادة التاريخية دون وضوح هذه الرؤية.

كيفية جمع المادة التاريخية :

وفي بداية الحديث أود أن أسوق مثالاً للباحث، فعندما كنت في المراحل الأولى للحياة الأكاديمية وكنت بدرجة مدرس حديث، أشركني أستاذي معه في الاشراف على إحدى الطالبات وذلك بسبب إعارته للخارج، وعندما علمت الطالبة بذلك حضرت إلى فسألتها، ماذا فعلت حتى الآن. قالت لقد قمت بجمع معظم المادة التاريخية، فناقشتها في الأمر، وأخيراً تبين أنها صورت الصفحات الخاصة بموضوعها من العديد من الكتب، فقلت لها أنت لم تجمعي مادة تاريخية انما قمت بنقل المادة من المكتبات إلى المنزل.

وواقع الحال أن عملية جمع المادة تحتاج إلى تركيز وفهم وإدراك وتعايش، ثم تأتي عملية تصنيف دقيق للمادة التاريخية. وقبل أن يبدأ الباحث في عملية جمع المادة التاريخية هناك بعض الأدوات التي يحضرها الطالب، ومن هذه الأدوات بطاقات في حجم كف اليد من ورق مقوى ليدون عليها بيانات

الكتاب الذي يبدأ به ومن ذلك إسم المؤلف، عنوان الكتاب، إسم المترجم أو المحقق إن وجد، عدد أجزاء الكتاب، والجزء الذي رجع إليه، وبلد وتاريخ الطبع، والمكتبة التي بها هذا الكتاب ورقمه في هذه المكتبة حتى يتمكن الطالب بسهولة للعودة إليه إذا لزم الأمر أو في أبحاث مقبلة، ثم يقوم الباحث بتدوين ملاحظاته عن الكتاب خلف هذه البطاقة مثل عدد صفحاته، القيمة العلمية للكتاب، وهل ما ورد به موجز أو تعمق في جانب أو أنه كتاب سطحي، أو موثق من مصادر وغير ذلك من الأمور التي توضح قيمة هذا الكتاب. وأفضل أن يخصص الباحث لوناً معيناً لكل نوع من الكتب فليكن اللون الأحمر للمصادر الأجنبية واللون الأخضر للمراجع الأجنبية، والوان الأبيض للمصادر العربية واللون الأصفر للمراجع العربية واللون الأزرق للمخطوطات. وبهذه الطريقة يستطيع الطالب من نظرة واحدة بعد ستة أشهر مثلاً أن يعرف عدد ونوع الكتب التي رجع إليها، وحتى إذا اختلطت بعضها فيمكنه فرزها بكل سهولة.

أما الأدوات الأخرى فعلى الباحث أن يخصص لكل فصل من فصول الرسالة دوسية له كعب عريض ومزود بحلقات تفتح وتغلق لوضع الأوراق بعد تخريمها. ولما كان من المتعذر انتقال الطالب بهذه الدوسيات بين المكتبات فعليه أن يعد دوسيه على النمط السابق له كعب مناسب ويضع فيه خطة البحث ومجموعة من الأوراق الفارغة أفضل أن تكون في مساحة الكوارتو أو الفلوسكاب أي بمساحة الدوسية الذي معه تقريباً، هذا بالإضافة إلى عدد من البطاقات الخاصة بتسجيل بيانات الكتاب.

وعلى الطالب عندما يبدأ بجمع المادة أن يبدأ بأفضل كتاب تناول موضوعه أو جانباً منه مكتوباً باللغة العربية. ثم يبدأ بتسجيل بيانات الكتاب كما أسلفنا ثم يحدد عدد الصفحات التي سينقل منها مادته التاريخية فإذا تيسر له تصوير هذا الجزء وواجهة الكتاب بكل بياناته فهذا أفضل وإذا تعذر فعليه أن يجلس بالمكتبة ويبدأ في نقل المطلوب لجزء جزء ولو صغر على حدة،

بمعنى أنه وجد في صفحة واحدة كل الأسباب الخاصة بحدث ما، فعليه أن ينقل كل سبب في ورقة مستقلة ويسجل على نفس الورقة إسم المؤلف واسم الكتاب والجزء ورقم الصفحة، ولهذه الطريقة أهمية كبرى لأن الباحث سوف يجمع من كل الكتاب كل سبب على حدة وفى النهاية يستطيع أن يجمع كل أوراق سبب واحد مع بعضها، فتكون هناك مجموعة من الأوراق خاصة بالأسباب السياسية أو الدينية، أما إذا كانت هناك أسباب اقتصادية فعليه أن يضع عناوين فرعية مثل الزراعة، الصناعة، التجارة، طرق المواصلات برية أم بحرية أو نهرية، أو العملة وغير ذلك. وبهذه الطريقة يمكن للباحث جمع الأوراق الخاصة بكل نوع على حدة ويضعها فى الدوسية الخاص بها ثم فى الجانب المتخصص للأسباب الاقتصادية مثلاً، ولا ينسى الباحث أن يضع فى كل صفحة رقم الفصل والموضوع الجانبى للفصل. وبهذه الطريقة يكون الباحث قد جمع ورتب وصنف ما وقع تحت يده من مادة تاريخية، ولا ينسى الطالب أن يوضح فى نهاية كل صفحة المصدر أو المرجع المدون في الكتاب الذى نقل عنه وكافة بياناته بما فى ذلك أرقام الصفحات.

وهنا أود أن أضيف من خبرتى أن على الطالب أن يحمل معه كراسة أو كشكول مدرسى، وبوسع الباحث أن يخصص فى هذا الكشكول صفحة أو أكثر لكل مصدر أجنبى يجده فى حاشية من حواشى الكتاب الذى يجمع منه مادته. وفى نهاية الأمر يكون الطالب قد حصر عدد الصفحات المتعلقة بكل مصدر والموضوع المتعلق بهذه الصفحات، فإذا ما رجع لذات المصدر أياً كان لغته فبإمكانه أن يعرف مسبقاً الصفحات المطلوبة من هذا المصدر. وعلى الباحث الا يتوقف عن هذه المرحلة، بل عليه أن يقلب الكتاب ليرى عما إذا كان ما سبقوه قد نسوا جانباً لم يسجلوه، وهنا يدرك الطالب ما هو الجديد فى هذا الجانب.

وبعد أن ينتهى الطالب من أفضل كتاب تناول موضوعه أو جانباً منه يلجأ إلى كتاب أقل درجة، وهنا سوف لا يبذل الباحث الجهد الذى بذله فى

الكتاب الأول بل عليه أن يقرأه ثم ينقل منه ما لم يسجل فقط في الكتاب الأول، وهكذا يتدرج الطالب إلى الأقل فالأقل. وبعد أن ينتهى الطالب من الكتب المدونة باللغة العربية ينتقل إلى الكتب المدونة بلغته الأولى الأجنبية، ويبدأ بأفضل ما فيها، وربما يكون الموضوع مسجلاً فى عشرين أو ثلاثين صفحة فعليه أن يترجمها بكل عناية وربما يبذل جهداً كبيراً حسب قدرته على الترجمة، ولكن الجهد الذى يبذله سوف يستفيد منه فى الكتب الأقل فى المرحلة التالية لأنه استفاد من الترجمة وبوسعه أن يقرأ بسهولة، وعليه أن يسير على الطريقة نفسها الذى اتبعها مع اللغة العربية.

بعد ذلك ينتقل الباحث إلى لغة حديثة أخرى مثل اللغة الفرنسية ويسير فى الكتب بنفس الطريقة التى اتبعها مع الكتب العربيه ثم الإنجليزية، وبعد أن ينتهى منها يكون قد فهم موضوعه بصورة كبيرة وبوسعه أن ينتقل إلى الكتب المدونة باللغات القديمة مثل اللاتينية أو اليونانية. وأخيراً يتوجه الطالب إلى المخطوطات ويتعامل مع المخطوطات المعاصرة للأحداث ثم ما يليها وبهذه الطريقة يكون قد استوعب المادة التاريخية متدرجاً من السهل إلى الصعب، وفى كل مرحلة يتفهم موضوعه أكثر فأكثر.

وأود فى هذا الصدد أن أسجل أنه كلما جمع الطالب أجزاء صغيرة من المادة التاريخية يكون من السهل عليه أن يضع هذا الجزء فى المكان المناسب بالدوسية الخاص بالفصل وعناوينه. وكما سبق أن ذكرنا أن على الطالب أن يتحرك بالدوسية الصغير ومعه خطة البحث لينقل المادة فى جزئيات صغيرة، وعندما يعود إلى منزله عليه أن يضع ما جمعه من مادة بكل عناية فى المكان المناسب حتى إذا ما بدأ فى تحليل المادة التاريخية وضع أمامه كل ما جمعه من المادة التاريخية حول نقطة واحده ليسهل التعامل معها طبقاً للمنهجية العلمية التاريخية والمفاهيم الفكرية التى أوضحتها فى الصفحات السابقة.

تحليل المادة التاريخية:

من المسلم به أن المادة التاريخية لأي بحث علمي تجمع من بطون المصادر بكافة أنواعها. أما الآراء والأفكار ووجهات النظر فتؤخذ من المراجع، وعلي الباحث أن يفهم ذلك بوضوح قبل تحليل النصوص، فعندما يقوم الباحث بجمع المادة التاريخية من المصادر والمراجع عليه أن يفرق بين الجانبين، أما المادة التاريخية الموجودة في المصادر هي الأصل والمادة التاريخية الموجودة في المراجع فهي تعين الباحث علي فهم المصادر والقدرة علي التعامل معها.

ومن حسن حظ الجيل الحالي أن الأجيال السابقة فى مصر والعالم العربى والعالم الأجنبى قد تعاملوا مع معظم المصادر الخاصة بالعصور الوسطى بكافة فروعها فى الدراسات الصليبية والدراسات البيزنطية وما يتعلق بدراسات أوربا فى العصور الوسطى فى الجانب السياسى والحضارى. وعلى الباحث الحالى أن يستفيد من كل ما كتب من دراسات وبحوث حول هذه المصادر، فالتعرف على كاتب المصدر هام للغاية فهل هو متحيز إلى ما كتبه فى أحد الجوانب، وهل كان شاهد عيان لبعض الأحداث أم كلها، أم نقل من شهود عيان، ومدى قربه من الأحداث أو من صناع القرار المتعلق بالحدث، أم أنه كان يشغل منصب مرموق فى الدولة مكنته من الاطلاع على كل الوثائق أو بعضها.

ومن الأمثلة على النموذج الأخير أن المؤرخ البيزنطى نيكتاس خونياتس Nicetas Choniates فى كتابه «التاريخ» قدم بعض المعلومات المتعلقة بمعركة ميركيفالون Myriokephalon التى وقعت أحداثها بين سلاجقة الروم والإمبراطورية البيزنطية فى عام ١١٧٦م نجده قد أورد معلومات سجلها الامبراطور البيزنطى مانويل الأول Manuel I (١١٤٣ - ١١٨٠م) فى خطاب أرسله إلى الملك الانجليزى هنرى الثانى Henry II (١١٥٤- ١١٨٩م)، فكيف حصل هذا المؤرخ على هذه الوثيقة. لقد تبين أن المؤرخ نيكتاس كان يعمل

حاجباً فى البلاد البيزنطى، ولعله أطلع على هذا الخطاب أو أنه هو الذى كتب الخطاب بناء على تعليمات الامبراطور. ومن هنا يتبين أن المناصب التى تدرج فيها المؤرخ أو شغلها ساعدته على تسجيل الأحداث بصورة أقرب إلى الواقع.

وكما ذكرت أن المؤرخين المحدثين قد بحثوا وقدموا لنا معلومات قيمة عن المؤرخين الذين سجلوا فى المصادر التاريخية أحداث عصرهم. والواقع أن الأحداث التاريخية تعرف عن طريقين، الأولى هو ما سجل عنها، والثانية هى الآثار المتخلفة عن الأحداث، وتفسير الثانية أن قوات ما ضربت مدينة ما، فإذا زرت هذه المدينة تجد آثار الدمار والخراب الذى لحق بالمدينة. ومن هنا نقول أن ما يسجله الرحالة يمتاز فى أحوال كثيرة بدقة التفاصيل عن الأحداث، كما أن الرحالة يسجلون لنا صورة حية عن روح العصر الذي سجلوا أحداثه، وربما لا يتيسر ذلك للمؤرخ المتأخر زمنياً الذي ينقل من مصادر سابقة له أو عن روايات شفهية تتناقلها الأجيال.

وهناك نقطة هامة أود الإشارة إليها وهي إن المصدر الأصلي يسجل أحداثاً باعتباره شاهد عيان، أو معلومات سمعها أو نقلها عن شهود عيان، فعلي الباحث بحسه التاريخي أن يحدد في النصوص ما سجله المؤرخ كشاهد عيان ويعتبر هذا الجزء مصدراً من الطبقة الأولي، وما سجله نقلاً عن الآخرين باعتباره مصدراً من الدرجة الثانية.

ويلاحظ أيضاً أنه ربما يكون المصدر التاريخي أو الكتاب الواحد من عمل أكثر من مؤرخ، فالكثير من الكتابات التاريخية تدخل عليها اضافات في مواضع مختلفة وربما يكون عليها تعليقات.. وعلي الباحث أن يبحث ذلك إن كان غير واضحاً وذلك عن طريق أسلوب الكتابة وزمنها كلما أمكن له ذلك، لأن ذلك سوف يفيده كثيراً عند نقد الأصول التي استقي منها الباحث مادته التاريخية.

وهناك نقطة أخري تتعلق بالنقد التاريخي، وهي معرفة المكان والزمان الذي دون فيه المصدر، فالذي يكتب في الموصل ويكتب عن أحداث دمشق، يختلف عن الذي كان في دمشق وسجل الأحداث. وفيما يتعلق بالزمان فالذي يكتب الأحداث في حينها مثل المؤرخ الصليبي أمبيرواز Amibroise الذي دون أخبار حملة ريتشارد قلب الأسد The Crusade of Richard Lion-Heart وحروبه مع صلاح الدين - قد دون الأحداث باليوم والساعة، ومن الواضح أن من يكتب مثل هذه اليوميات قد تختلف عن الذي كتبها صاحبها بعد أسبوع أو شهر أو بعد نهاية الحملة أو بعد ما عاد إلي بلاده بفترة ربما تكون قصيرة أو طويلة. والحقيقة أن لكل هذه المصادر أهميتها ولكنها تختلف في قيمتها.

والمقصود من تحليل المادة التاريخية هو الوصول إلى الحقائق التاريخية من خلال النصوص التاريخية، وعلى ذلك ينبغى أن يحلل الباحث كل ما ورد فى كل مصدر على حدة حتى لا يأخذ كل ما ورد كما هو. فالتحليل عملية ضرورية، لنقد الأصول التاريخية. وبالقدر الذى يتعمق فيه الباحث فى نقد الأصل التاريخى تصبح كتاباته أقرب إلى الصواب.

وعلى الباحث إذا قرأ نصاً أن يتعمق فى فهم محتوياته، ويجب ألا يستخرج معانى لا وجود لها، وأن يضع نصب عينيه استخراج الحقائق وليس سواها. ويجب على الباحث أن يجعل النص يفسر نفسه قبل التعامل معه، وبذلك يصل الباحث إلى المعنى الحقيقى الذى أراد كاتب المصدر أن يسجله.

ومن المهم فى هذه المرحلة أن يصل الباحث إلى ايضاح بالمعنى العام للأصل التاريخى، وينبغى ألا تفسر فقرة ما دون فهم الأصل التاريخى فى مجموعه العام حتى لا يبنى الباحث استنتاجاته على معانى غير سليمة فتكون النتائج خاطئة. وإذا اتبع الباحث هذه القواعد بكل دقة كان نسبة الوقوع فى الخطأ قليلة للغاية. وعلى الباحث أن يراعى أن بعض المصطلحات تتغير من

زمن إلى آخر فكلمة وزير فى العصور الوسطى تعنى أنه الوزير الوحيد الذى يلى الحاكم الأول فى الحكم بينما كلمة وزير تعنى الآن معنى آخر.

والأمثلة على هذه المصطلحات وغيرها من الأسماء كثيرة جداً. فقد نجد كلمة اليزك ومعناها طلائع الجيش، وكلمة الاشكرى ويقصد بها إمبراطور بيزنطة، والانبروز تعنى الامبراطور الألمانى. وفى أسماء الأشخاص نجد اختلافاً أيضاً فبعض الكتب، خاصة الفرنسية تسمى شخصاً باسم راؤل Raoul، والشخص ذاته يسمى عند الانجليز رالف Ralph، وعند الألمان رادولف Radulph وليو Leo يطلق عليه عند المسلمين لاون، وهناك أيضاً خلط فى أسماء المدينة فمدينة انطاكية توجد على الساحل الشامى وهناك انطاكية أخرى فى وسط آسيا الصغرى يطلق عليها أنطاكية بسيديا، وآخرى على نهر الماندر.

وهنا أيضاً اسماء السفن الحربية مثل الشانية وجمعها شوانى وطريدة وجمعها طرائد ويجب على الباحث أن يفهم وصف كل واحدة ومهمتها العسكرية ومدى حمولتها حتي يستطيع أن يقدر مدى العمل الذى يمكن أن تقوم به، ويمكنه أيضاً أن يقدر عدد الجنود إذا ما عرف عدد السفن وأنواعها.

وأود أن أشير أيضاً إلى أن مصادر العصور الوسطى تؤرخ الأحداث حسب الأعياد الرسمية المسيحية وأعياد القديسين، ويلاحظ أن المذهب الأرثوذكسى يختلف فى تواريخ الأعياد عن المذهب الكاثوليكى، فإذا كان فى يد الباحث مصدراً كاثوليكياً أو أرمينى أو قبطى أو أرثوذكسى أن يراع ذلك بكل دقة، وهناك قواميس خاصة بذلك لابد أن يرجع إليها الباحث، ومن ذلك على سبيل المثال أن عيد الميلاد عند الكاثوليك هو الخامس والعشرين من ديسمبر، وعند الأرمن السادس من يناير، وعند الأقباط فى مصر السابع من يناير. والحقيقة أن مراعاة ذلك بكل دقة سيوفر على الباحث الوقت الكثير.

وعندما يضع الباحث كل هذه الأمثلة وغيرها أمامه يكون قد ملك ناصية البحث التاريخي، وعلى الباحث أن يكون لديه القدرة على تخيل الاحداث زمن وقوعها وأنا اعتقد أنه أمر صعب، ولكن على الباحث أن يدرب نفسه على ذلك، ولا يسجل حدثاً إلا وأسبابه مرتبطة بالوقائع التي يدرسها، وأن يضع ما سبق ذكره حول المفهوم الفكري لجمع المادة التاريخية. وبهذه الطريقة يتمكن الباحث من أن يتفهم كل مصدر على حدة ويكون لديه القدرة للتعامل مع مصدر آخر وهكذا مع كل المصادر.

وكما ذكرت أن المصدر يفسر نفسه، فإن المصادر أيضاً تفسر بعضها البعض وتكمل أيضاً بعضها البعض. فمن الواضح أنه لا يوجد مصدر واحد اشتمل على كل المعلومات، فبعضها يذكر عدد الجيش، والبعض الآخر يذكر إسم القائد أو القادة المساعدين، أو المعدات أو موقع التجمع وإلى غير ذلك من المعلومات، فإذا ما وضعت المصادر إلى جانب بعضها البعض فانه يمكن حصر كل ذلك في معلومة واحدة تفيد الباحث كثيراً في الوصول إلى الحقيقة أو ما هو أقرب إليها.

وقد يجد الباحث نفسه أمام مصدر إنفرد بذكر معلومة لم ترد عند الآخرين، وهنا يجب على الباحث أن يبحث فيما قبل الحدث وما بعده حتى يستطيع أن يؤيد الحدث أو ينفيه.

ومن الأمثلة على إنفراد مصدر بمعلومة دون غيره من المصادر فإن ذلك لا يعرف إلا في مرحلة التحليل والكتابة، أو ربما أدرك ذلك الباحث أثناء جمع [illegible] التاريخية. وسوف أقدم مثالاً عن أنفراد أحد المصادر بمعلومة دون غيره، وهي أنه قبل قدوم الحملة الصليبية الثانية ومرورها عبر أسيا الصغرى كانت هناك حروب بين سلاجقة الروم والامبراطورية البيزنطية، وأن خوف كلا الطرفين من الحملة مثلما حدث في الحملة الأولى أدى إلى عقد الهدنة بينهما، وقد أشارت المصادر إلى هذه الهدنة ولكن المؤرخ الفرنسي أودو أف ديل Odo of

Deuil ذكر أن مدة هذه الهدنة كانت إثنتى عشر عاماً. ولما كانت الحروب بين سلاجقة الروم والامبراطورية البيزنطية قد توقفت في عام ١١٤٦م ولم تبدأ بعد ذلك إلا في عام ١١٥٨م، فيكون الفرق هو أثنتى عشر عاماً وبذلك تأكدت المعلومة التي أوردها المؤرخ أودو أف ديل. وقد يجد الباحث نفسه أمام مشكلة أخرى إذا ما تجددت الحروب قبل اثنتى عشر عاماً، وهنا على الباحث أن يبحث عن أسباب ذلك، فيمكنه القول أن مدة الهدنة ربما كانت إثنتى عشر عاماً ولكنها خرقت بعد سنة أو اثنتين وهكذا. المهم أن يكون هناك في البحث جدل وتحليل واستنتاج، وهذا ما يثري البحث التاريخي. أما إذا توقف عمل الباحث على ما كتب في المصادر ففي هذه الحالة يتحول من باحث إلى جماع مادة.

وربما يصمت المصدر عن ذكر معلومات معينة ولكن دراسة شخصية المؤرخ وما عرضه من مادة تاريخية ربما يعطي الباحث قدراً من الثقة يجعله يقرر شيئاً ما. ومن الأمثلة على ذلك ما قدمه لنا الرحالة الفرنسي أركولف Arculfus في رحلته عندما زار مصر وبلاد الشرق وبيزنطة ٥٠هـ/ ٦٧٠م عن بعض المعلومات عن المسجد الأقصى وكنيسة يوحنا المعمدان في دمشق والمعاملة السيئة التي عامله بها أحد المرشدين في الامبراطورية البيزنطية. ولكنه صمت عن المعاملة التي لاقاها في مصر والشام، وهذا يرجع أنه عومل معاملة طيبة في هذه البلاد.

الحواشي:

يجمع الباحث مادته الأصلية عن رسالته من المصادر، أما المراجع فيؤخذ منها الباحث الأفكار والآراء أو الاحداث الجانبية غير الرئيسة للموضوع، وقد يأتي في متن الرسالة بعض الأسماء أو الأماكن أو المصطلحات غير الرئيسة لموضوع الدراسة. وتوضع الحاشية أسفل الصفحة للاشارة إلى المصدر أو المرجع الذي استقى منه الباحث المادة الواردة في المتن، وإذا كان المطلوب في الحاشية تفسير ما ورد في المتن إذا كان غير رئيسي فيجب أن يعقبه حاشية تشير من

أين أتى الباحث بهذه المعلومة. وأحياناً يكون الشرح يحتاج إلى صفحة أو أكثر. وهنا يجب على الباحث أن يقدم موجزاً في سطر أو أكثر قليلاً ثم يضع المطلوب كاملاً في ملحق يشار إليه أيضاً في الحاشية ذاتها ويوضع الملحق في نهاية الرسالة. وإذا تعددت الملاحق فتأخذ أرقاماً يشار إليها في ذات الحاشية.

ومن المعروف أن إشارة الطالب إلى المصادر الأصلية أو المراجع المتخصصة تقوي الرسالة وتجعل منها رسالة موثقة توثيقاً ممتازاً. أما إذا كانت الإشارة إلى مصادر ضعيفة أو مراجع غير متخصصة تضعف من الرسالة وتجعلها عرضة للنقد الشديد. وواقع الحال أن الإشارة إلى المصادر والمراجع هو إشارة قوية من الباحث إلى الاعتراف بفضل أصحاب المصادر وبفضل الآراء أو وجهات النظر أو المعلومات التي وردت في المراجع ويؤكد الطالب أنه أطلع على هذه الكتب وأنه استفاد منها وبنى عليها ما ورد في رسالته، كما أنه يفتح الباب أمام الباحثين المبتدئين للرجوع إلى هذه الكتب إذا كانوا يكتبون في الحقبة الزمنية موضوع دراسته.

وأود هنا أن أشرح نقطة هامة جداً في منهج البحث العلمي، فما يأتي به الباحث من مادة أصلية لابد أن يخضع للتحليل ولا يقتصر عمل الباحث على جمع المادة ووضعها إلى جانب بعضها البعض. والنقطة الثانية هو أن الطالب إذا سجل رأياً أو وجهة نظر من مرجع فيكون بذلك أصبح مسئولاً للدفاع عن وجهة النظر هذه لأنه عندما أخذها يكون قد اقتنع بها، وعلى الباحث ألا يعتقد أنه أخلي مسئوليته عندما يشير إلى مرجع ما.

وتوضع الحاشية كما ذكرنا للإشارة إلى مصدر أو مرجع أو ملحق بالرسالة أو إلى صفحة في ذات الرسالة، وهناك عدة طرق لوضع الحاشية أسفل الصفحة أو في نهاية كل فصل أو في نهاية الرسالة كلها، ويلاحظ أنه إذا كانت الرسالة مكتوبة باللغة العربية أن تكون أرقام الحواشي مكتوبة باللغة العربية وتوضع

على يمين الصفحة حتى لو كان الكتاب المشار إليه مكتوباً بلغة أجنبية. ويمكن حصر هذه الطرق فيما يلي:

١- يجب وضع خط في الجزء الأخير من الصفحة بعد نهاية المتن وأن يوضع رقماً مسلسلاً لكل صفحة على حدة. وميزة هذه الطريقة أن الباحث يستطيع أن يحذف أو يضيف حاشية أخرى في الصفحة ذاتها دون تعديل باقي الحواشي في الصفحات اللاحقة.

٢- اعطاء رقم مسلسل يبدأ من رقم (١) لكل فصل على حدة ويستمر التسلسل إلى نهاية الفصل. ويمكن وضع الحواشي في نهاية كل صفحة وهذا أفضل حتى يتمكن القارئ من متابعة الحواشي مع المادة الواردة في المتن، أو توضع كلها في نهاية كل فصل وهذا النوع الثاني يتطلب تقليب الصفحات لمتابعة ما ورد في المتن مع الحواشي. ويلاحظ هنا أنه إذا أراد الباحث أن يضيف حاشية في الصفحات الخاصة بهذا الفصل أن يعدل مسلسل ما يلي الحاشية المضافة حتى نهاية الفصل.

٣- إعطاء الرسالة كلها رقماً مسلسلاً من بداية الرسالة حتى نهايتها يبدأ من رقم (١) حتى النهاية وتوضع الحواشي في نهاية الصفحات أو في نهاية الرسالة بأكملها. ولهذه الطريقة عيوبها مثل الواردة في البند الثاني.

ويجب ملاحظة أن رقم الحاشية الذي يرد في متن الرسالة يجب أن يرتفع قليلاً عن السطر ولا توضع نقطة بعد مثال:

..... قبل أن يعطوهم رداً حاسماً.(١)

والحاشية ترد بعد ذكر اسم صاحب الكتاب إذ ذكر اسمه.

ويقول ياقوت الحموي(١) أن ..

وإذا لم يرد إسمه توضع الحاشية بعد نهاية الجملة ووضع النقطة مثال:

وهي قريبة من مدينة انطاكية.(١)

ويلاحظ عند الطباعة كما هو وارد في الأمثلة السابقة أن توضع الأرقام بين قوسين.

ويلاحظ أن يتم فصل ما ورد في متن الرسالة عن الحواشي بخط أفقي وتتلوه الحواشي بخط أصغر من الخط المكتوب به في متن الرسالة، وأن يتم كتابة الحواشي لأول مرة كاملة في الرسالة على النحو التالي:

١- ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب - جـ١ - تحقيق سامي الدهان - دمشق ١٩٥١- ص١٢٠.

٢- المصدر: نفسه - ص١٥٠ إذا تلاه مباشرة.

وإذا اشترك في تأليف الكتاب إثنان أو ثلاثة فيجب أن يذكر أسماء الإثنين أو الثلاثة. أما إذا زاد العدد عن ثلاثة فيكتب إسم الأول ويضاف إليه كلمة «وآخرون». أما إذا كان المؤلف مجهول فيكتب بدل إسم المؤلف «مؤلف مجهول».

وهناك بعض المصطلحات خاصة بالكتب الأجنبية ويجب مراعاة استخدامها في الحواشي مثال ذلك.

يكتب المصدر أو المرجع كاملاً في أول مرة بالرسالة ومن ذلك.

١- Runciman, S., A History of The Crusades, Cambridge 1954, I, p. 120.

وإذا كان أكثر من صفحة يكتب PP. 120-2.

٢- إذا أراد الباحث أن يشير إلى نفس الكتاب السابق ونفس الصفحات مباشرة يكتب Idem وهذا يعني مثله أو شرحه.

٣- أما إذا أراد الباحث الاشارة مباشرة إلى ذات الكتاب مع اختلاف الصفحات فيكتب Ibid, p.12.

وإذا تعددت الصفحات Ibid, pp. 12-14.

وهذا يعني Ibidem أي نفس الكتاب والجزء.

٤- ابن الاثير: المصدر السابق - جـ١٠ - ص٢٠.

٥- ابن واصل: المصدر السابق - جـ٢- ص٣٠.

٦- إذا أراد الطالب العودة إلى الكتاب الأجنبي بعد عدة حواشي يكتب

Runciman, op. cit., I, p. 40.

وإذا تعددت الصفحات pp. 40-5. وهذا يعني الكتاب السابق.

٧- محمود سعيد عمران: المرجع السابق ص٥٠.

٨- عمر كمال توفيق: المرجع السابق ص٦٠.

وإذا أراد الطالب العودة إلى الكتاب المذكور في حاشية (٦) وتعني نفس الصفحات فيكتب Runciman, Loc. cit.

وهنا يعني الاجزاء والصفحات والصفحة أو الصفحات نفسها.

وهناك أيضاً بعض المصطلحات الخاصة بأرقام الصفحات مثال ذلك:

١- إذا أراد الباحث أن يشير إلى عدة صفحات في رسالته وكانت هذه الصفحات قليلة فيكتب pp. 5f.

٢- أما إذا كان الباحث يشير إلى صفحات كثيرة متصلة فيكتب pp. 5ff.

٣- أما إذا كانت الإشارة إلى صفحات متعددة داخل الكتاب فيكتب Passim وهي كلمة لاتينية تعني هنا وهناك.

ويلاحظ أن بعض الحواشي تحتاج لاكثر من سطر فعلى الباحث أن يستعمل السطر الثاني والثالث ولكن يلاحظ أن السطر الثاني لا يبدأ تحت

الحاشية بل إلى الداخل بعد رقم الحاشية ومحاذياً للكلمة التى فى السطر السابق.

الصور والرسومات والخرائط:

يرى بعض الباحثين إضافة صور فوتوغرافية لإيضاح شئ ما يتحدثون عنه مثل مبنى أو موقع، ويجب أن تكون الصورة واضحة تؤدى الغرض المقصود منها، ويجب وضع الصور فى صفحات مستقلة وأن يضع لها عنوان يعرف بها الصورة التى أوردها، كما يحدد لها رقم خاص بها يوضع أسفل الصورة، ويمكن وضع الصورة بالطول أو بالعرض حسب الأحوال.

أما الرسومات فقد يتطلب البحث وضع رسم معين يكونه الباحث بنفسه، مثل وضع القوات المتحاربة حول مدينة، أو تخطيط داخلى لمدينة لايضاح بعض الأماكن وما شابه ذلك. ويجب أن ترسم هذه الرسومات بكل دقة وبمقياس رسم مناسب مع وضع مربعات أو دوائر أو مثلثات صغيرة أو وضع هلال ليشير إلى مسجد أو صليب ليشير إلى كنيسة وهكذا، ويتبع فيها ما اتبع من الصور من العنوان والأرقام

وفيما يتعلق بالخرائط الجغرافية فيجب أن تؤدى الغرض الموضوعة من أجله وأن يكون لها مقياس رسم وأن يوضع شمال الخريطة إلى أعلى سواء وضعت بالطول أو العرض. وعلى الباحث أن يشير إلى الكتاب الذى نقل عنه الخريطة. أما إذا نقل الباحث خريطة صماء، بمقياس الرسم المناسب ووضع عليها ما يراه من المواقع والأماكن أو خط سير القوات أو مواقعها فله أن يفعل ذلك، ويستطيع أن يفعل ذلك عن طريق الحاسب الآلى ثم يوقع عليها باعتباره مسئولاً عنها. ويجب أيضاً وضع عنوان لكل خريطة بالإضافة إلى رقمها لسهولة الإشارة والرجوع إليها فى صفحاتها.

الفصل الثانى

المصادر المبكرة لبيزنطة وأوربا العصور الوسطى

- يوسيبيوس القيصرى.
- أميانوس مارسلينوس.
- زوزيموس.
- بولص أوروسيوس.
- القديس جيروم.
- چوردانس.
- إيفاجريوس.
- إيذدور الإشبيلى.
- بروكوبيوس.
- فيكتور أف تونونا.
- جريجورى التورى.
- بولس الشماس.

مقدمة

لم تأت الكتابة التاريخية الأوربية فى العصور المسيحية الأولى من فراغ، فقد سبقها ما كتبه المؤرخون اليونان ثم الرومان، وواقع الأمر أن أصول الكتابة التاريخية عند اليونان أتت كجزء من الحركة الفكرية العظيمة التى أتفق على تسميتها حركة التدوين التاريخى القديم، وهى الحركة السابقة للمؤرخ هيرودوت Herodotus (٤٩٠ - ٤٢٥ ق.م)، ويرى البعض أن الكتابة التاريخية هذه لها عدة تفسيرات، فقد أعتبرها البعض أنها جزء من للفقه اليونانى، يضاف إلى ذلك إن علينا أن ندرك رغبة بعض المواطنين اليونانيين البارزين فى أن يضفوا على عائلاتهم الأنساب والألقاب المرموقة، ومن هنا نجد أن بعض الكُتاب المحترفين استخدموا يراعتهم فى الكتابة ومجدوا النبلاء وبعض علية القوم. يضاف إلى ذلك إهتمام اليونانيين بدراسة الجغرافيا ووصف الأجيال والأنساب، وقد ساعد ذلك كله على وضع أسس الكتابة التاريخية عند اليونان.

وبعد هذه المرحلة تأتى مرحلة هيرودوت، وهو مؤرخ له شهرته بصفته أول مؤرخ بارز فى عالم الكتابة التاريخية، وصاحب أول كتاب تاريخى شامل، وهو الذى أوضح أن مهمة المؤرخ هو أن يعيد بناء حياة الإنسان والشعوب والحكام فى الماضى، ومن هنا بات الاهتمام بالتاريخ الحضارى.

وجاء بعد اليونانيين حكم الإمبراطورية الرومانية، والحقيقة أن الرومان لم يقدموا الكثير فى علم الكتابة التاريخية، وأن الرومان لم يكونوا مبتكرين فى هذا المجال مثلما كان الحال فى معظم المجالات الأخرى، فقد ساروا على الفكر اليونانى وإن كان هناك بعض المؤرخين البارزين مثل ليفى Livy (٥٩- ١٧ق.م) صاحب كتاب بدايات تاريخ روما The Early History Rome، أو تاكتيوس Tacitus (٥٦- ١١٧م) الذى وضع كتاباً عن حوليات الإمبراطورية

الرومانية The Annals of in Perial Rome وكتاب أخر هو «أجريكولا وجرمانيا» The Agricola and the Germania. وواقع الحال أن ليفى وتاكيتوس يعتبران المؤرخان الرومانيان اللذان وصلا إلى مرحلة يتضح فيها رقى وتقدم أسلوب الكتابة التاريخية عند الرومان إلى الدرجة التى كانت عند اليونانيين.

وواقع الحال أننى لا أستطيع فى هذه الصفحات أن أتحدث عن المؤرخين الرومان، إلا أنه يمكن القول أنهم أعتمدوا اعتماداً مباشراً على ما سبقوهم من الكتاب اليونانيين حتى أنهم أى الرومان ظلوا يدونون كتاباتهم التاريخية باللغة اليونانية. ورغم أن المؤرخين الرومان لم يكونوا مبدعين وأنهم ظلوا إلى حد كبير تحت تأثير المنهج اليونانى إلا أنه يلاحظ أن ما سجلوه كان أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة وأقرب إلى علم الكتابة التاريخية. وأفضل من المؤرخين المسيحيين الذين جاءوا بعدهم مباشرة لأنهم خلطوا التاريخ بالأساطير والتعصب الدينى.

أما فيما يتعلق بالكتابة التاريخية فى العصور المسيحية الأولى، فإنه يمكن القول أن أنتصار المسيحية على الوثنية قد أحدث تغييرات كثيرة فى مفاهيم علم الكتابة التاريخية، فمن الوجهة الرسمية والشعبية استبعدت الثقافات الوثنية وكل ما يدور فى فلكها باعتبارها عملاً من عمل الشيطان، وترتب على ذلك أن أختلف منهج الكتابة التاريخية عند المسيحيين واحتقروا منطق العقل الذى كان سائداً عند اليونان واستبدلوا به منهج الايمان الذى يسهل تصديقه. ومعنى ذلك أن الفكر المسيحى فى بدايته قد ربط النظرة العلمية التى توصل إليها من سبقوهم من العلماء، بالأساطير والخرافات وأصبح كل فكر غير مسيحى يعتبر فكراً وثنياً يتصف بالخداع. ومعنى ذلك أيضاً أن أنتصار المسيحية على العالم الوثنى القديم على ضوء هذا المفهوم يعتبر كارثة على علم الكتابة التاريخية لأن الديانة المسيحية الجديدة لم تعترف إلا بمنهج الإيمان.

ورغم هذا كله فإن رجال الدين المسيحى الأوائل لم يتمكنوا من التخلص من التأثيرات الوثنية القديمة لأنهم عاشوا ونشأوا تحت هذه التأثيرات ولم يتمكنوا من التخلص منها تماماً، ومن هنا أثرت الثقافة الوثنية فى الكتابات التاريخية بالقدر الذى أثرت فيه الثقافات اليهودية عليهم. ومن هذه التأثيرات بلاغة القدماء، واستخدامهم اللغات القديمة فى الكتابات المسيحية لأنه لم يكن هناك لغات أخرى يمكن استخدامها فى كتاباتهم.

ومع الأنتقال من المرحلة الفكرية الوثنية فى الكتابات التاريخية إلى المرحلة المسيحية فى كتابة التاريخ نجد أن الوثنية قد ساهمت بشكل كبير فى علم التاريخ، فقد تأثر المسيحيون بالكتابات الكلاسيكية وبلاغتها وقواعدها. ولقد دخل هذا التأثير على الكتابات التاريخية بفضل الأفلاطونية الحديثة التى أدخلت تبريراً فلسفياً على منهج المسيحيين المتعلق بالإيمان، فقد كانت النظرية المسيحية تنادى بتفوق العواطف على العقل، وطالبت بضرورة التمسك بلا حدود بكل ما يتصل بالأمور الدينية. وقد وجدت هذه الأفكار صدى كبير لدى رجال فكر آباء الكنيسة، حتى أصبح هذا المنهج هو الأساس الفكرى لدى المؤرخين فى بدايات العصور الوسطى واستمرت كذلك طالما استمرت هذه العصور.

ومن منهج الكتابة التاريخية عند الوثنيين والفكر الايمانى لدى رجال العصور الوسطى ظهرت النظرة الفلسفية المسيحية للكتابة التاريخية وهى النظرة التى طورها على مراحل الأباء المسيحيون حتى شرفها القديس أوغسطين Saint Augustine (٣٥٤- ٤٣٠م) وهو رجل الدين والفيلسوف الذى حاول التوفيق بين فكر الأفلاطونية الحديثة والعقيدة المسيحية، ويظهر ذلك واضحاً بشرح واف فى كتابه الشهير مدينة الله City of God وكتابه الأخر الاعترافات Confessions وفى كتاباته الأخرى. وكان لهذان الكتابان أثراً كبيراً على الفكر المسيحى فى كافة نواحيه فى غرب أوروبا. ومن الملاحظ أن فلسفة أوغسطين هذه كانت نتيجة خلاصة ما قرأه من الفكر الفارسى

واليونانى والهلينى والعبرى، ومحور هذا كله أن العملية التاريخية أصبحت تعبيراً عملياً عن الصراع الدنيوى بين الخير والشر والذى ينتهى دائماً بانتصار الخير.

ويمكن أن نعتبر أن أول مؤرخ مسيحى وضع تاريخاً للبشرية ويتفق مع النهج التاريخى المسيحى هو سكستوس جوليوس الافريقى Sextus Julius Africanus (حوالى ١٦٠ - ٢٤٠م)، وقد وضع سكستوس كتاباً عن تاريخ العالم منذ بداية الخلق حتى عام ٢٢١م أسماه Cesti وترجموه إلى Chronologia أو Embroidered Girdles أو Boxing Gloves ويمكن أن نترجمه إلى العربية تحت مسمى حساب الزمن. ويتضح اختيار هذه الترجمة للطريقة التى أتبعها سكستوس فى حساب الزمن. فقد أطلع المؤرخ على الكتابات السابقة المختلفة التى سجلها السابقون من الوثنيين واليهود بالإضافة إلى التوراة والانجيل، وقد رتب المؤرخ الأنبياء والحكام ومدة حياة أو حكم كل منهم وعاد إلى الوراء حتى وصل إلى بداية نزول سيدنا آدم ووجد أن ذلك يرجع إلى عام ٥٤٩٩ ق.م. ولكن المؤرخين البيزنطيين الذين خلفوا سكستوس أختلفوا معه قليلاً حول هذه البداية. فقد سجل المؤرخ ثيوفانيس Theophanes (ت٨١٢م) تاريخية على طريقة بداية الخلق Annus Mondi وأعتبر أن البداية تعود إلى عام ٥٤٩٢ق.م. أما الإمبراطور والمؤرخ قسطنطين برفيروجنيتوس Constantin Prophyrogentas (٩١٢ - ٩٥٧م) فقد أعادها إلى عام ٥٥٠٨م. ومن المهم أن نذكر أن سكستوس أعتقد أن العالم سيستمر بعد مولد السيد المسيح بخمسمائة عام ثم يبدأ بعدها العصر الألفى أى أن العالم سيستمر ألف وخمسمائة عام بعد ميلاد السيد المسيح. ومن المؤرخين المسيحيين الذين قاموا بعملية إحصائية للوصول إلى بداية نزول سيدنا آدم إيذور الإشبيلى Isidore of Seville (ت٦٣٦م) وأعتقد بداية الخلق يرجع إلى ٤٨١٤م. أما فيما يتعلق بالتاريخ اليهودى فيعود إلى عام ٣٧٦١م.

- يوسيبيوس القيصرى :

وجاء بعد سكستوس كاتب آخر يعتبر من أهم كتاب التاريخ فى مطلع العصور الوسطى وهو يوسيبيوس القيصرى Eusebius of Caesarea وقد أشتهر بهذا الاسم لأنه تولى أسقفية مدينة قيصرية فى فلسطين، ويعرف أيضاً باسم يوسيبيوس بامفيليوس Pamphilus نسبه إلى أستاذه أسقف قيصرية السابق. وقد ولد يوسيبيوس فى مدينة قيصرية عام ٢٦٣م وتلقى علومه فى قيصرية وأنطاكية وتعلم الدراسات الدينية على يد الأسقف أجابيوس Agapius. وقد تقلد يوسيبيوس أسقفية قيصرية منذ عام ٣١٤ حتى وفاته عام ٣٣٩.

وقد تعمق يوسيبيوس فى علوم زمانه مثل التاريخ القديم وبخاصة تاريخ الشرق ودياناته، كما درس علوم الجغرافيا والفلك وحساب التقويم وتعلم البلاغة حتى أصبح خطيباً فصيحاً بليغاً أنيق الكلمة، وقد ذاعت شهرته وعمت الآفاق فحظى عند الإمبراطور قسطنطين العظيم بمكانة رفيعة فقربه إليه وشرح له الكتاب المقدس فى خمسين خطاباً شرحاً عظيماً، ويطلق أيضاً على يوسيبيوس أسم «أب التاريخ الكنسى».

وقد أتفق أسلوب يوسيبيوس فى الكتابة مع أسلوب آريوس Arius صاحب المذهب الأريوسى، ولكن كتابات يوسيبيوس لا تشير إلى أنه اعتنق المذهب الأريوسى، وإذ كان البعض قد اعتبره من أنصاف الأريوسيين. والحقيقة أن جميع الطوائف المسيحية تعترف بما كتبه يوسيبيوس. وقد تعددت كتابات هذا الأسقف والمؤرخ الذى صار يسجلها حتى بلغ الثمانين من عمره، وقد حاول يوسيبيوس فى كل أعماله الرد على أعداء المسيحية من فلاسفة وثنيين ويهود، واعتبر أن الله قدر للمسيحية أن ترث العالم، وأن العالم قد تهيأ لاستقبالها.

وكتب يوسيبيوس مجموعة من الأعمال أهمها التاريخ العالمى Universal History، وكتاب الدفاع عن المسيحية وكتاب التحضير

واضرارها، ويبرهن على تفوق اليهودية على الوثنية. كما صنف البرهان الانجيلى Demonstratis Evangelica ليدافع به عن المسيحيين ضد الاتهامات اليهودية بأنهم تهودوا ليخرجوا على اليهودية، ويفسر أيضاً بأن شرائع سيدنا موسى أنزلت لتكون حلقة وصل بين الأنبياء السابقين والسيد المسيح، وأخيراً يأتى كتاب حياة الامبراطور قسطنطين Vita Constantine، وكتاب التاريخ الكنسى.

Praeparatio ليظهر من خلاله أباطيل الديانات الوثنية

وإذا كنا فى هذه الصفحات نتعامل مع يوسيبيوس كمؤرخ فان ما كتبه فى التاريخ الكنسى قد أرخ فيه للكنيسة الجامعة منذ ظهور السيد المسيح حتى عصره. ويسجل يوسيبيوس فى هذا الكتاب الاضطهادات التى حلت بالمسيحيين، والعذاب الألهى الذى حل بكل من اضطهد المسيحيين بداية من اليهود حتى الأباطرة الرومان. والحقيقة أن هذا الكتاب يعتبر المصدر الأول لتاريخ الكنيسة منذ أنشائها حتى عصر يوسيبيوس. ويقع الكتاب فى عشر فصول رئيسة. ويبدأ من طبيعة وأعمال السيد المسيح، وينتهى بالسلام وانتصار المسيحية، وانتصار الامبراطور قسطنطين.

أما الكتاب الثانى فهو كتاب حياة قسطنطين، فهو يتضمن أربعة فصول كبيرة أو أربعة كتب، وقد بدأ المؤرخ الكتاب الأول بموت الامبراطور قسطنطين وسجل فيه تسعة وخمسين موضوعاً آخرها «وبعد أن صار مكسيميان Maximian [حاكم الأقطار الشرقية فى الامبراطورية] أعمى أصدر أمراً ملكياً فى مصلحة المسيحيين. أما الكتاب الثانى فقد أحتوى على ثلاثة وسبعين موضوعاً ويبدأ بالأضطهاد الذى أثاره ليسينيوس Licinius الذى قتل بعض الأساقفة فى أماسيا فى إقليم بنطس وانتهى باستمرار المنازعات التى آثارها آريوس. وفيما يتعلق بالكتاب الثالث فقد تضمن ستة وستين موضوعاً بداية من مقارنة بين تقوى قسطنطين وشر المضطهدين وانتهى «باكتشاف بعض الكتب الممنوعة عند الهراطقة». أما الكتاب الرابع والأخير فإنه احتوى على خمسة وسبعين موضوعاً، أولها كيف أكرم الامبراطور قسطنطين الكثير بالهدايا والترقيات، وأنتهى بأن الامبراطور قد فاق بالاباطرة لسابقين فى

عبادة الله. ولهذا الكتاب أهمية خاصة فى التاريخ المسيحى لأن المؤرخ كان شاهد عيان على ما كتب، وأنه لم يترك صغيرة أو كبيرة دون أن يسجلها، رغم عدم التزامه تماماً بالترتيب الزمنى، كما أنه لم يسجل شيئاً عن مدينة القسطنطينية.

- أميانوس مارسلينوس:

ومن الكتب التاريخية الهامة التى جاءت بعد حياة قسطنطين للمؤرخ يوسيبيوس هو الكتاب الذى وضعه أميانوس مارسلينوس Ammianus Marcelliuus (٣٣٠- - ٤١٠م). وقد ولد أميانوس فى مدينة أنطاكية لوالدين يونانيين ووثنيين، وبذلك ولد وثنياً وظل كذلك حتى نهاية حياته، ولكنه كان حراً فى أفكاره مع الكنيسة. وقد تلقى أميانوس تعليمه فى المدينة التى ولد بها، وكانت هذه المدينة فى تلك المرحلة من أهم المدن فى الامبراطورية حيث كان بها أهم مدارس الفلسفة والقانون والفكر الدينى الوثنى ثم المسيحى، وقد تتلمذ فى هذه المدينة على يد مشاهير عظام نذكر منهم المفكر والخطيب اليونانى الانطاكى الأصل ليبانوس Libanius (٣١٤- ٣٩٣م)، ويوحنا فم الذهب John Chrysostom (٣٤٥ - ٤٠٧م) تلميذ ليبانوس، فقد كانت المدينة تعتبر من أروع مدن الشرق اليونانى حتى أن المؤرخ أميانوس سماها «تاج الشرق الجميل».

وقد التحق أميانوس بالجيش حوالى عام ٣٥٣م، وترقى فى الوظائف العسكرية حتى بلغ أعلى المراتب، كما لمع فى أداء واجبه العسكرى فى بلاد الغال كما أشترك فى الحرب الفارسية مع الامبراطور جوليان المرتد فى عام ٣٦٣، وبعد أن تقاعد من الخدمة العسكرية قام برحلة إلى روما فى عام ٣٧٨م. وفى رحلته هذه جمع مادة تاريخية كبيرة، وفى نهاية الأمر عاد إلى أنطاكية حيث ظهرت مواهبه الأدبية التاريخية وأخذ على عاتقه تكملة كتاب المؤرخ الرومانى تاكتيوس.

وقد كتب أميانوس كتاباً أرخ فيه للحقبة الممتدة من عام ٩٦ حتى ٣٧٨م

بلغة لاتينية فصيحة. وقد جاء مصنفه في واحد وثلاثين جزء فقدت الثلاثة عشر الأولى منه، وتناولت الأجزاء الباقية الأحداث التاريخية الواقعة بين الفترة الممتدة من ٣٥٣ حتى ٣٧٨م وهي السنة التي وقعت فيها معركة أدرنه وقتل فيها الامبراطور فالنز Valens.

ورغم أن أميانوس كان على صلة قوية بالفيلسوف والبليغ ليبانوس إلا أن أميانوس رغم وثنيته كان أكثر تسامحاً مع المسيحيين، ولم يؤثر ذلك على حياده، ونظرته الموضوعية لما سجله من أحداث، وقد اهتم أميانوس بالاخلاق والشخصيات والمؤسسات الإجتماعية.

- زوزيموس :

ومن المؤرخين الذين قدموا جانباً هاماً في حقل العصور الوسطى المؤرخ البيزنطي زوزيموس Zosimus، وهو من مؤرخي القرن الخامس والسادس الميلاديين، وتاريخ ميلاد هذا المؤرخ غير معروف لدينا، كما أنه ليس لدينا معلومات كثيرة عن ظروف حياته أيضاً إلا أنه قدم تاريخاً قيماً عن الإمبراطورية الرومانية حتى عام ٤١٠م، كما أنه كان محارباً وشغل منصب وزير الخزانة في الامبراطورية البيزنطية وأنه كان وثنياً وساند الوثنيين، كما أن المنطقة التي عاش فيها ليست معروفة لدينا، ولكنه كان معاصراً للإمبراطور البيزنطي أناستاسيوس Anastasius (٤٩١- ٥١٨م). وهناك عدة أسباب لهذا الاعتقاد، منها أن المؤرخ يوستانيوس أف ابيفانيا Eustathius of Epiphania الذي قدم لنا ما كتبه زوزيموس وأكمله حتى عام ٥٠٢م، وهناك معلومة أخرى قدمها المؤرخ زوزيموس نفسه وهو أنه تحدث عن بعض الضرائب، وأن هذه الضرائب ألغيت في عام ٥٠١م.

وقدم لنا زوزيموس كتابه تحت اسم «تاريخ الاباطرة البيزنطيين» في ستة كتب، وهو يبدأ بالامبراطور أوغسطس Augustus، واستمر يقدم التاريخ باختصار حتى عام ٢٧٠م، وبعد هذه المرحلة نلاحظ بعض التفاصيل في

الأحداث، واستمر حتى الأحداث الخاصة بمهاجمة روما على يد الأريك عام ٤١٠م. ومن الواضح أن زوزيموس كان ينوي أن يستكمل هذا الكتاب، ولكن يبدو أن هناك بعض الظروف التي منعته من ذلك وربما يكون ذلك بسبب وفاته، والكتاب يعد عملاً رتيباً عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع. والكتاب لا يخلو من الشعور بالنقد، ويتضمن فلسفة المؤرخ. ويلاحظ من كتابات المؤرخ أنه كان وثنياً وأنه احترم الآلهه الرومانية القديمة.

ولقد قدم لنا المؤرخ بصورة تدريجية فساد الحكم في الامبراطورية، وأرجع ذلك كله إلى تخلي حكام الإمبراطورية عن عبادة الأوثان، كما أنه كان يؤمن بالخرافات. ويقع الكتاب في ستة فصول كما سبق أن أوضحت، ويبدأ الكتاب الأول بالحديث عن الامبراطورية الرومانية وحروبها مع جيرانها خاصة مع هانيبال Hannibal ومعركة كاناى Cannae عام ٢١٦م، ثم عاد وتكلم عن الاسكندر الأكبر Alexandre The Great وخلفائه والحروب مع الفرس، كما تحدث عن زنوبيا Zenobia ملكة مملكة تدمر Plamyra والامبراطور الروماني أورليان Acrelian (٢٧٠- ٢٧٥م) والحروب التي دارت في هذه المرحلة.

أما الكتاب الثاني فيبدأ بالحديث عن بعض الآلة الوثنية الجرمانية ثم انتقل إلى ذكر الأحداث التي اعقبت اعتزال الامبراطور دقلديانوس Dicoletian (٢٨٤- ٣٠٥م) وتطرق إلى الصراع الذي دار بين القادة العسكريين الرومان حتى وصل الإمبراطور قسطنطين إلى الحكم بعد قضائه على خصمه الأخير ليسينوس Licinius وبناء قسطنطين لمدينة القسطنطينية ثم حكم أولاده من بعده، ثم الامبراطور جوليان وحروبه مع الفرس، ويلاحظ أنه قدم مادته التاريخية دون مراعاة للترتيب الزمني.

وفيما يتعلق بالكتاب الثالث فقد بدأه بالكتابة عن عناصر البرابرة في أوربا ثم عاد للحديث عن الامبراطور جوليان، وفي هذا الفصل قدم لنا المؤرخ جانباً طيباً عن أحوال الإمبراطورية في عهد جوليان والحروب التي دارت مع الامبراطورية الفارسية، وانتهى هذا الكتاب بمصرع الامبراطور جوليان.

وفيما يختص بالكتاب الرابع فقد صدره بالحديث عن الإمبراطور فالنز وقدم لنا مادة تاريخية جيدة حول هذا العهد، ثم انتقل إلى الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩ - ٢٩٥م) والحروب التي دارت مع العناصر الجرمانية شمال نهر الدانوب، وذكر أسماء القادة العسكريين الذين ظهروا في هذه المرحلة مثل روفينوس Rufinus، وأربوجاست Arbogastes وستيلكو Stilico، وانتهى هذا الفصل بموت الامبراطور ثيودوسيوس وتبعه ابنه هونوريوس Honorius امبراطوراً على غرب الامبراطورية (٣٧٩- ٤٢٣م) قبل أن يتخذ الامبراطور طريقه إلى القسطنطينية حيث توفى.

وسجل زوزيموس فى الكتاب الخامس أحداث الامبراطورية أيام الامبراطور أركاديوس والامبراطور هونوريوس وتحدث بتوسع عن ألاريك ملك القوط الشرقيين وقدم مادة تاريخية عن علاقته بالامبراطور والحروب التى دارت فى تلك المرحلة وكذلك أطماع ألاريك فى الامبراطورية، وكيف استدعت الامبراطورية عشرة آلاف من عناصر الهون لمقاتلة ألاريك.

والكتاب السادس والأخير فهو جزء قصير من الكتاب الكلى وقد استمر المؤلف فى كتابه عن الامبراطورية فى عهد الامبراطور هونوريوس وظهور شخصية القائد أتالوس Attalus، وانتهى هذا الجزء بحصار ألاريك لمدينة روما التى وقعت أحداثه عام ٤١٠م.

- بولص أوروسيوس:

كان بولص أوروسيوس Paulus Orosius مؤرخاً ومدافعاً عن المسيحية وقد ولد بين عامى ٣٨٠- ٣٩٠م فى مدينة براجه الحالية Brage التى تقع فى دولة البرتغال، وتاريخ وفاته غير معلوم لدينا، ولما كانت مؤلفاته تنتهى بعام ٤١٨م فإن وفاته تكون بعد هذا التاريخ، كما أن أسمه الأول بولص لم يعرف إلا فى القرن الثامن الميلادى. ومن الواضح أنه بدأ حياته فى الحياة الدينية، وبعد أن وصل إلى السن المناسب وهب نفسه لخدمة الديانة المسيحية ثم أصبح كاهناً.

ولقد ذهب أوروسيوس إلى شمال أفريقيا فى عام ٤١٣ أو ٤١٤م لسبب غير معروف وهناك التقى بالقديس أوغسطين فى مدينة هيبو Hippo ليستفسر منه عن بعض الجوانب الدينية خاصة ما يتعلق بأصل الروح.

ولقد كان أوروسيوس مسيحياً تقياً، لذلك هاجم الهراطقة، وقد وجد أوغسطين فيه سنداً قوياً للمسيحية، لذلك أرسله إلى القدس بفلسطين حيث كان القديس جيروم فأنضم إليه مدافعاً عن المسيحية ضد البدع التى سادت تلك المرحلة. وفى عام ٤١٥ عقد يوحنا أسقف مدينة القدس مجمعاً فى المدينة لمناقشة أمور العقيدة المسيحية، وفى هذا المجمع هاجم أوروسيوس الهراطقة دون هوادة، وكتب عدة كتب دفاعاً عن المسيحية الحقة، وكان مما هاجمه أوروسيوس هراطقة بلاجيوس Pelagius صاحب المذهب المنسوب إلى اسمه وهو مذهب بلاجيانزم Pelagianism الذى أنتشر فى هذه المرحلة.

غادر أوروسيوس فلسطين فى عام ٤١٦م وعاد إلى القديس أوغسطين فى مدينة هيبو، وبعد فترة ليست طويلة عاد أوروسيوس إلى وطنه، وفى الطريق عرج على جزيرة مينورقا Minorca وسمع عن الحروب والدمار الذى أنزله الوندال بالمنطقة، وما لبث أن عاد أوروسيوس إلى القديس أوغسطين مرة أخرى. وفى هذه المرحلة اقترح القديس أوغسطين على أوروسيوس أن يكتب تاريخاً للعالم.

وترجع رغبة القديس أوغسطين إلى أنه باعتباره من كبار رجال الدين المسيحى ومن اللذين صاغوا فلسفتها أن لا يسكت على ما كتبه الوثنيون فى العصر الوثنى من أحداث تاريخية، وكان يرى أن يسجل تاريخاً للبشرية يحمل الفكر المسيحى ويكون له طابعاً رسمياً داخل الكنيسة خاصة فى تلك المرحلة الحرجة من تاريخ المسيحية، فقد تعرضت روما للحصار وهاجمها ألاريك ملك القوط فى عام ٤١٠م واتهم الوثنيون المسيحية بأنها سبب هذا البلاء الذى حل بالبلاد.

وفيما يختص بالكتاب الرابع فقد صدره بالحديث عن الإمبراطور فالنز وقدم لنا مادة تاريخية جيدة حول هذا العهد، ثم انتقل إلى الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius (٣٧٩ - ٣٩٥م) والحروب التي دارت مع العناصر الجرمانية شمال نهر الدانوب، وذكر أسماء القادة العسكريين الذين ظهروا في هذه المرحلة مثل روفينوس Rufinus، وأربوجاست Arbogastes وستيلكو Stilico، وانتهى هذا الفصل بموت الامبراطور ثيودوسيوس وتبعه ابنه هونوريوس Honorius امبراطوراً على غرب الامبراطورية (٣٧٩- ٤٢٣م) قبل أن يتخذ الامبراطور طريقه إلى القسطنطينية حيث توفي.

وسجل زوزيموس في الكتاب الخامس أحداث الامبراطورية أيام الامبراطور أركاديوس والامبراطور هونوريوس وتحدث بتوسع عن ألاريك ملك القوط الشرقيين وقدم مادة تاريخية عن علاقته بالامبراطور والحروب التي دارت في تلك المرحلة وكذلك أطماع ألاريك في الامبراطورية، وكيف استدعت الامبراطورية عشرة آلاف من عناصر الهون لمقاتلة ألاريك.

والكتاب السادس والأخير فهو جزء قصير من الكتاب الكلي وقد استمر المؤلف في كتابه عن الامبراطورية في عهد الامبراطور هونوريوس وظهور شخصية القائد أتالوس Attalus، وانتهى هذا الجزء بحصار ألاريك لمدينة روما التي وقعت أحداثه عام ٤١٠م.

- بولص أوروسيوس:

كان بولص أوروسيوس Paulus Orosius مؤرخاً ومدافعاً عن المسيحية وقد ولد بين عامي ٣٨٠- ٣٩٠م في مدينة براجه الحالية Brage التي تقع في دولة البرتغال، وتاريخ وفاته غير معلوم لدينا، ولما كانت مؤلفاته تنتهي بعام ٤١٨م فإن وفاته تكون بعد هذا التاريخ، كما أن أسمه الأول بولص لم يعرف إلا في القرن الثامن الميلادي. ومن الواضح أنه بدأ حياته في الحياة الدينية، وبعد أن وصل إلى السن المناسب وهب نفسه لخدمة الديانة المسيحية ثم أصبح كاهناً.

ولقد ذهب أوروسيوس إلى شمال أفريقيا في عام ٤١٣ أو ٤١٤م لسبب غير معروف وهناك التقى بالقديس أوغسطين في مدينة هيبو Hippo ليستفسر منه عن بعض الجوانب الدينية خاصة ما يتعلق بأصل الروح.

ولقد كان أوروسيوس مسيحياً تقياً، لذلك هاجم الهراطقة، وقد وجد أوغسطين فيه سنداً قوياً للمسيحية. لذلك أرسله إلى القدس بفلسطين حيث كان القديس جيروم فانضم إليه مدافعاً عن المسيحية ضد البدع التي سادت تلك المرحلة. وفي عام ٤١٥ عقد يوحنا أسقف مدينة القدس مجمعاً في المدينة لمناقشة أمور العقيدة المسيحية، وفي هذا المجمع هاجم أوروسيوس الهراطقة دون هوادة، وكتب عدة كتب دفاعاً عن المسيحية الحقة، وكان مما هاجمه أوروسيوس هراطقة بلاجيوس Pelagius صاحب المذهب المنسوب إلى اسمه وهو مذهب بلاجيانزم Pelagianism الذي أنتشر في هذه المرحلة.

غادر أوروسيوس فلسطين في عام ٤١٦م وعاد إلى القديس أوغسطين في مدينة هيبو، وبعد فترة ليست طويلة عاد أوروسيوس إلى وطنه، وفي الطريق عرج على جزيرة مينورقا Minorca وسمع عن الحروب والدمار الذي أنزله الوندال بالمنطقة، وما لبث أن عاد أوروسيوس إلى القديس أوغسطين مرة أخرى. وفي هذه المرحلة اقترح القديس أوغسطين على أوروسيوس أن يكتب تاريخاً للعالم.

وترجع رغبة القديس أوغسطين إلى أنه باعتباره من كبار رجال الدين المسيحي ومن اللذين صاغوا فلسفتها أن لا يسكت على ما كتبه الوثنيون في العصر الوثني من أحداث تاريخية، وكان يرى أن يسجل تاريخاً للبشرية يحمل الفكر المسيحي ويكون له طابعاً رسمياً داخل الكنيسة خاصة في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ المسيحية، فقد تعرضت روما للحصار وهاجمها ألاريك ملك القوط في عام ٤١٠م واتهم الوثنيون المسيحية بأنها سبب هذا البلاء الذي حل بالبلاد.

وأمام هذه الاتهامات عهد القديس أوغسطين إلى أوروسيوس بالرد على هذه الاتهامات. وقد قبل الأخير ما عرضه عليه القديس أوغسطين وبدأ يستعد لهذا العمل الكبير بجمع المادة التاريخية والدينية اللازمة لذلك، وأعد أبحاثاً للدفاع عن المسيحية ضد من يخالفون التعاليم المسيحية، مستنداً فيها إلى آراء القديس أوغسطين والأناجيل، وما كتبه المؤرخ يوسيبيوس القيصرى، والقديس جيروم، وليفى، وبعض المصادر الأخرى، والحقيقة أن أوروسيوس وإن كان قد اعتمد فى مادته التاريخية على بعض المؤرخين الذين سبقوه فإنه اعتمد تماماً على نظرية القديس أوغسطين القائلة بمبدأ القضاء والقدر فى الأحداث التاريخية وفى تاريخ الأمم، وطبقاً لهذه النظرية فإن العالم قد حكمته إمبراطوريتان هما الامبراطورية البابلية فى الشرق والامبراطورية الرومانية فى الغرب، وقد ورثت الامبراطورية الرومانية حضارة البابليين عن طريق الحضارة الهلينية والفينيقية. وعلى ذلك كان هناك أربع امبراطوريات فى العالم، وهى النظرية التى كان لها صدى كبير طوال العصور الوسطى.

وقد قسم أوروسيوس كتابه إلى عدة أقسام، بدأ القسم الأول بموجز عن التاريخ العالمى حتى وصل إلى بناء مدينة روما، أما الثانى فيمتد من تاريخ روما حتى اجتياح الغاليون المدينة، وفى بلاد فارس حتى حكم قورش Cyrus (ت٥٢٩ ق.م)، وفى تاريخ اليونان حتى معركة كوناكسا Cunaxa فى ٤٠١ ق.م. أما الثالث فيتضمن التعامل بصفة رئيسة مع الإمبراطورية المقدونية تحت حكم الاسكندر الأكبر (٣٥٦- ٣٢٣ ق.م) وخلفائه، وما يعاصره من التاريخ الرومانى. وفيما يختص بالفصل الرابع فيتحدث عن تاريخ روما حتى تخريب مدينة قرطاج على يد الرومان عام ١٤٦م. أما الأجزاء الثلاثة الباقية فتتحدث عن التاريخ الرومانى فقط حتى عصر أوروسيوس حيث توقف فى عام ٤١٨م.

- القديس جيروم:

ومع الاعتراف بالديانة المسيحية ديناً فى الإمبراطورية الرومانية، بدأت زيادة نفوذ الكنيسة ثم تطورت بفضل المسيحيين المخلصين من رجال الدين، ومن هنا بدأت الحاجة ماسة إلى كتابة السير والتراجم للأبطال الشهداء من المسيحيين الذين قاوموا الحكم الرومانى، وكان يوسيبيوس القيصرى أول من تراجم رجال الكنيسة المرموقين وأعمالهم. وقد جاء بعد يوسيبيوس القديس جيروم Saint Jerome (٣٤٧ - ٤٢٠م) وهو رجل دينى مسيحى ويعتبر أحد كبار رجال الدين فى عصور المسيحية الأولى. ويعتبر ما كتبه جيروم أول تجميع رسمى للسير المسيحية الشهيرة، وقد سجلها فى كتابه «مشاهير الرجال» الذى سجله فى عام ٣٩٢م.

وكان الذى دفع جيروم إلى ذلك هو أن الكُتاب الوثنيين كانوا يميلون إلى التقليل من شأن الكتاب المسيحيين وأظهارهم فى صورة غير المتعلمين، فأرادوا أن يرد عليهم. وبالإضافة إلى ذلك فإنه وضع قائمة بالرموز المسيحية الذين أعتبرهم قد خدموا الكنيسة المسيحية بأعمالهم الأدبية. وقد بدأ جيروم يسجل أسماء هؤلاء ابتداء من بطرس الرسول حتى وصل إلى تسجيل إسمه. ومما لاشك فيه أنه استفاد من الكتابات السابقة عن هؤلاء المشاهير خاصة على ما كتبه يوسيبيوس القيصرى، ثم سار الكثير بعد جيروم على منواله. ومن الملاحظ أن هذه السيرة والتراجم قد اتصفت بطابع البساطة والايمان بالخوارق والمعجزات. ومما لاشك فيه أن مثل هذه الكتب قد قدمت لنا جانباً عن الفكر المسيحى لرجال الدين على مدى العصور الوسطى.

- مؤرخ القوط جوردانس:

وترجع أهمية المؤرخ جوردانس Jordanes، أو Jornandes أو Jordanis إلى أنه المؤرخ الوحيد تقريباً الذى ترك لنا مؤلفاً خاصاً بالعناصر القرطبية فى كتابة «أصل وأعمال القوط» The Origin and Deeds of The

Goths. والمؤرخ جوردانس كما سجل بنفسه أنه ينحدر من أصل قوطى، وأنه سجل كتابه هذا كمخلص لكتاب كاسيودوروس Cassiodorus الذى سجل فيه أعمال القوط لأن الكتاب الأخير قد فُقد، وأن جوردانس قد سجل كتابه هذا فى المرحلة الأخيرة من حكم الامبراطور جستنيان وبعد القضاء على دولة القوط فى إيطاليا.

ولقد عاش المؤرخ جوردانس فى منتصف القرن السادس عشر الميلادى فى أراضى الامبراطورية الرومانية الشرقية أى الإمبراطورية البيزنطية، وأنه كان ينحدر من عائلة عريقة، وكان جده يعمل فى وظيفة كاتب عدل أو موثق عند كانداك Candac ملك الآلان Alani فى اقليم مواسيا Moesia الذى يقع بين الدانوب وجبال البلقان أى بلغاريا حالياً. كما أن مؤرخنا جوردانس قد شغل أيضاً وظيفة موثق لأسباب غير معروفة وقد اعتنق المسيحية فى مرحلة لاحقة ثم دخل الرهبانية وتحول إلى راهب وعاش فى إقليم تراقيا Thrace أو مواسيا. وليس من المعروف أنه أصبح أسقفاً لمدينة كروتون Croton الواقعة فى أقصى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة الايطالية. وقد ارتبط إسم جوردانس بإسم فيجيليوس Vigilius، وليس من المعروف هل هذا هو البابا المعروف بهذا الاسم وحكم من ٥٣٨ - ٥٥٥م أم لا. كما أن جوردانس قد عمل لدى المؤرخ بولس الشماس Paul The Deacon صاحب كتاب تاريخ المبارد وسيرد ذكره فيما بعد.

لقد ألف جوردانس كتابين، وأحد هذه الكتب هو كتاب القوط ومن الأفضل أن نقول تاريخ القوط فى مواسيا، وقد أهدى هذا العمل لصديقه كاستولوس Castalius وهذا الكتاب يبدأ من عام ٥٥١م، وهو جزء من كتاب القوط - الذى أعده من قبل كما ذكرنا كاسيودوروس - الذى فُقد، وبذلك أصبح ما كتبه جوردانس هو الباقى مما كتب عن القوط.

والكتاب مقسم إلى ستين فصلاً صغيراً وانتهى بخاتمة، وقد بدأ المؤرخ

الكتاب بمقدمة، ثم بمدخل جغرافى عن العالم الذى يعرفه وتعرض إلى قارة أوربا، ثم تكلم عن القوط فى القرن الثالث الميلادى، ثم تكلم عن أصل عناصر الهون Huns، ثم انقسام دولة القوط. وتحدث عن دولة القوط الغربيين Visigoths، ثم عاد وتحدث عن قبائل الهون والمعارك التى خاضها زعيم الهون Attila (ت٤٥٣م)، وبعد ذلك قدم لنا مادة تاريخية عن القوط الشرقيين Ostrogoths، وأخيراً قدم خاتمة عن الكتاب.

وقدم المؤرخ الكثير من التفاصيل داخل فصول الكتاب، فتكلم عن الاسكندر الأكبر والبلاد التى فتحها، ثم الأراضى التى عاش فيها القوط فى بداية حياتهم ثم تطرق إلى ملوكهم وغزواتهم ومعاركهم مع الإمبراطورية وموت الإمبراطور فالنز فى معركة أدرنه، وتصرفات الامبراطور ثيودوسيوس تجاه القوط.

كما تحدث عن قوط ايطاليا ومحاولة عبورهم إلى افريقيا وموت ملك القوط ألاريك ودفنه فى قاع النهر، كما تحدث عن الملك القوطى فاليا Valia أو واليا وحروبه مع الوندال ثم تقدم الوندال وهجرتهم إلى شمال افريقيا. كما تحدث عن القوط وملوكهم فى أسبانيا.

ومن التفاصيل التى تحدث عنها حروب أتيلا ملك الهون وقدم وصفاً عن الحروب التى دارت بين الهون والامبراطورية والمعارك التى دار القتال فيها رجل برجل ويد بيد ثم هزيمة الهون ورحيلهم عن أراضى الامبراطورية ثم موت أتيلا. كما قدم لنا بعض المعلومات عن عناصر الجبيدى Gepidae والسويفى Suavi والبرجنديين Burgundins وأخيراً كيف قضى الامبراطور جستنيان على دولة القوط فى إيطاليا.

والحقيقة أن المؤرخ جوردانس قدم لنا أفضل مادة تاريخية عن العناصر القوطية وتجوالها فى أوربا الشرقية والغربية وصراعها مع الامبراطورية الرومانية، وكذلك نهاية دولة القوط فى إيطاليا على يد الإمبراطور جستنيان

وقائده بلزاريوس Belisarius. كما أن هذا المؤرخ قد أوضح لنا المصادر التاريخية التي استقى منها معلوماته التاريخية مثل كورنليوس Cornelius مؤرخ عناصر الآلان Annals، والمؤرخ أوروسيوس الذي سبق ذكره، وبريسكوس Priscus الذي تحدث عن الهون وأتيلا، والمؤرخ فابيوس Fabius وحديثه عن مدينة رافنا Ravenna وآخرين. ورغم متعة قراءة هذا الكتاب إلا أنه لم يسجل تاريخ الأحداث إطلاقاً مما يمثل عبئاً على الباحث.

- إيفاجريوس:

وهو مؤرخ مسيحي وأكمل تاريخ يوسيبيوس، وقد ولد إيفاجريوس Evagrius في عام ٥٣٦م في مدينة إيبفانيا في سوريا ومات بعد عام ٥٩٤م في سنة غير معروفة، وكان صديقاً للأب جريجوري بطريرك أنطاكية (٥٦٩- ٥٩٤م) الذي دافع عن الامبراطور موريس Maurice (٥٩٣- ٥٩٤م)، وحضر مجمع القسطنطينية الذي عقد في عام ٥٨٨م، وقد عين الامبراطور طيبريوس الثاني Tiberius II هذا المؤرخ وزيراً للخزانة. كما أن الامبراطور موريس قد منحه لقب Prefect. وكان إيفاجريوس أستاذاً في علم البلاغة، وقد جمع مجموعة من التقارير والخطابات وبعض الفصول التي كتبها البطريرك جريجوري، كما سجل أيضاً بعض الأحاديث الخاصة به وكان من بين هذه المحادثات إطراء للإمبراطور موريس وأبنه الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius. وقد فقدت هذه الأعمال كلها عدا كتاب تاريخ الكنيسة الذي دونه في ستة فصول أو كتب، وكان هدفه من ذلك هو إكمال ما كتبه مؤرخو الكنيسة الأوائل مثل يوسيبيوس القيصري، والذي أكمله سقراط Socrates وزوزيموس، وثيودوريت Theodoret.

لقد بدأ كتابه بالحديث عن مجمع إفسوس Ephesus الذي عقد في عام ٤٣١م وانتهى بحكم الامبراطور موريس. ولهذا الكتاب أهمية كبيرة جداً خاصة ما يتعلق بالصراع الديني المذهبي الذي دار في القرن الخامس والسادس مثل النسطورية واليوتيخية والطبيعة الواحدة، وقد قدم أيضاً إيفاجريوس

تفاصيل تتعلق بالأحداث والأشخاص، ولم ينس أن يقدم معلومات تتعلق بعمارة وفنون كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية، كما خص التاريخ السياسي بأهمية خاصة، وتضم الحولية الأحداث الواقعة بين عامي ٤٣١ - ٥٩٤م.

وتفاصيل الحولية التي تركها إيفاجريوس أنها تقع في ستة فصول وكل فصل مسجل به مجموعة من الموضوعات. وفيما يتعلق بالفصل الأول فقد بدأه بالحديث عن الهرطقة النسطورية التي ابتدعها نسطور Nestor والذي تولى عرش بطريركية الامبراطورية البيزنطية (٤٢٨ - ٤٣١م)، وما دار حولها حتى وفاته في مدينة طيبة بمصر بعد نفي استمر ستة عشرة عاماً. كما قدم في هذا الفصل هرطقة يوتيخوس Eutyches ثم تبرئته في مجمع إفسوس Ephesus ٤٣١م. كما تكلم في هذا الفصل عن رهبانية القديس سمعان العمودي Simon The Stylite (ت. ٤٤٠م)، كما تحدث عن أتيلا Attila ملك الهون (ت٤٥٣م) والحروب التي دارت في عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثاني ٤٠٨ - ٤٥٠م، وأخيراً تكلم عن زوجته الامبراطورة يودكيا Eudcia وزيارتها لمدينة القدس والمباني التي أنشأتها.

وفي الفصل الثاني بدأه بالحديث عن الامبراطور مارقيان Marcian ٤٥٠-٤٥٧م، ومجمع خلقدونيه Chalcedon الذي عقد في عام ٤٥١م ودعا إليه الامبراطور مارقيان. كما تناول موت الامبراطور الغربي فالنتيان Valentinian (٤٢٥- ٤٥٥م) وكذلك موت الامبراطور مارقيان، كما تناول في هذا الفصل زواج الامبراطور زينون Zeno (٤٧٤- ٤٩١م) من الإمبراطورة أريادن Ariadne، ثم عاد وتكلم عن موت الامبراطور ليو الأول Leo I (٤٥٧ - ٤٧٤م).

وفيما يختص بالفصل الثالث، فقد عاد المؤرخ وتكلم عن أخلاق وتصرفات الامبراطور زينون واستعادته العرش، وموضوعات أخرى تتعلق بأسقف أنطاكية وأساقفة الأسكندرية والحياة الدينية في عهد الامبراطور

زينون. كما تحدث عن موت الامبراطور زينون وتوليه الامبراطور أناستاس Anastasius (٤٩١ - ٥١٨م)، وغزو القبائل العربية فى بلاد الشام لأراضى الامبراطورية فى أعالى الفرات وفينقيا وفلسطين فى عام ٥٠٠م، كما تكلم عن سور مدينة القسطنطينية وهو السور الطويل الذى أقامه الامبراطور أناستاس، وختم المؤرخ الفصل بالحديث عن الشغب الذى دار فى العاصمة البيزنطية.

أما الفصل الرابع فقد بدأه المؤرخ بتولية الامبراطور جستن Justin (٥١٨ - ٥٢٧م)، كما تحدث عن أسالفه مدينة أنطاكية والزلزال الذى وقع بالمدينة عام ٥٢٦م، ثم تحدث عن تولية الامبراطور جستنيان الأول Justinian I ٥٢٧ - ٥٦٥م، وحروب الامبراطورية التى قادها بلزاريوس Belisarius ضد الوندال فى شمال أفريقيا. كما تحدث عن قبائل الهيرول Heruli بقيادة زعيمها أدواكر Odoacer وسقوط مدينة روما، كما تكلم عن سقوط مدينة أنطاكية فى يد الفرس عام ٥٤٠م. كما قدم لنا المؤرخ أحداثاً أخرى سياسية ودينية وختم الفصل بموت الامبراطور جستنيان. ويتبين لنا أنه أخذ عن المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس Procopius كما ذكر فى الموضوع الثانى والعشرين من هذا الفصل.

كما تناول المؤرخ فى الفصل الخامس العديد من الموضوعات بدأها بالحديث عن اعتلاء الامبراطور جستن الثانى ٥٦٥ - ٥٧٨م عرش الامبراطورية، ثم استطرد فى الحديث خاصة عن العلاقات مع الامبراطورية الفارسية والغزو الفارسى الذى تناول مدينتى أفاميه ودارا، والسفارة التى أرسلتها الامبراطورية البيزنطية إلى الفرس وموت الامبراطور الفارسى كسرى الثانى Chasroes II (٥٩٠ - ٦٢٨م) وتوليه الامبراطور هورمز الخامس Hormisdas V (٦٢٨ - ٦٣٢م) الذى تولى مع أردشير الثالث Ardashir III. وتحدث عن الزلزال الذى ضرب أنطاكية عام ٥٧٦م. كما تحدث عن الامبراطور موريس Mourice (٥٨٢ - ٦٠٢م) وأحداث أخرى دينية وسياسية.

أما الفصل السادس والأخير فقد تناول فيه موضوعات متعددة لعل أهمها القائد العربى المنذر وابنه النعمان، وهجمات قبائل الآفار على أراضى الإمبراطورية وكذلك القبائل الجرمانية، وعن مصرع الامبراطور الفارسى هرمز الخامس وفرار كسرى الصغير، وعن السفارة البيزنطية إلى الفرس، ثم عاد إلى الحديث عن النعمان، وأخيراً الحديث عن سمعان العمردى الصغير، ويلاحظ أنه يشير إلى المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس فى ذكر بعض الأحداث التاريخية.

- القديس إيذيدور الاشبيلى :

ولد ايذيدور الاشبيلى Isidor of Seville فى مدينة قرطاجنه بأسبانيا حوالى عام ٥٦٠م وتوفى عام ٦٣٦م. وكان والده سفريانوس Severianus ووالدته هى ثيودورا Theodora، وكان أخوه الأكبر ليندر Leander قد شغل مركز أسقفية إشبيليه، بينما كان أخوه الأصغر فولجنتيوس Fulgentius يشغل مركز اسقفيه مدينة أستجه Astigi، وكانت أخته فلورنتينا Florentina راهبة ويقال أنها كانت مسئولة عن أربعين ديراً للنساء بها حوالى ألف راهبة.

وقد تلقى ايذيدور تعليمه الأولى فى مدرسة كاتدرائية مدينة إشبيليه، وفى هذه المدرسة تعلم العلوم الثلاثية Trivium وهى النحو والبلاغة والمنطق كما تعلم أيضاً العلوم الرباعية وهى الحساب والموسيقى والفلك والهندسة وكل هذه العلوم كانت تعرف باسم العلوم السبعة. كما أنه اجتهد وتعلم فى وقت قصير اللغة الاتينية والاغريقية والعبرية. وليس من المعروف لدينا عما إذا كان إيذيدور قد دخل الرهبانية أم لا، ولكن من المتفق عليه أنه لم ينتم إلى أى طائفة دينية، وقد خلف أخاه فى مركز أسقفية إشبيليه لأنه اعتبر حامياً للرهبانية. وفى عام ٦١٩م أعلن أنه سيصدر قرار الحرمان ضد أى رجل دين يتسبب فى إزعاج الأديرة.

وقد ظل إيذيدور فترة طويلة فى منصب أسقفيه إشبيليه خلفاً لأخيه عمل خلالها على إلغاء الكثير من النظم التعليمية التى سادت الامبراطورية

الرومانية، وبدأت فى أسبانيا حضارة جديدة فى الظهور تعتمد على الأعراق التى خلفتها العناصر التى كونت الشعب الأسبانى بعد الهجرات الجرمانية.

وحتى عصر المؤلف كان القوط يسيطرون ولمدة قرنين على أسبانيا، ولقد كان سلوك البرابرة واحتقارهم للتعليم يعوق كثيراً من تقدم الدولة الأسبانية ماديا أو روحياً، ولقد أخذ إيذيدور على عاتقه إدماج كل هذه العناصر فى أمة واحدة وهى مملكة القوط، ولذلك كرس كل وقته فى الاستفادة من كل المصادر الدينية والتعليمية ليقدم لدولته صياغة تعليمية ودينية جديدة، وقد كللت كل جهوده بالنجاح. فلقد أخذ المذهب الأريوسى الذى كان له جذور عميقة فى أسبانيا فى الزوال وكذلك الهرطقات الأخرى وأخذت الكاثوليكية والنظام يعم أرجاء المملكة القوطية وذلك بفضل إيذيدور وأخيه ليندر. وقد اعترفت بذلك المجامع الدينية التى عقدت فى أسبانيا مثل مجمع طليطلة وإشبيلية. وفى مجمع طليطلة الرابع الذى عقد فى ديسمبر ٦٣٣م وحضره كل أساقفة أسبانيا، كان القديس إيذيدور قد تقدم به السن ولكنه حضر هذا المؤتمر ولعب دوراً كبيراً فى صياغة قراراته التى أوجبت على الأساقفة عقد حلقات دراسية فى كاتدرائيات المدن لمزيد من الدراسة والتعمق الدينى للتعرف على فكر البرابرة الذى كانت بقاياه لازالت داخل المملكة.

لقد كان إيذيدور آخر الفلاسفة المسيحيين الذين ينتمون إلى العصر القديم، كما أنه كان آخر علماء رجال الدين اللاتين، يضاف إلى ذلك أنه كان أعظم المتعلمين فى عصره وأنه أثر كثيراً على الحياة العلمية فى العصور الوسطى. وأن معاصريه وأصدقاءه اعتقدوا بأن الله بعثه لإنقاذ شعب أسبانيا من ملوك البرابرة الجرمان وأنه عمل على تهذيب سلوك الشعب القوطى، كما شهد بذلك ما صدر من مجمع طليطلة الرابع الذى عقد فى ٦٥٣م ووصفه بأنه درة الكنائس الكاثوليكية، وأنه أكثر الناس علماً فى عصره والعصور السابقة، وقد أقر مجمع طليطلة الخامس عشر الذى عقد فى ٦٨٨ م هذه الصفات أيضاً

وللقديس إيذيدور أعمال كثيرة دينية وأخرى تاريخية، ويهمنا فى هذا المقام الحديث عن الكتب التاريخية، وهما كتابان، الأول وهو حولية تاريخ العالم Chronic of the World وتوقف عند عام ٦١٥م، وأما العمل الآخر فهو تاريخ القوط Historia Cothorum، وهو يحتوى على تاريخ القوط الغربيين حتى عام ٦٢٥م ومع هذا الكتاب ملحقان عن الوندال والسويفى Vandals and Suevians، ولا يتسع المجال هنا للحديث عن الكتابين لذلك سوف نتناول الكتاب الأول وهو تاريخ العالم لأنه يرتبط بالفكر المسيحى القائم على بداية الخلق.

وهذا الكتاب مقسم إلى مراحل تاريخية تبدأ الأولى منها بالخلق وأن الله قد خلق العالم فى ستة أيام وتنتهى بأيام سيدنا نوح وأولاده. أما الثانية فيبدأ من سيدنا سام حتى مولد سيدنا ابراهيم. أما الثالثة فيبدأ من سيدنا إبراهيم حتى ذكر سيدنا داوود. وفيما يتعلق بالرابعة فتبدأ من سيدنا داوود حتى الأسر البابلى. أما الخامسة فتتعامل مع الأسر حتى مولد السيد المسيح. والسادسة والأخيرة فتبدأ من عهد الامبراطور أوكتفيان Octavian حتى السنة العالمية ٥٨١٤ وهى التى تعادل السنة الخامسة من حكم الامبراطور Heraclius (٦١٠ - ٦٤١م) والسنة الرابعة من حكم الملك القوطى الغربى سيسبوت Sisebut (٦١٢- ٦٢٠م) ويلاحظ أن المؤرخ كان يختتم كل مرحلة بتاريخ السنة العالمية.

- بيروكوبيوس القيصرى:

بروكوبيوس القيصرى Procopius of Caesarea، ويعرف بذلك الإسم لأنه ولد فى مدينة قيسارية الساحل فى فلسطين فى السنوات الأخيرة من القرن الخامس الميلادى، وكانت وفاته بعد عام ٥٦٢م. ويعرف بروكوبيوس لدى المؤرخين بأنه مؤرخ أحداث عصر الإمبراطور البيزنطى جستنيان، كما أنه قدم لنا مادة تاريخية عظيمة عن أعمال القائد البيزنطى الكبير بلزاريوس

Belisarius قائد قوات الامبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان ولا نعرف شيئاً عن المراحل الأولى من حياته أو تعليمه، ولكن المعروف لدينا أنه إعتمد على نفسه ليكون في مركز مرموق. وقد ذهب بروكوبيوس في شبابه إلى القسطنطينية وبدأ في الظهور وأصبح في عام ٥٢٧م سكرتيراً خاصاً لدى بلزاريوس وهو الشاب الذى كان يعمل لدى القائد جستنيان قبل توليه عرش الامبراطورية بشهور قليلة. وقد شغل بلزاريوس صفحات كثيرة من مؤلفات بروكوبيوس.

وقد إصطحب بروكوبيوس القائد بلزاريوس في كل حملاته العسكرية وأصبح هذا المؤرخ شاهد عيان على معظم المعارك العسكرية، فنجده في عام ٥٢٧م مع القوات البيزنطية أثناء حروبها في بلاد فارس عام ٥٢٧م، وكذلك في عام ٥٣٣م إصطحب القوات نفسها لإستعادة شمال أفريقيا من الوندال، وفي عام ٥٣٦م إتجه مع القوات البيزنطية إلى إيطاليا لمحاربة القوط الشرقيين، وبذلك أصبح بروكوبيوس هو المؤرخ الوحيد الذى يستطيع أن يسجل هذه الأحداث بإعتباره من أقرب المقربين إلى القائد بلزاريوس الذى أدار كل هذه العمليات العسكرية، كما أنه من موقعه هذا كان على إتصال وثيق ببلاط الإمبراطور جستنيان في القسطنطينية، وبذلك تعرف عن قرب على جميع الأحوال الإدارية وغيرها داخل الإمبراطورية.

لقد قدم لنا بروكوبيوس ثلاثة أعمال قدم من خلالها قدراً كبيراً من المعلومات عن عهد الامبراطور جستنيان حتى عام ٥٦٠م، ومع هذا القدر الكبير من المعلومات ربما يجد بعض المؤرخين المحدثين صعوبة مع المادة التاريخية التى تقدمها لنا. ويمكن القول أن أكبر أعماله هو تاريخ الحروب The History of wars التى قدمها في ثمانية كتب. ويلاحظ فيها أن المادة التاريخية غير مرتبة طبقاً لتسلسل الحوادث، وهذه الكتب منفصلة عن بعضها البعض ولكنها مرتبطة بالحروب الثلاثة الرئيسية التى خاضها بلزاريوس، وهى حروب الامبراطورية البيزنطية مع الفرس في الشرق، والوندال في شمال

أفريقيا، وأخيراً مع القوط الشرقيين في أيطاليا. وقد تعامل الكتاب الأول والثاني مع الحروب الفارسية. أما الثالث والرابع فتخصص في الحروب مع الوندال، وفيما يتعلق بالخامس والسادس والسابع فهي تؤرخ للصراع مع القوط الشرقيين وقد طبعت السبعة كتب الأولى مع بعضها في أول الأمر. أما الثامنة فقد أضيفت إليها للوصول بالاحداث إلى عام ٥٥٤م لأن الاحداث الحربية الواردة في هذه الكتب كانت تتداخل مع بعضها وتحدث في وقت واحد. ففي الوقت الذى كانت فيه الامبراطورية تدافع عن أراضيها ضد العدوان الفارسي على حدودها الشرقية كانت تحشد جيوشها في إيطاليا وإفريقيا، لأنه في واقع الأمر كانت الامبراطورية البيزنطية تحاول بكل جهودها استعادة حدودها القديمة من البرابرة الذين استولوا عليها قبل تلك المرحلة. فلقد كان لدى الامبراطور جستنيان الحماسة والطموح لاستعادة أمجاد الامبراطورية الرومانية، ولذلك فعل كل ما يستطيع لتنفيذ ذلك. لقد كان في ذلك عملاً عظيماً ولكنه كان أيضاً محفوفاً بالمخاطر، وإذا كان جستنيان قد نجح في إنجاز هذا العمل إلا أنه كان إنجازاً مؤقتاً.

والحقيقة أن ما سجله بروكوبيوس يتجاوز العنوان المسجل على مؤلفاته فهي لا تتعلق بالحروب فقط ولكنها تتناول أحداث عصره، ففي الوقت الذى تقرأ فيه الكثير عن حروب جستنيان فإنها تقرأ الكثير عن الأحوال الداخلية بالامبراطورية مثل ثورة نيقا Nika التى وقعت أحداثها في العاصمة القسطنطينية عام ٥٣٢م، والطاعون الذى حدث عام ٥٤٠م.

ويأتي العمل الثاني وهو كتاب التاريخ السرى Anecdota أو التاريخ السرى Secret History بعد كتب الحرب، وفي هذا الكتاب أطلق بروكوبيوس العنان لنفسه وابتعد عن الاعراف والخوف وهاجم الامبراطور جستنيان وزوجته الامبراطورة ثيودورا Theodora دون رحمة، كما هاجم بلزاريوس وزوجته Antonina وقدم لنا أسوء صورة لهم جميعاً سواء في حياتهم العامة أو الخاصة، وفي الوقت نفسه قدم لنا المؤرخ في هذا الكتاب بعض الحقائق، وما

لاشك فى أن هذا الكتاب لم يظهر فى حياة المؤلف أو الامبراطور جستنيان ولكنه ظهر بعد وفاة جستنيان فى عام ٥٦٥م.

وجاء الكتاب الثالث عن العمارة Buildings، وهذا الكتاب ينقسم إلى ستة فصول صغيرة، واحتوى على قدر من المعلومات حول المبانى العامة التى أقامها الامبراطور جستنيان فى كل نواحى الامبراطورية، ومن الواضح أن الموضوعات المدونة قد اختيرت بعناية وكتبت باسهاب ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب لدراسة العمارة فى تلك الحقبة.

وواقع الحال أن ما سُجل عجز عن الحقيقة وكتب بلغة سهلة، ورغم ذلك فانه توجد بعض البلاغة فى الاسلوب ولديه إعجاب بالكتاب الكلاسيكيين، وأنه تأثر بأسلوب هيرودت وثيوكيدس، وأنه استعار منهما بعض العبارات

- فيكتور أف تونونا:

كان فيكتور أسقف تونونا Victor of Tunnua، وهى المدينة التى تقع فى شمال افريقيا، مؤرخاً ومدافعاً عن عقيدته المسيحية، فقد كان من المتحمسين للفصول الثلاثة Three Chapters وهى نصوص تتعلق بالجانب الدينى وشجبها الامبراطور جستنيان عام ٥٤٤م، وقد ساند فيكتور مذهباً دينياً يخالف المذهب الذى اعتنقه جستنيان بتأييد الفصول الثلاثة ومن أجل موقف فيكتور فقد سجن فى أول الأمر فى دير ماندراكيون Mandrakion ثم نفى إلى إحدى جزر البحر المتوسط ثم نفى إلى مصر.

وفى عام ٥٦٤م استدعاه بطريرك القسطنطينية أنتيخيوس (٥٥٢-٥٦٥م)، وذلك فى عهد الامبراطور جستنيان الأول، ومعه خمسة من الاساقفة الافارقة وطلب منهم أن يؤيدوا مرسوم الامبراطور الخاص بتأييد الفصول الثلاثة. وقد ظل الجميع على مواقفهم ولذلك سجنوا فى أماكن متفرقة من الأديرة داخل القسطنطينية، وفى عام ٥٦٩م صدرت تعليمات بنقله إلى مكان آخر ويبدو أنه توفى بعد وقت قليل فى مكان غير معروف.

وقد وضع فيكتور مؤلفاً أو حوليه هامة جداً تبدأ منذ بداية العالم حتى عام ٥٦٦م، ولم يبق منه فقط إلا الجزء الذى يبدأ من عام ٥٤٤ حتى عام ٥٦٦م. وأهمية هذا المؤلف ترجع إلى أنه تعامل بصفة رئيسية مع يوتيخا أو يوتيخوس Eutychus (توفى بعد ٤٥٤م) والخلاف الذى دار حول الفصول الثلاثة، كما أنه قدم بعض المعلومات عن المذهب الاريوسي الذى ينسب إلى آريوس Arius (٢٥٦ - ٣٣٦م)، وأخيراً غزو الوندال لشمال أفريقيا. والحوليه التى كتبها فيكتور قد إستكملت حتى عام ٥٩٠م بمعرفة يوحنا القوطى Joannes Gothus مؤسس أحد الاديرة فى أسبانيا. كما توجد مؤلفات أخرى للمؤلف فيكتور.

والحقيقة أن كثرة ذكر الهرطقات فى الكتب التاريخية قد دفعت أحد الباحثين المحدثين الامريكيين وهو مورين تللى Maureen Tilly فى جامعة دايتون Dayton إلى تقديم بحث رائع حول هذه الخلافات صدر فى نوفمبر عام ١٩٩٩م، وخلاصة هذا البحث أن المسيحية إنتشرت بشكل مميز فى شمال أفريقيا فى القرن الثانى الميلادى، كما أنها تميزت بالانهيار فى القرن الثامن الميلادى، وكانت الأسباب التى أدت إلى ذلك بعيدة عن المسيحية، ولكن الحقيقة أن إنتشار المسيحية إقتصر على المدن الرئيسية ولم يتعداها إلى الريف والداخل، ولكنها إنتشرت بمذاهب مختلفة، جعل الديانة الإسلامية قريبة منها. ورأى البعض أن الفساد الداخلى فى دولة الوندال والنظام البيزنطى بالتزامن مع غزوات البربر جعلت من شمال أفريقيا أرضية خصبة لتقدم القوات العسكرية من الشرق أى تقدم القوات الاسلامية. والحقيقة أن ما ورد فى المدونات وما سجله المؤرخون يشير إلى ضعف الدفاعات العسكرية فى شمال أفريقيا، ومن هذه المدونات أيضاً ما يشير إلى أن الاضطهاد الدينى الذى وقع أثناء حكم الوندال وما حدث من الصراع بين أساقفة شمال أفريقيا والسلطة الدينية البيزنطية، ومن محاولات بابوات روما وتدخلها فى مذهبية شمال أفريقيا، أضعفت كنيسة شمال أفريقيا وساعدت على تقدم الإسلام.

– جريجوري التوري:

من الأحداث الهامة في تاريخ الغزوات الجرمانية قيام دولة الفرنجة، لأنها الدولة الوحيدة التي استطاعت البقاء في أوربا علي حساب الامبراطورية. كما أن دولة الفرنجة التي اتخذت غالة مرطناً لها قد نجحت في مزج الحضارة الرومانية بعادات الفرنجة وتقاليدهم. وكان ذلك مرجعه إلي اعتناق الفرنجة للمسيحية علي المذهب الكاثوليكي، وهو المذهب الذي إعتنقه البابارات في روما، علي العكس من العناصر الأخري التي دانت بالمذهب الاريوسي.

وتعددت الروايات حول ظهور الفرنجة، فقد رأي البعض أن ظهور الفرنجة كان بظهور زعمائهم الأوائل، وهم جينوبود Genoboud، وماركومر Marcomer، وسونو Sunno الذين هاجموا مدينة كلوني Cologne وهُزموا على يد قوات الامبراطورية. ولكنه يمكن القول أن كلوديو Clodio قد وضع اللبنة الأولى لدولة الفرنجة عندما انتصر على قوات الامبراطورية واستولى على كامبريا Cambria ثم على البلاد الواقعة على نهر السوم Somme. ومن كلوديو جاءت السلالة التى حكمت دولة الفرنجة لزمن طويل، فقد خلفه ميروفنش Merovech (ت٤٥٦م) ثم تشيلدريك Childeric (٤٥٨-٤٨١م).

وكان تشيلدريك من رؤساء الفرنجة الساليين وأعان قوات الامبراطورية على صد غارات السكون والقوط الغربيين، وأدرك بوضوح ميزة الاحتفاظ بشمال غالة مفتوحاً أمام زحفه. وفي أثناء ذلك كان الفرنجة البريون ينتشرون على يمين الراين ويساره من مراكزهم في كلوني ومايتز Mayence.

وعندما توفي تشيلدريك خلفه على عرش الفرنجة ابنه كلوفس Clovis (٤٨٢ - ٥١١م) الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لدولة الفرنجة نظراً للدور الكبير الذى لعبه فى السياسة الداخلية والخارجية فى غالة، وأثر ذلك كله على أوربا العصور الوسطى.

انقسمت دولة الفرنجة بين أولاد كلوفس الأربعة بعد وفاته طبقاً للعادات

الجرمانية. ولاشك أن ذلك كان له أثره فى إضعاف دولة الفرنجة. وقد ظلت دولة الفرنجة رغم هذا التقسيم وحدة واحدة لها عواصم أربعة هى ريمز Rheims وأورليان Orlens وباريس Paris وسواسون Soissons. وفى عام ٥٥٨م عادت الوحدة مرة أخرى لدولة الفرنجة عندما توفى أولاد كلوفس عدا لوثير الأول Lother I (ت٥٦١م). ثم ما لبثت أن عادت دولة الفرنجة فى التفكك مرة أخرى بعد وفاة لوثير بين أولاده الأربعة، فقد حكم تشاريبرت Charibert (ت٥٧٦م) فى باريس، وحكم سيجبيرت Sigibert (ت٥٧٥م) فى ريمز، وتشلبريك Chilperic فى سواسون وجونترام Guntram (ت٥٩٣م) فى أورليان.

وحوالى ذلك الوقت يبرز لنا مؤرخ لتاريخ الفرنجة، هو المؤرخ جريجورى أف تور Gregory of Tours، ليقدم لنا مؤلفاً عظيماً عن تاريخ دولة الفرنجة يعد المصدر الأول عن الفرنجة فى هذه الحقبة، وبدونه كان من الجائز أن ينطمس جانب كبير من تاريخ هذه الدولة التى غيرت وجه التاريخ فى مطلع تاريخ أوربا الوسيط. وفى هذه الصفحات يقوم الباحث بالقاء الضوء على المؤرخ جريجورى التورى مع تحليل لكتابه تاريخ الفرنجة.

ولد جريجورى فلورنتيوس Gregory Florentius المعروف بجريجورى أف تور أو جريجورى التورى فى الثلاثين من نوفمبر عام ٥٣٩م. وكان مولوده فى مدينة كليرمونت - فراند Clermont Ferrand التى تعرف فى عصره باسم أرفرنوس Arvernus عاصمة مقاطعة أرفرنيا Arvernia. وينحدر جريجورى من أسرة عريقة كان لها سمعتها كإحدى الأسر الحاكمة التى شاركت فى خدمة الكنيسة. فقد كان والده نبيلاً وجده كذلك، أما والدته أرمنتاريا Armentaria فهى حفيدة القديس جريجورى أسقف لانجر Langer ٥٠٧ - ٥٣٩م، والأخت الكبرى للقديس تتريكوس Tetricus الذى خلف الجد فى أسقفية لانجر ٥٣٩-٥٧٢م. كما أن أخاه بطرس Peter كان يعمل شماساً فى كنيسة لانجر. والواقع

أن المتتبع لأفراد عائلة جريجوري يجد العديد من رجال الدين والدنيا البارزين الذين لعبوا دوراً رئيساً في المجال الروحي والدنيوي.

لم ينعم جريجوري بقضاء فترة صباه مع والده، فقد مات الأب عندما كان جريجوري صبياً، فاضطرت والدته للذهاب إلى برجانديا Burgundy لتتولى شئون ممتلكاتها هناك، وهكذا حرم جريجوري من مسقط رأسه ووالده في آن واحد، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فعندما بلغ الثامنة من عمره عاد مرة أخرى إلى كليرمونت - فراند ليعيش مع عمه القديس جالوس Gallus أسقف المدينة ٥٢٥- ٥٥١م. ولكن رعاية العم للطفل لم تدم طويلاً فقد مات العم وجريجوري لا يزال في الثانية عشر من عمره، ويبدو أن الحياة الدينية قد استهوت الصبي فاستمرت إقامته مع رئيس دير المدينة أفيتوس Avitus الذي أصبح أسقفاً للمدينة في عام ٥٧٢م خلفاً للأسقف كوتينوس Gautinus، الذي وصفه جريجوري بكرم الضيافة وحسن المعاشرة.

ومن كليرمونت قام جريجوري بعدة زيارات لعل أهمها زيارته إلى عم والدته القديس نيستيوس Nicetius أسقف مدينة ليون Lyons ٥٥١- ٥٧٣م، الذي وصفه جريجوري بدماثة الخلق، كما تحدث عن زيارته لابن عمه القديس يوفرونيوس Eufronius أسقف مدينة تور. والواضح أن الإقامة قد طابت لجريجوري في هذه المدينة ولاشك أنها كانت عزيزة عليه، فقد كان من بين الثمانية عشر أسقفاً الذين تولوا رئاسة الأسقفية خمسة من أقاربه. فاقترب جريجوري من السلك الكنسي ودخل في خدمة الكنيسة.

وفي عام ٥٦٣م أي عندما بلغ جريجوري الرابعة والعشرين من عمره مُنح لقب شماس في كنيسة تور، وعندما توفي يوفرونيوس في عام ٥٧٣م، كان جريجوري قد أصبح معروفاً في المدينة، بالإضافة إلي خدمة عائلته للكنيسة، فلا غرابة أن يتم انتخابه ليكون أسقفاً للمدينة، ووافق الملك الفرنجي سيجبيرت Sigibert ٥٦١- ٥٧٥م، علي هذا الانتخاب، وبذلك أصبح

جريجوري الأسقف التاسع عشر لمدينة تور، وظل في هذا المنصب حتى وفاته في السابع عشر من نوفمبر ٥٩٤م، بعد أن خدم واحداً وعشرين عاماً، ومات عن خمسة وخمسين عاماً.

وكان منصب الاسقف الذي تولاه جريجوري من المناصب الهامة في غالة الميروفنجية بصفة خاصة، ولعل ذلك مرجعه أن غالة كانت من أول الدول التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي الذي يدين به البابا في روما، في الوقت الذي كانت أوربا العصور الوسطى على غير ذلك. ومن هنا كانت مساندة البابا لدولة الفرنجة ومساندة الفرنجة للبابا. والحقيقة أن منصب الاسقف كان له مسئوليات ضخمة، وكان هؤلاء الاساقفة يستمرون في مناصبهم حتى وفاتهم، ويتمتعون باحترام الجميع وتقديرهم ولهم من السلطة والحصانة ما يكفي لحمايتهم. وإذا كانت هذه هي القاعدة فقد كان هناك بعض الاستثناءات، فقد اغتيل اسقف روان Rouen في كاتدرائيته عام ٥٨٦م، كما تم نفي أسقف ريمز خارج البلاد لاتهامه بمحاولة قتل الملك تشيلدبرت الثاني Childebert (ت٥٦٧م). وليس لنا أن نتتبع حياة الأساقفة في هذه المرحلة ونكتفي بهذه الأمثلة. غير أنه يمكن القول أن الاساقفة كانوا يمثلون القيم الروحية للمذهب الكاثوليكي وكانوا سفراء لمذهبهم في المؤتمرات الدينية والسياسية التي كان يمثلها العديد من اليهود ومن الجماعات الأريوسية.

ومع بداية تولي جريجوري أسقفية تور أدرك حاجته الملحة إلى المنطق الواضح لمناقشة هذه العناصر، هذا بالإضافة إلى القدرة على الجدل بالحجج والبراهين. وتبدو هذه الظاهرة واضحة في كتابات جريجوري، فقد تناول قصة أحد الدجالين الذين ظهروا في ضواحي مدينة آرل Arles، كما تناول أيضاً جداله مع أحد العناصر الأريوسية حول الروح القدس The Holy Ghost، هذا فضلاً عن مناظرة جريجوري لأحد رجال الدين اليهودي يدعى بريسكوس Priscus، وبعض الذين ينكرون قيامة السيد المسيح. ولقد أفاض جريجوري في ذكر هذه الأحداث والقى عليها أضواء كثيرة مما يشير إلى قدرته على المناقشة

وليست بالشعب الكاثوليكي. لقد كان جريجوري مثلاً طيباً للأساقفة
الناقلين عن الكل والقصة بما لهم من تأثير روحي على الشعب.

يعتقد جريجوري أن مهمة الأساقفة لا تقتصر على القول دون العمل فالأساقفة مسئولون عن الكنائس والأديرة التي تقع في نطاق أسقفياتهم وعليهم القيام ببناء المزيد من الكنائس والأديرة وزيارتها من وقت إلى آخر لتتبع أحوالها، فضلاً عن الإشراف على الممتلكات التي تتبعها من أراضي زراعية وغير ذلك. ويقدم لنا جريجوري أمثلة على ذلك فقد ذكر أن إثيريوس Aetherius أسقف ليزيو Lisieux كان يذهب إلى الحقول ويحمل فأسه ويشارك الفلاحين أعمالهم. ولعل في ذكر هذه الأمثلة ما يجعل إثيريوس مثلاً يحتذى به في غالة الميروفنجية التي ضمت إحدى عشر كاتدرائية في عصر جريجوري.

وبحكم موقع جريجوري بوصفه أسقفاً لمدينة تور كان يشرف على ثماني أسقفيات منها أسقفية ميتز Mans وريـن Rennes وأنجرز Angers ونانت Nantes. وواقع الأمر أن جريجوري عندما تولى منصبه في مدينة تور كانت كاتدرائيتها وهي كنيسة القديس مارتين Martin (ت ٣٩٧م) قد أصابها حريق في عهد سلفه، فتولى جريجوري إعادة بنائها وقد تم ذلك في عام ٥٨٠م. وقد أصبحت أكثر ارتفاعاً عما كانت عليه من قبل. وألحق بها منزلاً خاصاً له. وفي هذا المنزل كان يتقابل مع زائريه الذين يفدون إلى المدينة، ومن هؤلاء الزائرين سيمون Symon أسقف أرمينيا بعد نفيه من بلاده. وسيمون هذا هو الذي ذكر للأسقف جريجوري أحداث سقوط انطاكية التي وقعت في عام ٥٧٣م وهي التي سجلها جريجوري في كتابه.

وكانت علاقة جريجوري بالحكام علاقة طيبة للغاية ففي الفترة التي تولى فيها أسقفية مدينة تور والتي استمرت ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً كانت مدينة تور خاضعة للملك سيجبرت Sigibert (ت٥٧٥م) ثم تشيلبرك Chilperic (ت٥٨٤م) ومن بعده تشيلدبرت الثاني Childbert II (ت٥٩٥م).

وكان جريجوري موضع ثقة ورعاية خاصة. وقد زار جريجوري الملك تشيلبرك في قصره الذي كان مقاماً في نوجنت Nogent على شاطئ نهر مارن Marne شرق باريس في عام ٥٨١م وشاهد بنفسه الهدايا الذهبية والفضية التي أرسلها الامبراطور البيزنطي طيبريوس الثاني Tiberius II ٥٧٨- ٥٨٢م. كما ذهب سفيراً من قبل الملك تشيلدبرت الثاني إلى الملك الفرنجي جونترام Guntram (ت٥٩٣م)، وذلك في عام ٥٨٧م، واتجه إلى مدينة شالون Chalon لإزالة الشكوك التي انتابت نفس الملك جونترام حول معاهدة أندلوت Andelot المرقعة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧م. كما أن جريجوري زار البابا جريجوري الأول (٥٩٠- ٦٠٤م).

وبالرغم من الرابطة القوية التي كانت تجمع جريجوري بملوك الفرنجة، فإنه كان يعارض بعض أعمالهم وخاصة أعمال الاعتقال التي سادت دويلات الفرنجة في هذه المرحلة. كما دافع عن رجال الدين الذين اتهموا بالعمل ضد الملوك. وعلى سبيل المثال عندما دافع عن الأسقف بريتكستاتوس Praetextatus أسقف روان Rouen في اجتماع باريس عندما اتهم بالعمل ضد رغبات الملك تشيلبرك. كما أن جريجوري قاوم بكل شدة رغبات الملك تشيلدبرت الثاني في محاولاته لفرض ضرائب جديدة على سكان مدينة تور، ولم يتوقف جريجوري عن المعارضة حتى توقف محصلو الضرائب عن جمع الضرائب الجديدة.

وقد كتب جريجوري أربعة مؤلفات، الأول وهو كتاب تاريخ الفرنجة The History of Franks، والثاني يتعلق بالمعجزات Miracles، والثالث عن آباء الكنيسة The Fathers والرابع تفسيرات على سفر المزامير في العهد القديم Commentaries on the Psalms.

ولعل أكثر هذه الكتب أهمية للمؤرخ هو كتاب تاريخ الفرنجة موضوع الدراسة. والكتاب نشر باللغة الانجليزية في لندن عام ١٩٧٤ وهي النسخة التي رجع إليها الباحث. وهذا الكتاب مكون من عشر فصول خصص المؤرخ تسعة منها لتسجيل أحداث دولة الفرنجة حتى عام ٥٩١م. والمؤرخ يسجل

الاحداث بالسنوات ويؤرخ لها بنسق حكم الأباطرة وملوك الفرنجة الذين يؤرخ لهم شأنه فى ذلك شأن معظم معاصريه من المؤرخين.

والفصل الأول من كتاب تاريخ الفرنجة يتكون من ثمانية وأربعين موضوعاً ويبدأ مع بداية الخلق منذ آدم عليه السلام وينتهى بأحداث وفاة القديس مارتين فى عام ٣٩٦م، وهى السنة الثانية من حكم الامبراطور أركاديوس Arcadius (٣٩٥- ٤٠٨م) فى القسطنطينية، وحكم هونوريوس Honorius (٣٩٥- ٤٢٣م) فى روما بعد وفاة والدهما الامبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I (٣٧٩- ٣٩٥م). كما أشار المؤلف.

ويغلب على هذا الفصل الطابع الدينى، ولكن المؤرخ قدم لنا مادة تاريخية طيبة عن الامبراطور فالنز Valens (٣٦٤ - ٣٧٨م) ومعركة أدرنة Adrianpole (٣٧٨م) التى قتل فيها الامبراطور على أيدى القوط، كما قدم لنا مادة تاريخية عن الامبراطور ثيودوسيوس الأول وعن دخوله القسطنطينية منتصراً وكيف أنه قبض على خصمه مكسيموس Maximus. وتناول المؤرخ حركة التجارة من الهند إلى مصر عن طريق مدينة القلزم.

والفصل الثانى يتكون من ثلاثة وأربعين موضوعاً، ويبدأ بالأحداث التى تلت وفاة القديس مارتين حتى موت الملك الفرنجى كلوفس. ويغلب على هذا الفصل أيضاً الطابع الدينى. ورغم ذلك فقد أورد به المؤرخ مادة تاريخية عن الوندال Vandals وبداية نزوحهم إلى غالة واضطهادهم للمسيحيين الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكى، كما تحدث عن تحركاتهم وعبورهم إلى الشمال الإفريقى ونهاية دولتهم. كما تناول جانباً من الحروب التى دارت بين السكسون Saxons والفرنجة، وكيف انتصر الملك الفرنجى تشيلدريك عليهم. وتناول المؤرخ أيضاً استعداد الهون Huns لغزو غالة (٤٥١م)، وقدومهم إلى بانونيا Pannonia، وحرق مدينة متز Metz، ثم غزوهم لمدينة أورليان تحت قيادة زعيمهم أتيلا Attila (ت٤٥٤م) وانسحابهم. وفضلاً عن ذلك قدم لنا المؤرخ

اجتياح الهون لاقليم أكويليه Aquileia الذى يقع على الطريق الشمالى للبحر الادرياتيكى وتقدمهم إلى ايطاليا. وأهم ما أورد المؤرخ فى هذا الفصل الاحداث المتعلقة بعصر الملك كلوفس، فقد تناول المؤرخ عصر كلوفس فى موضوعات متعددة فى مادة تاريخية وفيرة.

وفيما يتعلق بالفصل الثالث فقد قدم لنا المؤرخ فى هذا الفصل سبعة وثلاثين موضوعاً. ويبدأ هذا الفصل بتقسيم دولة الفرنجة بعد وفاة كلوفس فى عام ٥١١م بين أولاده الأربعة ثيودريك Theuderic (ت٥٣٤م)، تشلودومر Chlodomer (ت٥٢٤م)، تشيلدبرت (ت٥٥٨م)، ولوثير الأول (ت٥٦١م). وينتهى هذا الفصل بالاحداث المتعلقة ببرت - حفيد كلوفس - الملك الفرنجى ثيودبرت Theudebert (ت٥٤٨م) ابن الملك ثيودريك.

وفى هذا الفصل يبدأ الجانب الدينى يخفف تدريجياً فى كتابات المؤرخ الذى يقدم جوانب تاريخية وفيرة تتعلق بملوك دولة الفرنجة. ومن معالم هذا الفصل ما أورده المؤرخ عن القوط Goths. فقد تحدث عن القوط الغربيين Visigoths فى أسبانيا، وعن عصر الملك ثيودا Theuda (٥٣١- ٥٤٨م). كما تحدث عن القوط الشرقيين Ostrogoths وتناول الحديث عن الملك ثيودريك (٤٩٣- ٥٢٦م)، ووفاته والأحداث التى وقعت فى إيطاليا بعد ذلك.

وفى الفصل الرابع تناول المؤرخ واحداً وخمسين موضوعاً. ويبدأ هذا الفصل بوفاة الملكة كلوتيلد Clotild - زوجة الملك كلوفس فى مدينة تور (عام ٥٤٤م) ونقل جثمانها إلى مدينة باريس. وينتهى بأحداث موت الملك الفرنجى سيجبرت عام ٥٧٥م. ومن الموضوعات البارزة فى هذا الفصل الحرب التى دارت فى عام ٥٥٤م، بين قوات الامبراطور البيزنطى جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ - ٥٦٥م) والقوط الغربيين فى أسبانيا وانتصار قوات جستنيان على الملك القوطى أجيلا Agila (٥٤٩- ٥٥٤م).

كما تناول المؤرخ فى هذا الفصل ثورة العناصر السكسونية وخروج الملك لوثير الأول لمحاربتهم واجتياحه تورنجيا Thuringia ومساندة التورنجيين للسكسون، والمعركة التى دارت بين الفرنجة والسكسون فى عام ٥٥٥م وسقوط العديد من القتلى من كلا الجانبين وما تلى ذلك من عقد الهدنة بين الطرفين وعودة لوثير إلى وطنه.

وتحدث جريجورى أيضاً عن عودة الهون لغزو غالة فى عام ٥٦٦م، وتصدى الملك سيجبرت لهذا الغزو ولكنه لم يوفق رغم دهائه ومكره، فوقع فى الأسر بعد ما حاصره الهون. وما تلا ذلك من أحداث انتهت بإطلاق سراح سيجبرت بعد ما قدم عدداً كبيراً من الهدايا لخان الهون.

وسجل المؤرخ فى هذا الفصل أيضاً نزوح اللمبارد Longobards إلى إيطاليا تحت قيادة ملكهم البوين Alboin (٥٦١ - ٥٧٣م) وهى الأحداث التى وقعت فى عام ٥٨٦م، كما تحدث عن وفاته وقيام اللمبارد بتعيين خلفاً له هو الملك كلفر Chelph (ت٥٧٤م). وعن اللمبارد أيضاً تحدث المؤرخ عن دخولهم إلى غالة تحت قيادة آمو Amo وزابان Zaban ورودان Rodan فى عام ٥٧٤م.

والفصل الخامس يحتوى على خمسين موضوعاً، ويبدأ بحكم الملك تشيلدبرت فى عام ٥٧٥م، وينتهى فى عام ٥٨٠م بالأحداث التى رواها جريجورى عن تنبأ سلافيوس Slavius أسقف مدينة ألب Alpi بما حدث للملك تشيلدريك. ويحتوى هذا الفصل على بعض الجوانب المتعلقة بالأساقفة والكنائس داخل غاله وجانباً عن الأحداث المتعلقة بملوك الفرنجة الذين يؤرخ لهم. ويميز هذا الفصل حديث المؤرخ عن الحرب التى دارت بين السكسون والسوابيين Swabians بعد ما رحل الملك اللمباردى البوين إلى إيطاليا، والحرب التى دارت بين الفرنجة وبين إقليم بريتانى Britany وكيف تم خضوع هذا الإقليم للفرنجة فى عام ٥٧٨م.

كما قدم لنا مادة تاريخية عن عهد الامبراطور طيبريوس وكيف تولى العرش بعد موت الامبراطور جستن الثانى Justin II (٥٦٥- ٥٧٨م)، هذا بالإضافة إلى بعض الجوانب المتعلقة بالامبراطورية البيزنطية وخاصة ما يتعلق بالحرب مع الامبراطورية الفارسية وعودة الجيوش البيزنطية منتصرة.

ويضيف المؤرخ فى هذا الفصل جانباً جديداً هو الحديث عن الضرائب الجديدة التى قررها الملك تشيلبريك، كما تحدث عن الوباء الذى اجتاح إقليم غاله فى أغسطس عام ٥٨٠، وكان سبباً فى هلاك الكثير من المواطنين ومنهم ابن الملك تشيلبريك الذين لم يكن قد عمد بعد.

والفصل السادس يتكون من ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ بأحداث عام ٥٨١م الخاصة بتحالف الملك تشيلدبرت فى باريس مع أخيه غير الشقيق الملك تشلبريك فى سواسون، بعد ما نقض الأول تحالفه مع أخيه غير الشقيق أيضاً جونترام فى أورليان وذلك بسبب عصيان الوالى مومولوس Mummolus. وينتهى هذا الفصل بأحداث عام ٥٨٤م، ومنها اغتيال الملك تشيلدبرت فى قصره بالضيعة الملكية التى كانت قائمة فى شلز Chelles الواقعة على بعد اثنى عشر ميلاً شرقى باريس. وقد تم اغتيال الملك اثناء عودته من رحلة صيد.

وقد ورد فى هذا الفصل أحداث تاريخية ودينية تميزت بالطابع الأسطورى، ولكنه حوى مادة تاريخية طيبة خاصة عندما تحدث عن عودة السفارة الفرنجية فى عام ٥٨١م بعد ثلاث سنوات، وهى السفارة التى كان قد أرسلها الملك تشيلبريك إلى الامبراطور البيزنطى طيبريوس، والصعاب التى لاقتها السفارة فى طريق العودة بسبب اندلاع الحرب فى مدينة مرسيليا Marseilles بين الأخوين الشقيقين تشيلبريك وجوانترام مما يشير إلى أن السفارة كانت قادمة عن طريق البحر. كما أشار إلى أن السفارة قد عادت بعد ما انجزت الأعمال التى كانت موكولة إليها، وأنها عادت محملة بالهدايا التى أرسلها الامبراطور طيبريوس.

كما تحدث المؤرخ جريجوري عن عودة سفارة فرنجية في عام ٥٨٢م، وهي السفارة التي كان الملك تشيلبريك قد أرسلها إلى أسبانيا بغرض زواج ابنته ريجونث Rigunth من ريكارد Recard ابن الملك القوطي ليوفيجيلد Leuvigild (٥٧٠ - ٥٨٦م)، وقدم لنا مادة تاريخية طيبة عن أحوال إسبانيا القوطية ومحاولات الامبراطور البيزنطي طيبريوس استعادتها، كما تحدث عن انتشار الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي في إسبانيا على حساب المذهب الأريوسي، والجهود التي بذلت في هذا السبيل، ومع رواية المؤرخ إلى عودة هذه السفارة تحدث عن الجراد الذي اجتاح مدينة كاربيتانيا Carpitania من ضواحي مدينة طليطلة عاصمة القوط وأثر ذلك على النواحي الاقتصادية بالمنطقة، وقد أشار إلى أنه استقى هذه المعلومات من السفارة نفسها.

وتناول في هذا الفصل أيضاً وفاة الامبراطور طيبريوس وتحدث عن صفاته الطيبة وترشيحه للإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢- ٦٠٢م)، وهو على فراش الموت وموافقة الامبراطورة صوفيا Sophia - أرملة جستين الثاني - على هذا الترشيح، وزواج موريس من ابنة طيبريوس.

وكتب المؤرخ في هذا الفصل مسيرة الملك تشيلدبرت إلى إيطاليا في عام ٥٨٤م وفزع اللمبارد من القوات الفرنجية واستسلامهم له، وكتب عن الهدايا التي قدمها اللمبارد لملك الفرنجة وما تبع ذلك من إعلان اللمبارد الولاء والتبعية للملك تشيلدبرت. كما تناول مشروع الملك الفرنجي عن غزو إسبانيا بعد عودته من إيطاليا. ولما علم الإمبراطور موريس بالصلح الذي تم بين الملك تشيلدبرت واللمبارد غضب لهذا التصرف لأن موريس كان قد أرسل خمسين ألف قطعة من الذهب من أجل هذا الغزو، وطالب موريس بأمواله ولكن تشيلدبرت لم يجبه إلى طلبه.

كما تحدث عن قدوم سفارة قوطية في سبتمبر عام ٥٨٤م إلى باريس لمقابلة الملك تشيلدبرت. وقدم لنا مادة تاريخية عن أقليم جاليسيا Galicia في عهد حاكمها أندكا Andica وكيف وصل إلى العرش عندما تزوج من إبنة الملك يورك Euric وما تلى ذلك من أحداث عندما أجبر أندبكا الملك يورك على الرهبنة وحل محله في حكم البلاد.

والفصل السابع يحتوي على سبعة وأربعين موضوعاً. والأحداث المسجلة به تبدأ بموت سلافينوس أسقف مدينة ألب في عام ٥٨٤م، وتنتهي بالحرب الأهلية التي وقعت في عام ٥٨٥م. والعديد من الموضوعات التي وردت في هذا الفصل تتعلق بالأحوال الداخلية لدولة الفرنجة والصراع على الحكم. وقد ورد على سبيل المثال الصراع الذي دار بين سكان مدينة شارتر Chartres وأورليان عقيب وفاة الملك تشيلبريك وموقف أرملته فردجوند Fredegund من هذا الصراع، وهروبها من مدينة سواسون إلى باريس ومعها كنوزها التي هربتها عبر أسوار سواسون، وطلبها المساعدة من الملك جونترام في أورليان. هذا بالإضافة إلى موقف تشيلدبرت الثاني (ت٥٩٥م) بين فردجوند والجرائم التي عددها لها وطلبه من الملك جونترام تسليمها ورفض الأخير طلب تشيلدبرت الثاني. وبقاء فردجوند في باريس واتخاذها من الكنيسة ملاذاً لها. ثم تناول الصراع الذي تم بين فردجوند وبين برانهيلد Brunhild - أرملة الملك سيجبرت والوصية على عرش أستراسيا - وكيف أرسلت فردجوند لمحاولة اغتيالها.

كما تناول المؤرخ في هذا الفصل المجاعة التي عمت غالة بأكملها، وأن الناس لجأوا إلى صناعة الخبز من بذور العنب وأنهم اضطروا إلى أكل الحشائش وهلاك الكثير من الأهالي إثر هذه المجاعة. كما أن الفقراء باعوا أنفسهم كعبيد من أجل الحصول على لقمة العيش. وختم جريجوري هذا الفصل بالحرب الأهلية التي وقعت في مدينة تور وأن سببها يرجع إلى حادثة قتل، وتناول الآثار التي ترتبت عليها، ويبين لنا في نهاية هذه الأحداث تدخل الكنيسة بين الأطراف المتصارعة وإخمادها الفتنة وقسم المتخاصمين على عدم إحداث متاعب بعد ذلك.

أما الفصل الثامن فيتضمن ستة وأربعين موضوعاً، ويبدأ برحلة الملك جونترام من مدينة شالون Chalon إلى أورليان عبر مدينة نيفر Nevers فى عام ٥٨٥م. وينتهى بأحداث موت ملك القوط الغربيين ليوفجيلد Leuvigild عام ٥٨٦م. ورغم صغر المدة الزمنية التى تناولها المؤرخ جريجورى فى هذا الفصل فإنه تناول العديد من الحوادث الداخلية والخارجية للدولة الميروفنجية. ومن أهم ما سجله جريجورى فى هذا الفصل الأحداث المتعلقة بالصراع البيزنطى الميروفنجى فى هذه المرحلة وذلك عندما أرسل تشيلدبرت الثانى قواته إلى إيطاليا لمقاومة القوات البيزنطية التى وصلت إلى هناك لمطالبة تشيلدبرت الثانى بالأموال التى أخذها من الامبراطور البيزنطى موريس لمحاربة اللمبارديين فى ايطاليا. وأوضح جريجورى أن سبب إرسال تشيلدبرت لقواته يرجع إلى شائعة سرت بأن إنجوند Ingund أخت تشيلدبرت الثانى قد حُملت أسيرة إلى القسطنطينية وأضاف أن الجيش الميروفنجى عاد أدراجه دون أن يحقق أى نجاح بسبب الخلاف الذى وقع بين القواد.

وأوضح فى هذا الفصل أيضاً إعداد جونترام لجيشه للتوجه إلى أسبانيا فى عام ٥٨٥م وأنه أمر قواته بالاستيلاء على سبتمانيا Septimania التى كانت تحت سيطرة القوط الغربيين على أساس أن هذا الإقليم مجاور لاقليم غالة، وأوضح لنا استعداد جيش جونترام والخراب الذى لحق ببعض مدن إقليم سبتمانيا. واستكمالاً لهذه القضية أوضح لنا جريجورى قدوم سفارة من أسبانيا فى العام نفسه بقصد عقد السلام مع الملك جونترام، وأن السفارة عادت إلى أسبانيا دون أن تحقق أهدافها. وتحدث المؤرخ أيضاً عن قدوم سفارة قوطية أخرى من أسبانيا فى عام ٥٨٦م. من أجل إقرار السلام بين الملك جونترام والملك القوطى الغربى ليوفجيلد وعودة السفارة دون التوصل إلى نتائج.

كما أوضح لنا فى هذا الفصل أيضاً قيام ريكارد Ricard إبن الملك ليوفجيلد بالتقدم إلى ناربون Narbonne فى عام ٥٨٦م الواقعة فى إقليم سبتمانيا وأنه استولى على العديد من الغنائم داخل المقاطعات الميروفنجية

وعودته إلى إسبانيا. وتحدث فى هذا الموضع عن رُسل فردجوند الذين حاولوا اغتيال الملك جونترام والقبض عليهم واعترافهم بأسرار عملية الاغتيال.

وتناول المؤرخ أيضاً فى هذا الفصل الأمطار التى اجتاحت البلاد فى صيف هذا العام وتحدث عن التخريب الذى ألحقته بالأراضى والعواصف التى صاحبت الأمطار وإغراقها لبعض الزوارق وأن فصل الصيف صار كما لو كان فصل الشتاء. وختم الفصل بموت الملك القوطى الغربى ليوفيجيلد بعد سبعة أيام وتولى إبنه ريكارد العرش خلفاً له، لأن ليوفيجيلد كان قد حارب ابنه الأكبر هرمانجيلد وقتله لاعتناقه المذهب الكاثوليكى. فقد كان القوط الغربيون يدينون بالمذهب الأريوسى فى هذه المرحلة، واعتنق ريكارد الكاثوليكية فى مرحلة لاحقة فى عام ٥٨٧م.

والفصل التاسع يحتوى على أربعة وأربعين موضوعاً ويبدأ ببعض الأحداث التى وقعت فى بقية عام ٥٨٦م، المتعلقة بقيام الملك القوطى الغربى ريكارد بإرسال مبعوثيه إلى كل من جونترام وتشيلدبرت الثانى من أجل اقرار السلام، بعد ما تمكن ريكارد من اقرار السلام داخل دولته القوطية وتصالحه مع زوجة أبيه جويسوينث Goiswinth. وختم هذا الفصل بالأحوال الجوية لعام ٥٩٠م، والفيضانات التى أحدثتها الأمطار والخراب الذى أصاب البلاد.

والأحداث التاريخية فى هذا الفصل وارده بتفاصيل كثيرة وقد اشتملت على جوانب متعددة فى المجال الداخلى والخارجى. ولعل أهم ما ورد فى هذا الفصل معاهدة السلام التى عقدها الملك جونترام مع بقية حكام الفرنجة وهى المعروفة بمعاهدة أندلوت Andelot الموقعة فى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ٥٨٧م. وقد أورد المؤرخ جريجورى نص المعاهدة بجميع بنودها.

وفى هذا الموضع يركز جريجورى وهو كاثوليكى المذهب على تحول ريكارد ملك القوط الغربيين فى إسبانيا من الأريوسية إلى الكاثوليكية بعد ما تم لقاء بين بعض رجال الدين من المذهبين واقتناع ريكارد بصحة المذهب

الكاثوليكي، ويبين لنا المؤرخ قيام الملك ريكارد بإيفاد الرسل إلى جونترام وتشيلدبرت الثاني بهدف عقد السلام بعد ما اتبع المذهب الكاثوليكي وهو المذهب الذي كان يدين به الفرنجة. وابرز لنا جريجوري توسطه بين الملك جونترام وتشيلدبرت الثاني لحفظ السلام داخل الدولة الميروفنجية بعد ما تعكر صفو السلام بينهما في عام ٥٨٨م ونجاح المؤرخ في هذه المهمة. ولكنه كان نجاحاً جزئياً. فقد حدثنا المؤرخ عن توتر العلاقات بين الملكين مرة أخرى، وعاود الحديث عن الصراع بين القوط الغربيين والفرنجة وأن جونترام أعد جيشه للسير إلى سبتمانيا.

وانتقل المؤرخ من الحديث عن القوط الغربيين في أسبانيا إلى اللمبارد في إيطاليا وسجل لنا قدوم سفارة من الملك اللمباردي أوثاري Authari وهو الذي أطلق عليه المؤرخ إسم أبتشار Aptachar (ت ٥٩٠م) إلى الملك تشيلدبرت الثاني بغرض زواج أخت الأخير إلى الأول، وموافقة تشيلدبرت على المبدأ. ثم ما كان من الحرب التي دارت بين قوات الفرنجة واللمبارد وهزيمة الفرنجة شر هزيمة في إيطاليا. وأعقب ذلك بالحديث عن الهدنة التي عقدت بين الطرفين وكيف حافظ اللمبارد على السلام.

وقدم جريجوري في هذا الفصل جوانب أخرى غير الجوانب السياسية، وسجل لنا أحداث المجاعة التي وقعت في عام ٥٨٧م، والوباء الذي اجتاح مدينة مرسيليا وأثر ذلك على البلاد. كما صور لنا التعسف الذي مارسه جامعو الضرائب في بعض المدن بغرض جمع الضرائب الجديدة التي فرضها الملك تشيلدبرت الثاني.

والفصل العاشر والأخير يتكون واحد وثلاثين موضوعاً ويبدأ بأحداث عام ٥٩٠م المتعلقة باعتلاء البابا جريجوري الأول (٥٩٠- ٦٩٤م) عرش البابوية في روما والمواعظ التي ألقاها البابا في هذه المناسبة. وأنهى المؤرخ هذا الفصل بثبت لأسماء الأساقفة الذين تولوا أسقفية مدينة تور منذ عام ٢٤٩م وهم ثمانية عشر عدا جريجوري.

واشتمل هذا الفصل على جوانب متعددة كما هي عادة المؤرخ فتكلم عن الأحداث الداخلية والدينية والخارجية. ففي المجال الداخلي والديني تناول المؤرخ قيام الملك تشيلدبرت بتخفيف الضرائب المفروضة على رجال الدين في مدينة كليرمونت - فراند كما تناول الجدال الذي تم حول طبيعة السيد المسيح وأفرد له صفحات عديدة.

وفي المجال الخارجي قدم لنا المؤرخ مادة تاريخية عن العلاقات البيزنطية، وسجل لنا قيام الامبراطور موريس بإرسال إثني عشر رجلاً مكبلين بالحديد بعد إدانتهم بقتل مبعوثي الملك تشيلدبرت إلى الامبراطور. وحول العلاقات البيزنطية الميروفنجية تناول المؤرخ عودة جريبو Grippo مبعوث الملك تشيلدبرت الثاني إلى الإمبراطور البيزنطي موريس، وما ذكره جريبو عن رحلته التي بدأت عام ٥٩٠م، وما كان من اتجاهه إلى قرطاج Cartage، وانتظاره هناك لحصوله على إذن لمواصلة الرحلة، مما يشير إلى أن الرحلة كانت عن طريق البحر.

كما قدم لنا في المجال الخارجي مادة تاريخية طيبة عن سقوط مدينة أنطاكية عام ٥٧٣م في يد الفرس. وأخبرنا أنه استقى مادته التاريخية من الأسقف الأرميني سيمون الذي زاره في عام ٥٩١، بعد نفيه من بلاده. وسيمون هذا كان أحد الأسرى الذين سيقوا إلى فارس ثم أطلق سراحه. ومن هنا تأتي أهمية ما سجله جريجوري من سيمون باعتباره أحد شهود العيان.

بعد هذا التحليل لكتاب تاريخ الفرنجة يمكن القول إن جريجوري كان رجلاً متعدد الثقافة واستطاع أن يبرز لنا ملاحظاته عن الأحداث التي جرت في عصره بكل دقة ومهارة، وأنه كان رجلاً عادلاً واستطاع بشخصيته المتعددة الجوانب أن يقضي فترة أسقفيته كرجل أمين عادل ومؤرخ قلما يجود الزمان بمثله.

فقد صور لنا المرض الذى اجتاح إقليم غالة فى أغسطس عام ٥٨٠م وأنه قضى على ١/١٠ سكان غالة، وكيف هاجم الوباء الأطفال. وأنه كرجل دين أنهى حديثه بقوله: إن الله أعطى، إن الله أخذ.

كما أوضح لنا الظروف السيئة التى عاشها المواطنون وما كان من فرض ضرائب جديدة عليهم، وانه دافع عن أهل مدينة تور وأوضح أن العهد الذى قطعه أهل المدينة مع الملك تشيلديرت الثانى يقضى بعدم فرض ضرائب جديدة، وأن تستمر فقط الضرائب التى كانت مفروضة منذ عهد الملك لوثير الأول. وحول سوء الأحوال وعدم الاستقرار وصف المؤرخ الحالة بقوله: إنه ما من يوم يمر إلا ونسمع بمقتل شخص ولا تمر علينا ساعة إلا وتحدث معركة. ولاشك أن جريجورى كان قريباً من رجال الحكم والادارة، وأنه عرف كيف يسجل الحوادث بكل دقة.

ويجلى ذلك عندما سجل ما كان يجرى فى الأديرة، فكتاباته حول هذا الموضوع تبدو كما لو كانت مذكرات يومية، وان ما كتبه هو خلاصة تجاربه وملاحظات سنوات عمره، ويتضح ذلك بصفة خاصة ما كتبه عن الأحداث التى جرت فى دير سانت راديجوند St.Radegund فى مدينة بواتيه.

ويمكن القول إن جريجورى قد إهتم بهذا الجانب بوصفه أحد رجال الدين. ولكنه رغم كونه رجل دين فقد وصف لنا المعارك العسكرية بمنتهى الوضوح والتفصيل. كما أنه صور المنطقة التى حدثت فيها المعارك تصويراً جغرافياً، بصورة تجعل القارئ يعيش أجواء المعركة.

وكان جريجورى حريصاً عند روايته للأحداث، ولا يصدر الأحكام جزافاً على المادة التاريخية، فعندما روى مصرع هرمانفرد Hermanfrid ملك ثورنجيا Thuringia ذكر أن أحد الأشخاص دفعه من فوق الأسوار فسقط على الأرض ومات وان الذى دفعه غير معروف وأن هناك بعض الناس يقولون إن الملك ثيودريك له ضلع فى هذه المؤامرة. وعندما تحدث عن وفاة ليوفيجيلد الملك

القوطى ذكر أن البعض يقول إنه اعتنق الكاثوليكية وهو على فراش الموت. وكما كان متحفظاً كان جريئاً فى حكمه فقد شبه الملك تشيلبريك ووفاته فى عام ٥٨٤، بالامبراطور الرومانى نيرون Nero (٥٤- ٦٨م)، الذى أحرق روما، وهيرودس Herod (٣٩ ق.م - ٤٠م) حاكم إقليم يهوذا الذى قتل جميع الصبيان فى بيت لحم أيام ولادة السيد المسيح، ويرجع جريجورى هذا التشبيه إلى سوء مسلك تشيلبريك وخلقه الشرير.

ورغم هذا كله فقد كان جريجورى يميل إلى الوصف الخيالى فى بعض الأحيان. ويتضح ذلك من حديثه عن الحرب التى دارت بين جيش الملك كلوفس وبين جيش هيرمانفرد ملك الثورنجيين وانهزام هيرمانفرد وقواته بعد مذبحة رهيبة عند نهر أنستروت Unstrut وأن جثث الثورنجيين تراكمت فى قاع النهر وان جنود الفرنجة كانوا يعبرون عليها كما لو كانت قنطرة.

وقد وقع المؤرخ جريجورى التورى فى بعض الاخطاء، ولا يتسع المجال هنا للحديث عنها كلها، ويكتفى الباحث فى هذه السطور بذكر بعضها على سبيل المثال. وقد اختار الباحث خمسة أخطاء تناثرت فى ثنايا كتاب تاريخ الفرنجة على مدى ستين عاماً تقريباً، ويقدمها الباحث هنا حسب ترتيبها الزمنى.

والخطأ الأول يتعلق بموت أمالاسونتا Amalasuntha أبنة ثيودريك ملك القوط الشرقيين، التى أصبحت وصية على ابنها بعد موت والدها فى عام ٥٢٦م. فقد ذكر جريجورى أن وفاتها كانت فى الحمام عندما سقطت على أرضيته الحجرية وماتت فى الحال. والحقيقة أن موت أمالاسونتا يرجع إلى مؤامرة دبرها لها زوجها ثيوداهاد Theodahad حتى ينفرد بالحكم مستغلاً معارضة القوط لها. وبناء على أوامر ثيوداهاد تم القبض على أمالاسونتا ونفيت إلى جزيرة فى وسط بحيرة بولسنا Bolesna الواقعة فى وسط ايطاليا، حيث تم أعدامها بعد ذلك فى عام ٥٣١م.

والخطأ الثانى يختص بالملك اللمبـاردى البوين Alboin (٥٦٨ - ٥٧٢م). وقد ذكر المؤرخ أن البوين قاد اللمباردين إلى إيطاليا بهدف الاستقرار بها لذلك جاء مع الجيش الزوجات والأولاد وتم الاستيلاء على الإقليم وظلوا يعيثون فيه فساداً لمدة سبع سنوات سلبوا فيها الكنائس وقتلوا الأساقفة. والمعروف أن البوين دخل ايطاليا فى عام ٥٦٨م ومات فى عام ٥٧٢م، وأن مدة حكمه فى ايطاليا كانت حوالى أربع سنوات كان اللمبارد فيها تحت إمرته وليس سبع سنوات كما أوردها المؤرخ. وهناك تفسير آخر لما أورده جريجورى وهو القول أن البوين ومن حكم بعده مارسوا سياسة التخريب لمدة سبع سنوات. ولكن جريجورى وهو معاصر لهذه الأحداث وقريب منها كان بوسعه أن يمدنا بمادة تاريخية لا لبس فيها.

والخطأ الثالث مرتبط بموقع مدينة أنطاكية التى سقطت فى يد الفرس عام ٥٧٣م فى عهد الامبراطور طيبريوس. وقد أورد المؤرخ أن مدينة أفاميه Apamea فى سوريا ومدينة أنطاكية فى مصر قد سقطتا فى يد الفرس وتم أسر العديد من الأهالى. والمعروف أن مدينة أنطاكية تقع فى شمال الشام وليس فى مصر. وفى اعتقاد الباحث أن هذا الخطأ هو زلة قلم، فقد تحدث عن القديس جوليان Julian وكنيسته فى أنطاكية، ولاشك أن جريجورى وهو من كبار رجال الدين فى عصره يعرف بالتحديد مكان مثوى القديس جوليان.

والخطأ الرابع ينتمى إلى الامبراطور البيزنطى جستين الثانى وقد أورد المؤرخ أنه حكم لمدة ثمانية عشر عاماً، وبعد موته تولى القيصر طيبريوس عرش الامبراطورية. والحقيقة التى اتفق عليها المؤرخون أن الامبراطور جستين الثانى حكم من ٥٦٥ - ٥٧٧م، وهى مدة تقرب من إثنى عشر عاماً وليست ثمانية عشر.

والخطأ الخامس والأخير يتعلق بالشخصية التى خلفت الملك اللمباردى أوثارى (أيتشار). وقد روى المؤرخ جريجورى أن أوثارى أرسل سفارة إلى الملك جونترام بناء على رغبة الأخير. وبينما كانت السفارة فى قصر الملك أتى

بعض المبعوثين إلى البلاط وذكروا خبر وفاة الملك أوثارى وأن بولس Paul تولى العرش من بعده. والواقع أن الذى تولى عرش اللمباردين بعد أوثارى هو أجيلولف Agilulf دوق تورين Turin وحكم من ٥٩٠ - ٦١٦م.

وأود أن أقول أن ما أوردته من تعريف وتحليل لكتاب تاريخ الفرنجة للمؤرخ جريجورى التورى هو نموذج لما يكون عليه التحليل. وهناك تحليل آخر يقدمه الطالب لأهم مصادر رسالته. وهنا يجب أن يكون التعريف بالمؤرخ ثم تحليل للمادة التاريخية المتعلقة بموضوع الرسالة وليس بالكتاب كله إلا إذا كان الكتاب كله عن موضوع الرسالة. ويجب على الطالب أن يحلل وينتقد المادة الواردة فى المصدر على خمس نقاط رئيسة:

١- أن يتكلم عن الموضوعات التى أفاض فيها المؤرخ.

٢- أن يذكر الأحداث التى أوجزها المؤرخ عن موضوعه.

٣- أن يورد الموضوعات التى انفرد بها المؤرخ دون غيره من المؤرخين.

٤- أن يسجل الموضوعات التى لم يذكرها المؤرخ فى موضوعه.

٥- أن يكتب عن الأحداث التى أخطأ فيها المؤرخ.

والحقيقة أن هذا التحليل والنقد لا يمكن معرفته إلا بعد كتابة الرسالة حيث يكون الموقف أكثر وضوحاً على ضوء المصادر الأخرى.

- بولس الشماس:

بولس الشماس Paul The Deacon هو المؤرخ الايطالى اللمباردى الذى ولد فى عام ٧٢٠م بمدينة فريبولى Friuli الواقعة فى شمال مدينة البندقية فى إقليم لمبارديا فى عام ٧٩٩م، وهو ينحدر من أسرة نبيلة لومباردية، وتلقى تعليمه فى بلاط الملك اللمباردى راشيس Rachis فى مدينة بافيا على يد النحوى فلافيانوس Flavianus. وفى عام ٧٦٣م ذهب إلى بلاط الدوق أرخيس Archis فى مدينة بنفنتو Benevento، وبعد سقوط المملكة اللمباردية على

أيدى شارلمان فى عام ٧٧٤م Charlemage ملك الفرنجة (٧٦٨ - ٨١٤م) ثم امبراطورا منذ عام ٨٠٠م، أصبح بولس الشماس منذ عام ٧٨٢م عضواً فى بلاط الامبراطور، وقد مدح بولس الشماس الامبراطور شارلمان فى قصيدة أعجب بها شارلمان وأفرج عن أخى بولس الشماس الذى سجن بعد التمرد الذى حدث فى مدينة فريبولى عام ٧٧٦م، ثم عاد بولس الشماس مرة أخرى فى عام ٧٨٧م إلى ديرمونت كاسينو حيث مات هناك فى عام ٧٩٩م.

وكانت أول أعمال بولس الشماس عندما كان فى مدينة بنفنتو وكتب مصنفاً عن تاريخ الرومان Histaria Romana الذى ينتهى بالتاريخ عند عهد الامبراطور جستنيان، وله عملاً آخر هو كتاب أساقفة متز Bishops of Metz، وهذا الكتاب هو مصدر عن المعلومات المتعلقة بأجداد أسرة شارلمان خاصة أرنولف Arnulf، كما كتب بولس الشماس بعض التأملات الدينية، وأهمية النظام البندكتى. أما أعظم ما سجله هو كتاب تاريخ اللمبارد History of Lombards ويغطى هذا الكتاب أحداث النصف الثانى من القرن السادس والقرن السابع والجزء الأول من القرن الثامن. ويعتبر هذا الكتاب من أقدم الكتب التاريخية عن أمة جرمانية وهى اللمبارد كتبها مؤرخ لماردى يرجع إلى أصول جرمانية.

إن إلقاء الضوء على كتاب تاريخ اللمبارد يوضح لنا مدى أهمية هذا المصدر التاريخى، ويظهر لنا مدى عالمية هذا الكتاب فى عصر مؤلفه، ويمكن القول أن ما سار عليه بولس الشماس قد سار عليه من قبل بعض المؤرخين المرموقين فى تاريخ العصور الوسطى مثل كتاب جريجورى التورى «تاريخ الفرنجة»، وتاريخ بيد «تاريخ الكنيسة والشعب الانجليزى»، فقد كتب عن تحركات العناصر اللمباردية والغزوات العربية والآفار، والامبراطورية البيزنطية والفرنجة وشئون البابوية والاساقفة والأديرة وعن المعجزات عدا الفصل الأخير الذى اختلف. ولعل ذلك يرجع إلى أن بولس الشماس كان فى المرحلة الأخيرة من حياته وبذلك لم يتمكن من تتبع ما كتبه فى هذا الجانب. ورغم هذا كله

فإن ما كتبه المؤرخ يعتبر من المصادر التاريخية والأدبية لتاريخ أوروبا المبكر المتعلق بأحداث الهجرات الجرمانية فى الفترة الواقعة بين القرن السادس والسابع الميلاديين.

لقد سجل بولس الشماس هذا الكتاب فى نهاية حياته وأنه شاهد معظم ما سجله فى هذا الكتاب عن ما دار فى غرب أوروبا. لقد تكلم عن المجتمع اللمباردى وثقافته فى عهد ملوكه فى بلاط بافيا وبنفنتو، وعن بداية ما يسمى بالحضارة الكارولنجية تحت حكم شارلمان والحياة الدينية والأدبية التى ظهرت فى بلاد الغال، وبريطانيا وإيطاليا فى القرن الثامن، كما كتب أيضاً عن شئون الإمبراطورية البيزنطية وشئونها الدبلوماسية والسياسية المعقدة التى جعلتها عاجزة عن الاحتفاظ بالأراضى الإيطالية، وانهيار المملكة اللمباردية والأحوال التى سادت أوروبا عشية تتويج شارلمان إمبراطوراً.

والحقيقة أن بولس الشماس قد شاهد هذه الأحداث ولمسها عن قرب، ولقد عمل هذا المؤرخ لعدة عقود ليطلع على كتب المؤرخين الذين سبقوه، وقد أعطاه ذلك خبرة ممتازة عن الثقافة التى سادت ايطاليا وبلاد الغال التى سادت قبل عصره. لقد عاصر شارلمان وجهوده العلمية وإحياء اللغة اللاتينية وعلومها النحوية فى العالم المسيحى، ولكنه أحترم أيضاً التقاليد اللمباردية القائمة على المذهب الأريوسى.

لقد نجح بولس الشماس فى أن يكتب باقتدار التاريخ القومى للشعب اللمباردى فى خضم الأحداث البيزنطية والفرنجية المحيطة به. وأنه ركز على الحضارة المدنية والروحية للشعب اللومباردى.

وينقسم كتاب تاريخ اللمبارد إلى ستة فصول أو كتب صغيرة. وفى الفصل الأول يبدأ المؤرخ بالحديث عن أصل العناصر المباردية وتجوالها فى أوروبا الشرقية حتى القرن السادس الميلادى. وفى الفصل الثانى تكلم المؤرخ عن دخول العناصر اللمباردية إلى ايطاليا تحت قيادة ملكهم البوين Alboin

(٥٦٨ - ٥٧٢م) وطمح هؤلاء المهاجرين في إقامة مملكة لهم تحت قيادة ملكهم وخليفته كليفو Clepho (٥٧٢- ٥٧٣م). ويتحدث في الفصل الثالث عن استقلال الدوقية اللمباردية والصعوبات التي لاقتها حتى استقرت الدوقية. ثم مملكة اللمبارد في عهد الملك أوتاري Authari (٥٨٤- ٥٩٠م) وأجيلولف Agiluf (٥٩٠ - ٦١٥م). أما الفصل الرابع والخامس والسادس، فقد أكمل تاريخ اللمبارد في القرنين السابع والثامن.

الفصل الثالث

المصادر الأوربية

١- المصادر الكارولنجية والألمانية

٢- المصادر الإنجليزية

٣- المصادر الفرنسية

١- المصادر الكارولنجية والألمانية

- وثائق كارولنجية
  - إينهارد
  - نيثارد
  - تيجان أف تريف
  - هنكمار
  - نوتكر المتلعثم
  - ويدكند أف كورفى
  - ليوتبراند أوف كريمونا
  - تانجار
  - هرمان القعيد
  - لامبرت أف هرسفيلد
  - برتلود أف ريخناو
  - إكهارد أف أورا
  - أوتو أف فرايزنج
  - هرمان أف التاخ
- قرارات امبراطورية

- وثائق كارولنجية:

في العصر الكارولنجي يوجد مجموعة كبيرة من الوثائق يتعذر وضعها في هذا الكتاب لكبر حجمها، ولذلك سوف أقدم بعضها على هذه الصفحات حتى يستطيع الباحث أن يلم بها ويبحث عن البعض الآخر، ومن ذلك بعض وثائق العصر الكارولنجي التي تتعلق بشئون الحكم والإدارة التي نشرها H.R. Loymand Tohnpercival تحت اسم: The Reigen of CharloeMage: Documents on Carolingian Governmemt and Administration في عام ١٩٧٥ في لندن.

وفي هذه المجموعة بعض المعلومات عن بعض المؤرخين وبعض ما سجلوه مثل إينهارد ونوتكر المتلعثم ونيثارد وسوف لا أتعرض لها. ومن الموضوعات التي وردت في هذه المجموعة ما كتبه تيجان Thegan الذي كتب عن حياة لويس التقي في أواخر عام ٨٣٠م، والمؤرخ المجهول المعروف باسم Astronomus لولعه بعلم الفلك، وقد كتب عن حياة الإمبراطور لويس التقي أيضاً. وتوجد أيضاً بعض الحوليات مثل The Royal Annals ومخطوط فيينا The Vienna Manuscript. ومن هذه المجموعة أيضاً شرائع تتعلق بالقانون ونظم الحكم والمجتمع الكارولنجي في عهد الإمبراطور شارلمان، ومنها مجموعة الشرائع الدينية المنسوبة إلى هرستال Harstal في عام ٧٧٩م، ومانتو Mantua في عام ٧٨١م، وبادربورن Padarborn في عام ٧٨٥م، ووثائق تتعلق بالسكسون في عام ٧٩٧م، والمجمع الديني الذي عقد في مدينة فرانكفورت Frankfort عام ٧٩٤م، ودراسة شارلمان للأدب في نهاية القرن الثامن الميلادي، وبعض الوثائق الخاصة بالنظام المدني الذي وضع في أواخر القرن الثامن الميلادي أيضاً. وهذه الوثائق تعكس أحوال الولايات المتحدة وقد وضعت في سبعين بنداً. وبعض الوثائق العامة المتعلقة بنظام المبعوثين الملكيين التي وضعت في ربيع عام ٨٠٢م. وقد وضعت في أربعين بنداً. ومجموعة الوثائق الخاصة للمبعوثين المدنيين التي وضعت أيضاً في عام ٨٠٢م

وقد تضمنت تسعة عشر بنداً ومجموعة وثائق مدينة أكس لا شابل Aix La Chapelle المؤرخة بين عامي ٨٠٢- ٨٠٣م وبها أثنى عشر بنداً.

وإلى جانب هذه الوثائق والقرارات توجد مجموعة من الخطابات صادرة من العالم ألكوين Alcuin والإمبراطور شارلمان وفي مجموعها تصل إلى سبعة عشر خطاباً. وأخيراً هناك بعض المواثيق، وهي تتعلق بالكنائس والأديرة وقد صدرت هذه المواثيق في الفترة من ٧٦٩- ٨٠٧م. ومما لاشك فيه أن مثل هذه الوثائق والخطابات وهي مصادر من الطراز الأول سوف تساعد الباحث كثيراً على الكتابة عن عصر الدولة الكارولنجية.

- إينهارد:

ولد المؤرخ الكارولنجي اينهارد Einnard أو Eginnard في عام ٧٧٠م في ضاحية بالقرب من نهر المين Main في الجزء الشرقي من الامبراطورية الكارولنجية ومات في مارس من عام ٨٤٠م في مدينة سليجنستاد Seligenstade. وقد تلقى تعليمه الأولى في دير فولدا Fulda أشهر أديرة أوربا في تلك المرحلة. وقد لاحظ بوجولف Baugulf رئيس الدير نبوغ اينهارد فأرسله إلى بلاط شارلمان حيث أكمل تعليمه في مدرسة القصر. وكان سعيد الحظ حيث تعلم على أيدي العلامة ألكوين الأنجليزي الأصل الذي استدعاه شارلمان لإنشاء مدرسة القصر.

وقد لاحظ بوجولف موهبة إينهارد في الحساب والعمارة. وقد قرب شارلمان اينهارد إليه وأصبح من أهم رجاله المخلصين. وقد عهد شارلمان للمؤرخ إينهارد بالأشراف على المباني الهامة، ومن ذلك تشييد كاتدرائية مدينة آخن العاصمة الكارولنجية وكذلك كاتدرائية مدينة إنجلهايم Ingelheim ولذلك أصبح يطلق على أينهارد في البلاط الكارولنجي أسم بصلئيل Beseleel وهو اليهودي الذي بنى خيمة الاجتماع ولوازمها والتابوت وغطاءه.

ونظراً لما تمتع به اينهارد من حكمة وبصيرة، أرسله شارلمان فى عدة مهام سفيراً دبلوماسياً، ومن ذلك أنه أرسل فى عام ٨٠٢ ليفاوض السكسون من أجل تبادل الأسرى أصحاب الرتب العالية وفى عام ٨٠٦ أرسل إلى البابا ليو الثالث Leo III (٧٩٥ - ٨١٦م) فى روما ليحصل على بركة الباب وموافقته على تقسيم الامبراطورية بين أولاد شارلمان.

وقد ظل إينهارد فى هذه المكانة بعد وفاة شارلمان عام ٨١٤م، حيث ظل مخلصاً للملك لويس التقى وحظى بالثقة نفسها. وعندما نشب الصراع بين الأبناء من أجل الملك فى حوالى عام ٨٤٠م حاول إينهارد التدخل لإنهاء النزاع ولكن الملكة جوديث Judith زوجة لويس كانت تعمل على تضخيم المشكلة، لذلك انسحب إينهارد إلى مدينة مولنهايم Mulinheian الواقعة عند نهر الين. وكان فى عام ٨٣١ وعام ٨٣٤م أسس دير سيلجستاد على النظام البندكتى وبعد وفاة زوجته إما Emma أخت برنهار Bernhar أسقف ورمز Warms لجأ إلى الدير حيث قضى بقية حياته ، ومن المعروف أن النقش المسجل (توفى ٨٦٥م) وهو على ضريحه قد كتبه رابانوس الأسمر Rabanus Maurus، العالم المعروف وأحد رؤساء دير فولدا، وتلميذ ألكوين وأحد زملاء إينهارد فى الدراسة. ويعتبر أهم ما كتبه اينهارد هو كتاب حياة شارلمان العظيم Vita Carali Magni. ويرى البعض أن هذا الكتاب يعتبر أفضل سيرة ذاتية فى تاريخ العصور الوسطى. والكتاب فى حد ذاته صغير ولكنه ينقسم إلى ستة أقسام. يبدأ القسم الأول بالحديث عن بدايات الدولة الكارولنجية وبخاصة الملك شلدريك الثالث Childeric III الذى عزله البابا فى عام ٧٥١م، وبداية تملك الكارولنجيين السلطة فى عام ٧٥٤م وسيطرة نظار القصور على الحكم، وانتهى هذا الجزء بموت كارولمان Carlaman فى عام ٧٧١م.

أما القسم الثانى فقد جاء عنوانه «حروب شارلمان وسياسته الخارجية»، وفى هذا الجزء تناول المؤلف حروب شارلمان فى أكويتين Aquitaine وضد اللمبارد فى ايطاليا والسكسون الوثنيين الذين يقطنون فى الشرق من فريزيا

وإلى الشمال من بارفاريا الألمانية، وضد الأفار، والدانيين والمسلمين فى أسبانيا. وختم هذا القسم ببعض الجوانب المعمارية التى شيدها شارلمان.

والقسم الثالث يتناول حياة شارلمان الخاصة بداية من أسرته وأخواته وزوجاته وأولاده، وأن شارلمان كان يتمتع بجسم قوى طويل القامة، وأنه قضى معظم وقته على جواده إما للصيد أو للحرب وأنه كان يرتدى الزى الفرنجى، وأنه كان متحضراً فى مأكله ومشربه وأنه اهتم بالتعليم والفنون السبعة، ويكن الاحترام لمن علمه وأنه اهتم بالمسيحية والمسيحيين والفقراء منهم حتى فى الشرق الإسلامى على حد قول المؤرخ. وأعطى عناية خاصة بالبابوية فى روما.

وجاء فى القسم الرابع ما يتعلق بالأيام الأخيرة للإمبراطور شارلمان ثم وفاته، أما الخامس والأخير فقد تناول وصايا الامبراطور ومن ذلك كيفية التصرف فى جميع ممتلكاته الشخصية والكنيسة والتى سيدفن فيها.

- نيثارد:

نيثارد Nithard مؤرخ فرنجى وهو ابن إنجلبرت Angelbert وبرتا Bertha ابنه شارلمان من زوجته الثانية هلدبجارد Hildigard الأميرة السوابية، ويقال أن نيثارد ولد فى عام ٧٩٥ وتوفى فى عام ٨٤٣ أو ٨٤٤م . ولا يعرف الكثير عن حياته السابقة وما تبقى من معلومات متناثرة يتضح أنه رجل علمانى تلقى جانباً من التعليم فى الوقت الذى كان فيه التعليم قاصراً على رجال الدين، ولكن مدارس القصر التى أنشأها شارلمان هيأت التعليم للنبلاء وبعض المسئولين فى الدولة. ويعتبر نيثارد من أقدر المؤرخين الذين ظهروا فى أواخر العصر الكارولنجى، ولعل ذلك يرجع إلى أنه من غير رجال الدين المؤرخين الذين كان لهم نمطاً معيناً فى كتابة التاريخ.

وعلى أية حال فعندما نشب الصراع بين أولاد لويس التقى Louis The Pious (٨١٤ - ٨٤٠م) وهم لوثير Lothair الذى حكم ايطاليا ٨٤٠- ٨٥٥م، ولويس الألمانى Louis The German الذى حكم المانيا ٨٤٠ -

وفي عام ٨٤٠ دعا الملك شارل الأصلع هنكمار للدخول في خدمته بصفة دائمة، ومن هذا التاريخ أصبح شخصية هامة في البلاط الملكي ومستشاراً في جميع شئون المملكة، وفي عام ٨٤٥م أصبح رئيس أساقفة مدينة ريمز.

ومن هنا ولمدة أربعين عاماً ظل هنكمار في وسط الأحداث سواء السياسية أو الدينية في غرب الإمبراطورية الكارولنجية، وكان له دوراً فاعلاً في معظم الأحداث. وقد عاصر هنكمار العديد من ملوك الدولة الكارولنجية في فرنسا، وعديد من البابوات كما حضر العديد من المجامع الدينية، وكانت له مؤلفه الخاصة عن مسألة القضاء، والقدر ومن التقليد العلماني، وله مراسلات هامة جداً حول هذه القضايا. كما أنه كتب حولية تاريخية عن الفترة من ٨٦١ حتى ٨٦٢م تضمنت أحداث العصر الداخلية والخارجية.

- نوتكر المتلعثم:

ويقف نوتكر المتلعثم Notker The Stammerer إلى جانب المؤرخ إينهارد في الكتابة عن شارلمان وإن كان بدرجة أقل، وقد ولد نوتكر حوالى عام ٨٤٠م في مدينة جونسويل Jonswil بإقليم سانت جول (سويسرا حالياً) ومات في عام ٩١٢م، وهو سليل أسرة عريقة وتلقى تعليمه في مدرسة الدير بالإقليم الذي ولد به، ثم أصبح راهباً بندكتيا في الدير نفسه ثم مديراً لمكتبة الدير في عام ٨٩٠، وعين بعدها مديراً لنزل الضيافة من عام ٨٩٢ - ٨٩٤م، كما أنه كان مدرساً نشطاً بالإضافة إلى أنه كان شاعراً ومؤلفاً وأكمل حولية إرخانبرت Erchanbert في عام ٨٦١م وسجل ورتب سجل شهداء المقاطعة ونظم شعرا عن القديس جول Gail، ولذلك عرف بإسم راهب القديس جول. وأهم أعمال نوتكر هو كتاب حياة شارلمان Gesta Carolinagni وكان له الفضل في إطالة المقدمة التي تسبق القداس.

وينقسم كتاب نوتكر إلى قسمين الأول يتناول رحمة شارلمان وعنايته بالكنيسة، والثاني عن حروب شارلمان وأعماله البطولية. وفيما يتعلق بالقسم

الأول فإنه يتضمن أربعة وثلاثين موضوعاً ومن أهم ما ورد في هذه الموضوعات قدوم العالم الإنجليزي ألكوين إلى بلاط شارلمان وتلاميذ الكوين في مدرسة القصر وتوزيع شارلمان للأراضي، وتعيينه للأساقفة وحسن معاملتهم وتتويج شارلمان امبراطوراً، وحروب شارلمان ضد الهون أي الأفار، وسلاف البلغار، وبناء كاتدرائية مدينة آخن Aachen العاصمة.

أما الجانب الثاني من الكتاب فقد استكمل الحديث عن حروب شارلمان ضد الأفار وشجاعة جنوده ومكافأتهم، وارسال شارلمان مبعوثاً من قبله إلى الإمبراطورية البيزنطية وسفارة متبادلة إلى شارلمان ووصول سفارة من بغداد إلى شارلمان وتبادل الهدايا، ويضاف إلى ذلك حروب شارلمان ضد السكسون والنورمان في جنوب فرنسا واللمبارد والمسلمين في أسبانيا وموضوعات أخرى متفرقة عن شارلمان وزوجاته وأسرته وعاداته وعدالته، أما الجزء الأخير من هذا الجانب فهو يتعلق بالملك لويس التقى. ويؤخذ على كتاب نوتكر أنه كتب عن حياة شارلمان بعد سبعين عاماً من وفاته وأنه لم يقدم سيرة ذاتية للإمبراطور، كما أنه ليس مؤرخاً حقيقياً، وأن أسلوبه أقل من أسلوب أينهارد، ورغم هذا فإن نوتكر قد أضاف بعض المعلومات عن المرحلة التى كتب عنها.

- ويدكند أف كورفى:

عاش المؤرخ الألماني ويدكند أف كورفى Widukind of Corey في القرن العاشر الميلادى، ويرتبط اسمه باسم دير كورفي البندكتي الذي عاش فيه، ولذلك كان راهبا بندكتيا. ويرجع هذا المؤرخ إلى أصل سكسوني، وفي عام ٩٦٧م بدأ في كتابة تاريخ السكسون، وقد كرس كتابه هذا للامبراطور الألماني هنرى الأول أو الصياد Henry I (٩١٩ - ٩٣٦م) وخلفائه حتى الامبراطور أوتو الأول Otto I (٩٦٣ - ٩٧٣م)، كما كرس جانباً محدوداً من كتابه للأم ماتيلدا أو رئيسة دير كويدلنبرج Mathilda, Abbess of Quedlinburg.

ولم يحاكي ويدكند المؤرخين السابقين في كتابة حولياتهم، ولم يبدأ مثلهم في الكتابة بداية من الامبراطورية الرومانية، ولكنه بدأ من تاريخ أمته وهي السكسونية وأساطيرهم ومعاركهم العسكرية مع الفرنجة وكيفية أعتناقهم الديانة المسيحية. وقد مجد ويدكند أعمال هنري الأول وانتصاراته العسكرية رغم قيام بعض القلاقل في عصره، والحال ذاته بالنسبة للامبراطور أوتو الأول حتى تم السيطرة على الموقف وحكم كل الممالك الألمانية.

- ليوتبراند أف كريمونا:

ليوتبراند أف كريمونا Liutprand of Cremona أو ليوتبراند أسقف كرمونا ويرسم أيضاً Luidprand، وهو الأسقف والمؤرخ الذي ولد في بدايات القرن العاشر وكانت وفاته بعد عام ٩٧٠م، وهو ينتمي إلى عائلة لومباردية عريقة في شمال ايطاليا. وفي نهاية حياته ذهب إلى الملك هيو أف آرلس Hugo of Arles في مدينة بافيا، وقد أعجب الملك بصوت ليوتبراند فألحقه بمدرسة القصر، ثم أصبح كاتباً، ثم منح لقب شماس في كنيسة مدينة بافيا.

وكان ليوتبراند في تلك المرحلة على علاقة طيبة مع برنجر الثاني أف إيفري Brenger II of Ivrea وصديقته ويلا Willa وقد عينه برنجر مستشاراً له، وفي عام ٩٤٩م أرسله سفيراً من قبله إلى الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بروفروجنيتوس Constantin VII Prophyrogenitus ٩١٢ - ٩٥٩م مثلما أرسل والده وحماه في سفارات سابقة إلى القسطنطينية. وقد نجح ليوتبراند في إقامة صداقات في العاصمة البيزنطية، فقد كان ليوتبراند الشخصية المناسبة لمثل هذه السفارة، وقد وجد ليوتبراند في ذلك فرصة طيبة وتعلم اللغة اليونانية، وارتبط بالتاريخ البيزنطي ونظام الامبراطورية ويشهد بذلك ما سجله عن الامبراطورية، ويدل ذلك على أنه ظل في القسطنطينية لفترة طويلة، وبعد عودة ليوتبراند بفترة قصيرة اختلف مع برنجر فاتجه إلى بلاط الملك الالماني أوتو الأول Otto I (٩٦٢ - ٩٧٣م) وقد رحب به الملك وأدخله في خدمته واعتبره الرجل المناسب الذي يحمل وجهة نظره السياسية إلى

ايطاليا وفي عام ٩٥٦م حضر ريسيموند Recemund أسقف مدينة البيرة Elvira بأسبانيا إلى البلاط الألماني وتقابل مع ليوتبراند وقد طلب ريسيموند من ليوتبراند أن يكتب تاريخ المرحلة التي عاشها، ومن الواضح أنه استجاب لطلبه وبدأ يسجل الاحداث في مدينة فرانكفورت Frankfort ، ولكن انشغاله العامة كانت تقطع الكتابة من وقت لآخر ، ولكنه ظل مرتبطاً حتى عام ٩٦٢م، وعندما ضم الملك الألماني أوتو الأول مقاطعة لمبارديا إلى حكمه عين ليوتبراند أسقفاً على مدينة كرمونا تقديراً له على خدماته. وعندما أصبح أوتو الأول امبراطوراً في فبراير عام ٩٦٢م أرسل ليوتبراند سفيراً من قبله إلى البابا يوحنا الثاني عشر John XII (٩٥٥ - ٩٦٤م) عندما نشب الصراع بين البابا والامبراطور، كما أرسل ليوتبراند في سفارة أخرى مع بعض الاساقفة إلى روما في السادس من نوفمبر عام ٩٦٣م لإعلان البابا بخلعه من كرسي البابابوية بقرار من الامبراطور، وقد كتب ليوتبراند هذه الأحداث من وجهة نظره وهي تتعلق بالفترة من ٩٦ - ٩٦٤م وساند الامبراطور في موقفه ضد البابا وحمل على شعب روما بكل قسوة.

وبعد وفاة البابا غير الشرعي ليو الثامن Leo VIII في عام ٩٦٥ توجه ليوتبراند إلى روما مرة أخرى مع أوتجار Otgar أسقف مدينة أسبيرز Spires مبعوثان من قبل الامبراطور ليتعاملوا مع الموقف واختيار بابا آخر حيث تم اختيار البابا يوحنا الثالث عشر John XIII (٩٦٥ - ٩٧٢) . كما ذهب ليوتبراند في سفارة أخرى إلى القسطنطينية بناء على أوامر الامبراطور في صيف عام ٩٦٨م ليخطب ثيوفانو Theophano ابنه الامبراطور البيزنطي لابن الامبراطور الألماني المدعو أوتو أيضاً والمعروف باسم أوتو الثاني (٩٧٣ - ٩٨٤م).

وفي عام ٩٦٩م حمل ليوتبراند خطاباً من الامبراطور الألماني إلى مجمع كنسي في مدينة ميلان Milan، وإلى مجمع كنسي بمدينة روما. ولم يظهر ليوتبراند كثيراً بعد الخامس عشر من أبريل ٩٧٠م عندما كان في مدينة

كـرمـونا. وهناك بعض الوثائق التى تشير إلى أنه أرسل فى سفارة إلى القسطنطينية فى عام ٩٧١م من أجل الزواج الامبراطورى الذى تم بين الامبراطور أوتو الثانى والأميرة البيزنطية ثيوفانو الذى ذكره ليوتبراند أنه تم فى هذه الرحلة...

لقد كتب ليوتبراند ثلاثة أعمال تاريخية فى المناسبات التى سبق أن أشرنا إليها وشارك فيها، والأول يتعلق بتاريخ أوربا ويبدأ من عام ٨٨٧ حتى عام ٩٥٠م، وهو يتعامل بصفة رئيسية مع التاريخ الإيطالى. والعمل الثانى يرتبط بتاريخ عائلة أوتو، والثالث يسجل أحداث السفارة التى قابل فيها الامبراطور البيزنطى نقفور الثانى فوكاس Nicephorus II Phocas (٩٦٣ - ٩٦٩م)، وهى السفارة التى جرت فى عام ٩٦٨م.

وتعتبر كتابات ليوتبراند على درجة كبيرة من الأهمية لأحداث القرن العاشر الميلادى، لقد جال فى أنحاء أوربا وتعامل مع البابوات عندما كان الصراع بين الامبراطورية والبابوية على أشده، وتعامل مع الامبراطورية البيزنطية منافسة الامبراطورية الغربية ممثلة فى ألمانيا. ومن الملاحظ أنه أحسن إلى أصدقائه ومناصريه وكتب عنهم بصورة طيبة بينما كان العكس لأعدائه مثل برلجر.

- ثانجار:

ولد المؤرخ ثانجار Thangar فى حوالى منتصف القرن العاشر، ومات تقريباً فى مدينة هيلدشيم Hildesheim بعد عام ١٠٢٢م. وترجع بدايات هذا المؤرخ عندما عين رئيساً للمدرسة الكاتدرائية فى مدينة هيلدشيم، ثم توليه منصب أسقف كنيسة هذه المدينة، وفى الوقت نفسه كان أميناً للمكتبة وكان هذا المنصب هام للغاية.

وكان ثانجار رجلاً متميزاً كباحث ورجل دولة، وتعلم على يديه العديد من الاساقفة فى العديد من المدن الألمانية بالإضافة إلى الامبراطور الألمانى هنرى

الثانى، وكان لهذا المؤرخ تأثيراً كبيراً على برنوارد أف هيلدشيم Brenward وعلى الاسقفية التى تولى أمرها.

لقد ذهب مع برنوارد إلى روما فى عام ١٠٠٠م. كما أنه أرسل فى عدة سفارات إلى البلاط الإمبراطورى لمناقشة بعض الأمور الهامة. كما كان له قدراً كبيراً لدى الإمبراطور أوتو الثالث. وبعد وفاة برنوارد فى عام ١٠٢٢م كتب ثانجار عنه جانباً كبيراً عن حياته ونشاطه، وسجل له سيرة ذاتية جمع مادتها من مصادر متعددة. لقد سجل ثانجار العشر فصول الأولى من حولياته بين عامى ١٠٠٨- ١٠١٣م. لقد كان شاهد عيان لكثير من الأحداث، كما أنه لعب دوراً فيها. لقد قال فى حولياته لقد كان برنوارد يثق به كثيراً كما يثق الطفل فى والده. وتعتبر سيرة حياة برنوارد Vita Bernwarai من أهم السير الذاتية التى كتبت فى العصور الوسطى، كما أنها تسجل أحداث فترة هامة فى تاريخ ألمانيا فى العصور الوسطى. لقد كان مؤرخاً صادقاً فيما كتبه، ويتضح من الحولية أن مؤرخنا كان مناصراً للاسقف برنوارد.

- هرمان القعيد:

هرمان القعيد أو هرمان أف ريخناو Herman of Reichenau وهو كاتب الحوليات وعالم فى الحساب وشاعر، ولد فى إقليم سوابيا الالمانية فى الثامن عشر فبراير عام ١٠١٣م، ومات فى جزيرة ريخناو التى تقع فى بحيرة كونستانس Constance فى الحادى عشر من سبتمبر عام ١٠٥٤م. وهو ابن الكونت فولفراد الثانى Volverad II. وقد ولد قعيداً ولذا لازمته هذه الصفة وأصبحت تضاف إلى إسمه، وكان لا يتحرك إلا بمساعدة الآخرين، وكان عليه أيضاً أن يبذل جهداً كبيراً فى القراءة والكتابة، ولكنه كان حاد الذكاء. وعندما بلغ السابعة من عمره أرسلاه والداه للتعلم فى دير برنو Berno الذى يقع فى جزيرة رينخاو وظل فى هذا الدير والتزم بقوانينه بداية من عام ١٠٤٣م واستمر حتى وفاته.

لقد تحدى بإرادته القوية كل ما صادفه من عقبات، ولقد نبغ في العديد من العلوم منها علم اللاهوت وعلم الحساب والفلك والموسيقى واللغة اللاتينية واليونانية والعبرية، وسرعان ما تجمع الطلاب حوله من جميع النواحي، ولم يكن ذلك هو السبب في إلتفاف الطلاب حوله بل أنه كان أيضاً شخصاً محبوباً ملتزماً بالفضيلة. وأهم أعماله حوليته التي تبدأ منذ ميلاد السيد المسيح حتى وفاة المؤرخ، وهي حولية بالية حتى الآن جمع مادتها التاريخية من مصادر سابقة عليه بالإضافة إلى معلوماته بأحوال عصره، ولقد اعتمد بصفة رئيسية على حولية سوابيا التي فقدت، وبالإضافة إلى ذلك لقد كتب في علم الحساب والفلك، وله أشعار في شكل رسائل وجهها إلى الراهبات، كما أنه كان متعدد المواهب وعالج أموراً كثيرة حتى الترانيم الدينية.

- لامبرت أف هرسفلد:

لامبرت أف هرسفيلد Lambert of Hersfeld مؤرخ ألماني ولد في فرانكونيا Franconia أو ثورنجيا Thuringia في عام ١٠٢٤م، تقريباً وكانت وفاته بعد عام ١٠٧٧م. وانتظم في الديرية البندكتية منذ الخامس عشر من مارس عام ١٠٥٨ في دير هرسفيلد. ولقد رسم قسيساً في نهاية العام نفسه، ثم ما لبث أن بدأ رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة دون إذن مسبق من رئيس الدير، ثم عاد في السابع عشر من سبتمبر عام ١٠٥٩م وطلب العفو عما فعل من مينهر Meginher الذي كان على فراش الموت. ولم يغادر الدير بعد ذلك إلا في عام ١٠٧١م بناء على تعليمات رودهارد Rudhard رئيس الدير، متوجهاً إلى الأديرة البندكتية لدراسة عملية إصلاح النظم البندكتية.

ويعرف لامبرت كمؤرخ عالمي وكمؤلف لكتابه حوليات لامبرت Annales Lamberti، وهو حولية تبدأ منذ بداية الخليقة حتى عام ١٠٧٧م والمعروف عن هذه الحولية أنها لم تضف الكثير على الحوليات السابقة حتى عام ١٠٣٩م،

ومن عام ١٠٤٠ حتى عام ١٠٦٣ هناك كثير من المعلومات التاريخية وبعض الاضافات التي تعتمد على ملاحظاته الشخصية كمؤرخ وشاهد عيان. ومن الفترة ١٠٦٨ حتى عام ١٠٧٧م وصلت الحولية إلى قمة إتقانها مستمداً إلهامه من إسلوب سالوست Sallsut.

والحقيقة إن النزاهة والثقة تتوافران في المؤرخ لامبرت، وهو أمر لم يناقش حتى منتصف القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨٥٤م تعرض لنقد المؤرخ الألماني رانكه Ranke، وقد سار بعض المؤرخين على هذا النهج، ولكن البعض وجدوا أن لامبرت قد غير في الحقائق التاريخية، وحاول البعض رد إعتباره ولكنهم لم يوفقوا كثيراً. ثم جاء بعدهم دلبروخ Delbruch وهولدر إيجر Holder- Egger ووجدا أن لامبرت قد قدم حكماً مسبقاً ضد الامبراطور الإلماني هنري الرابع Henry IV (١٠٥٦ - ١١٠٥م) وأيد حقوق البابوية ضد الإمبراطورية بتأييد من دير هيرسفيلد لأن الإمبراطور أصدر مرسوماً يجمع عشور دخول الأديرة في ثورنجيا، ولذلك بنى لامبرت موقفه التاريخي على عداء شخصي مع الإمبراطور. رغم هذا فإنه ما كتبه لامبرت يتسم بالموضوعية.

وقد وضع لامبرت بعض الحوليات الأخرى منها حياة لولي Vita Lulli وهي تخص لولي رئيس أساقفة ميتز الذي أسس دير هرسفيلد في عام ٧٦٨م، وقد كُتب هذا المؤلف بين عامي ١٠٦٣ - ١٠٧٣م، وهذا الكتاب ليس له قيمة تاريخية كبيرة مثل حوليته السابقة وهناك مؤلفات أخرى ولكنها فقدت.

- برتلود أف ريخناو:

هو برتلود أف ريخناو Berthold of Reichenau ولا يعرف تاريخ ميلاده ومات في عام ١٠٨٨م تقريباً، وكان راهباً بندكتياً والمؤرخ المشهور لدير ريختار، لقد كان مريداً وصديقاً للمؤرخ هرمان القعيد، وعندما شعر هرمان بدنو أجله سلم جميع ما لديه من أوراق إلى برتلود وعهد إليه بمراجعة ما كتبه ونسخه. ولقد تأثر الأخير بموت هرمان، وبذل جهداً كبيراً في مراجعة حوليته

واستكمالها حتى عام ١٠٨٠م. وفى المرحلة الأخيرة عاصر البابا جريجورى السابع Gregory VII (١٠٧٣ - ١٠٨٥م) وما عاصرها من أحداث الصراع بين البابوية والامبراطورية. ويرى البعض أن برتلود هو الذى أكمل الحولية، بينما يرى آخرون أنه أتمها حتى عام ١٠٦٦م أو ١٠٦٧م، كما أن هناك آراء أخرى حول هذه القضية. وعلى أية حال ومهما كان من أكملها فالمهم عندنا أنه توجد حوليه لها أهمية كبرى فى تاريخ المانيا فى العصور الوسطى.

- إكهارد أف أورا:

ولد المؤرخ إكهارد أف أورا Ekkehard of Aura حوالى عام ١٠٥٠ ومات بعد عام ١١٢٥م، وكان راهباً بندكتياً. ولم يعرف عنه الكثير. وما يعرف عنه أنه ذهب للحج للأراضي المقدسة فى عام ١١٠١م، وفى عام ١١٠٦م شارك فى مؤتمر جوسلاتا Guaslatta، ثم بدأ ظهوره فى دير سانت ميشيل فى مدينة بامبرج، وفى عام ١١٠٨م أو ١١١٣م أصبح رئيساً لدير أورا فى إقليم بافاريا.

وتعتبر حولية إكهارد المصدر الرئيسى للتاريخ الألمانى فى الفترة من ١٠٨٠- ١١٢٥م. وتنقسم هذه الحولية فى صورتها النهائية إلى خمسة أجزاء. ويتضمن القسم الأول تاريخ الفترة منذ بداية الخليقة حتى بناء مدينة روما، والثانى حتى ميلاد السيد المسيح، والثالث حتى شارلمان، أما الرابع فيصل إلى بداية حكم الامبراطور الألمانى هنرى الخامس، والفصل الخامس والأخير فإنه يتضمن حكم الامبراطور نفسه. ويلاحظ أنه لا توجد حولية عامة فى تاريخ العصور الوسطى تشمل هذه الفترة التاريخية فى تاريخ ألمانيا. ومن المتفق عليه أن هذا العمل ليس عمل فرد واحد، ولكن إكهارد كتب معظم ما ورد فى هذه الحولية. وتعتبر الاضافة الهامة فى هذه الحولية هو ما سجل عن عهد الامبراطور هنرى الخامس. والحولية بصفة عامة مستكملة بمهارة، وتشير إلى حسن التنظيم والترتيب للمادة التاريخية، وتشير الدراسات إلى أن ممن أكملوا هذه الحولية كونراد أف ليختناو Conrad of Lichtenau، البرت أف ستاد Albert of Stade.

وما قدمه لنا المؤرخ إيكهارد عن الحملة الصليبية الأولى والحرب الصليبية فى بدايتها فيه تقديم وتأخير للحوادث فبعد أن تكلم عن سقوط مدينة بيت المقدس فى يد الصليبيين عاد وتكلم عن الأقوام الأوربية التى شاركت فى الحملة الأولى وذكر أهل اكويتين ونورماندى وانجلترا واسكتلندا وايرلندا، وبريطانيا وجاليسيا وجاسكونى وفرنسا وفلاندرز واللورين. كما أنه تكلم عن الشعب الألمانى وذكر أنه أول من تقدم لصفوف الصليبيين بكل حماسة وتكلم عن أهل سكسونيا وثورنجيا وبافاريا والألمانيين وأن هؤلاء لم يبالوا بالاخطار بما فيهم جموع من الرجال والنساء والأطفال.

كما تكلم عن بعض القادة الألمان مثل فولكمار Folcmar الذى تقدم عبر بوهيميا، وجوتشكوك Gottscholk ووصفه بالمسيحى الضال، وإميكو Emico كونت الأراضى المحيطة بالراين. ويلاحظ أنه يكتب بطابع دينى، كما أنه متعصب لبنى وطنه من الألمان. أما فيما ذكره عن شارلمان فهو كثير ويحتاج إلى دراسة متعمقة، فقد تكلم عن سقوط مدينة بافيا، وحروب شارلمان مع السكسون وغزوات شارلمان ضد اللمبارد، ثم تكلم عن العرش الامبراطورى بداية من عام ٧٨٥ - ٨٠٠م وتحدث عن الامبراطورية البيزنطية وتتويج الامبراطور شارلمان عام ٨٠٠ فى ليلة عيد الميلاد ثم تكلم عن سلالة شارلمان. كما أنه تكلم عن سفارة أرسلها هارون الرشيد إلى الامبراطور شارلمان كما تكلم عن نشاط شارلمان وإنجازاته فى الجانب الإدارى مثل المبعوثين الامبراطوريين للتفتيش على أعمال المقاطعات الكارولنجية، ومدرسة القصر والعالم ألكوين والمؤرخ إينهارد، ويبدو أنه نقل كثيراً عن الأخير.

- أوتو أف فرايزنج:

يعتبر أوتو أف فرايزنج Otto of Freising من أعظم المؤرخين الألمان فى العصور الوسطى، وقد ولد أوتو بين عامى ١١١١ - ١١١٥م، ووالده هو ليوبولد الثالث Leopold III حاكم النمسا، ووالدته هى أجنس Agens ابنه

الامبراطور الألماني هنري الرابع، وأجنس هذه كانت زوجة سابقة لفريدريك الأول دوق سوابيا Swabia، كما أنه الأخ غير الشقيق للامبراطور كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨- ١١٥٢م). وكان لأوتو أخاً شقيقاً يدعى هنري دوق النمسا وتزوج من الأميرة البيزنطية ثيودرا، وبذلك يتضح مدى صلة المؤرخ أوتو بالأسرة الالمانية الحاكمة لفترة طويلة من الزمن، وكذلك إرتباطه بالبيت الحاكم في الامبراطورية البيزنطية وبالتالي مدى صلته بصناع القرار داخل أوربا، بالاضافة إلى مشاركته في الحملة الصليبية الثانية. وواقع الحال أن أوتو يعتبر مؤرخاً قديراً لقربه من الاحداث ومشاركته فيها، كما أنه كان فيلسوفاً مرموقاً.

وأهم مؤلفات أوتو كتاب «المدينتان» The Two Cities، وكتاب أعمال الامبراطور فريدريك بارباروسا» The Deeds of Frederick Barbarosa.

وقد ابتدأ أوتو كتابه هذا منذ بداية الخليقة واستمر حتى عام ١١٤٦م، ويعتبر ما سجله أوتو في هذا الكتاب أول كتاب فلسفي له أهمية كبرى في تاريخ العصور الوسطى. وفي هذا الكتاب اتبع أوتو منهج المؤرخ أوروسيوس في كتابة التاريخ بينما أخذ المنهج الفلسفي من منهج القديس أوغسطين صاحب كتاب مدينة الله، وذلك بابراز التناقض بين مدينة الله ومدينة الشيطان وهو المقصود بعنوان الكتاب «المدينتان».

وينقسم كتاب المدينتين إلى ثمانية فصول، وقد بدأ الفصل الأول منذ بداية آدم حتى الدولة البابلية، وأما الثاني فقد بدأ من سقوط الدولة البابلية وصولاً إلى الإمبراطورية الرومانية حتى عام ٤٤ ق.م وتناول الفصل الثالث الاحداث التي تلت عهد يوليوس قيصر Juliuo Caesar حتى بداية حكم الإمبراطور قسطنطين الكبير في عام ٣٠٦م. وفي الفصل الرابع تناول المؤرخ الأحداث منذ تولية الامبراطور قسطنطين حتى سقوط روما في ٤٧٦م. وفي الفصول السابقة كان يقدم أوتو ملخصاً لما كتبه أوروسيوس ثم أضاف من يوسيبيوس القيصري وروفينوس ومن المؤرخ القوطي جوردانس وإشارات إلى

الانجيل. وفيما يتعلق بالفصل الخامس فقد بدأ بأحداث عصر الامبراطور البيزنطي زينون وثيودريك ملك القوط الشرقيين حتى إنقسام دولة الفرنجة في عام ٨٤٣م بموجب معاهدة فردان معتمداً على بعض المصادر مثل حولية فروتولف Frutolf (٨٥٣ - ٩٦٧م). وأما الفصل السادس فقد بدأ بعد عام ٨٤٣م واستمر حتى الفتح النورماني لانجلترا في عام ١٠٦٦م، وبعض الأحداث اللاحقة في أوربا مثل خضوع الإمبراطور هنري الرابع إلى البابا جريجوري السابع بعد أحداث كانوسا Canusa عام ١٠٧٧م، واستمر الفصل حتى عام ١٠٨٨م. وعن الفصل السابع بدأ أوتو الكتابة منذ وفاة البابا جريجوري السابع في عام ١٠٨٥ واستمر في كتابة الاحداث حتى عام ١١٤٦م. وقد سجل أوتو في هذا الفصل بعض الأحداث المتعلقة بالحروب الصليبية وموقف بيزنطة منها وأحداث سقوط الرها عام ١١٤٤م، كما أنه أول من سجل الاسطورة الخاصة بالكاهن يوحنا Priest John التي كان لها دوراً كبيراً في فكر العصور الوسطى والتعامل مع المغول. أما الفصل الثامن والأخير فهو يختص بجانب لاهوتي يرتكز على يوم القيامة والحساب.

والكتاب الثاني للمؤرخ أوتو أف فرايزنج وهو كتاب أعمال الامبراطور فريدريك بارباروسا، وهذا ينقسم إلى أربعة أجزاء، قام أوتو بكتابة الجزئين الأولين من الكتاب، وفي الكتاب الأول سجل أوتو الاحداث المتعلقة بعهدي هنري الرابع وكونراد الثالث أي من عام ١٠٧٥م حتى ١١٥٢م وهذا الفصل يماثل ما كتبه أوتو عن فترة الفصل السابع من كتاب «المدينتان» تقريباً، ولكن المادة التاريخية التي قدمت في كتاب أعمال الامبراطور فريدريك أوفر بكثير من المسجلة في كتاب المدينتين.

أما الجزء الثاني الذي سجله أوتو فيبدأ منذ تولية الامبراطور فريدريك بارباروسا حتى منتصف سبتمبر عام ١١٥٨م، وقد دون فيه أوتو حوالي ستة وخمسين موضوعاً ورغم أن أوتو شارك في الحملة الصليبية الثانية إلا أنه لم يسجلها وذكر أنها كانت حملة فاشلة لا تستحق الذكر.

وقد أكمل أعمال أوتو خلفه راهوين Rahewin، وقد بدأ من حيث توقف أوتو عام ١١٥٨م واستمر فى سرد الأحداث حتى عام ١١٦٠ مع بعض الاشارات إلى السنوات من ١١٦١- ١١٦٩م. والمهم هنا أن هذه الحولية تتعامل مع ثمان سنوات فقط على الأكثر من حكم الامبراطور فريدريك بارباروسا.

وواقع الحال فإن المادة التاريخية التى قدمها أوتو أف فرايزنج لها قيمة تاريخية عظيمة وذات دلالة هامة خاصة الجزء الذى عاصره وسجل أحداثه. كما أنه اعتمد فى بقية ما كتبه على مصادر موثوق بها، وأنه أهتم بشرح أحداث عصره فى ضوء الاحداث السابقة. ويلاحظ أن أوتو كان مساندا للامبراطورية وتوسعها فى إيطاليا، ولكنه بحكم كونه أحد رجال الدين فإنه كان مضطراً لمساندة البابوية فى صراعها ضد الإمبراطورية.

هرمان أف التاخ:

هرمان أف التاخ Herman of Altach مؤرخ ألمانى ولد فى عام ١٢٠٠م أو ١٢٠١م وتوفى فى الحادى والثلاثين من شهر يوليو عام ١٢٧٥م، وقد تلقى تعليمه الأولى فى دير البندكتيين فى مدينة ألتاخ حيث كرس حياته وأصبح حارساً للكنيسة. وقد مكنه عمله هذا من الاطلاع على الوثائق المحفوظة فى الدير. وأثناء رئاسة ديتمار Ditmar للدير (١٢٣٢ - ١٢٤٢م) أرسل فى عدة مهمات هامة تتعلق بالدير، أولها عندما أرسل لمقابلة الامبراطور الالمانى فى فيرونا Verona بإيطاليا ثم مرة أخرى إلى البلاط الامبراطورى فى عام ١٢٣٩، ثم مرة ثالثة فى عام ١٢٤٠م. وفى السابع والعشرين من أكتوبر عام ١٢٤٢ أصبح رئيساً للدير. وخلال عمله رئيساً لهذا الدير الذى دام أكثر من إحدى وثلاثين عاماً فإنه عمل على النهضة بهذا الدير وإقرار النظام فانتعشت الاحوال المالية للدير. وفى عام ١٢٧٢م إعتلت صحته وعانى من الشيخوخة.

لقد ألف هرمان القليل من الكتب التاريخية، وتعتبر حوليات هرمان

Annales Hermanni أفضل أعماله التى سجل فيها الأحداث التاريخية من ١١٣٧- حتى ١٢٧٣م، والمتفحص لهذه الأعمال يلاحظ أنه إعتمد على الحوليات السابقة فى الفترة من بدايتها حتى عام ١١٤٦م، وبعد ذلك حتى نهاية أعماله فإنه إعتمد على نفسه ودون الأحداث بمعرفته. ويعتبر كتاب هرمان من أهم المصادر التاريخية فى عصره خاصة ما يتعلق بأقاليم بافاريا Bavaria، وبوهيميا Bohemia، والنمسا Austria. ومن أهم أعماله الأخرى كتاب يتعلق بتأسيس دير التاخ وكتاب مختصر عن أدواق منطقة بوجين Bogen.

- قرارات إمبراطورية:

ومن هذه القرارات القرار أو المنشور الذى أصدره الامبراطور فريدريك الثانى بانشاء جامعة نابلى فى عام ١٢٤٤م. ومن المهم قبل الدخول فى تفاصيل هذا القرار أن نعرف الظروف والملابسات التى أدت إلى ظهور هذه الجامعة إن السبب يرجع إلى الصراع بين البابوية والامبراطورية، لقد أنشأ فريدريك بارباروسا جامعة بولونيا Bologna فى عام ١١٥٨م . وكانت جامعة يديرها الطلاب ولم تكن جامعة دولة، ومع الظروف وقعت هذه الجامعة تحت نفوذ البابوية ومجلس مدينة بولونيا، لذلك رأى الامبراطور فريدريك الثانى إقامة جامعة أخرى تكون جامعة دولة تنافس جامعة بولونيا، لذلك كان عليه أن يقدم امتيازات كثيرة لطلاب الجامعة الجديدة حتى يشجع على الدراسة بها. أما فيما يتعلق بالمنشور الذى أصدره الامبراطور فى ٢٥ يونيه فى مدينة سيراقوزه لانشاء أول جامعة دولة فى أوربا، فقد وجه فريدريك الثانى المنشور إلى رؤساء الاساقفة والاساقفة والقسس والكونتات والبارونات ورجال القضاء والسلطة التنفيذية فى مملكة صقلية وجنوب ايطاليا وجاء فيه «نحن نريد أن يكون العلم للجميع عن طريق التعليم والبحث وسوف يعود ذلك بالنفع العام خاصة أن تنظيم العدالة والقوانين مفيد للجميع، ولذلك قررنا أن تكون مدينة نابلى الجميلة مركزاً لفروع كل العلوم، وبذلك سوف يجد كل من يتشوقون إلى

الطلاب إلى البلاد الأجنبية...
التعليم مكاناً فيها دون مشقة حتى لا يذهب الطلاب إلى البلاد الأجنبية...
وسوف نسمح للطلاب أن يعيشوا فى مدينة يتوفر فيها كل شئ حيث المبانى
الواسعة، ويمكن الوصول إليها براً وبحراً، وبها كافة ما هو مطلوب للحياة
وسوف نوفر لهم كل ما هو نافع فى ظروف طيبة، وسوف نوفر للطلاب أعضاء
هيئة التدريس ونقدم الجوائز للممتازين منهم وسوف يكونوا تحت رعاية آبائهم،
وسوف نعفيهم من أعمال كثيرة ونوفر عليهم مشقة السفر والترحال إلى
جامعات أخرى، وسوف نتولى رعايتهم ونحميهم من الاخطار - ومن بين
أعضاء التدريس روفردو أف بنفنتو Rofferdo of Beneaento وهو القاضى
الفاضل وأستاذ الحقوق المدنية». كما ورد فى المنشور أن على حكام المقاطعات
أن يعلنوا ذلك للجميع وسوف يتحمل كل المسئولية، وإلا يسمح لأى طالب
مغادرة المملكة بحجة الدراسة، وعلى جميع طلاب المملكة المغتربين أن يعودوا
إلى المملكة قبل عيد القديس ميشيل (٢٩ سبتمبر ١٢٤٤م).

ومن الامتيازات التى قدمها الامبراطور للخريجين أنهم سوف يعينون للتدريس فى الكليات، ويؤكد لجميع الطلاب حرية القدوم والعودة دون خطر، وسوف تؤجر لهم المنازل بأسعار معقولة، وسوف تقدم لهم القروض حسب حاجتهم مع سهولة الحصول على الكتب بشرط ألا يغادر هؤلاء الطلاب المدينة إلا بعد سداد ما عليهم، وسوف يتيسر لجميع الطلاب الحصول على المواد الغذائية بكل سهولة، وتباع لهم بالاسعار التى تباع بها للمواطنين.

ومن الواضح أن مثل هذا المنشور لا يفهم ما جاء به إلا بدراسة الظروف التى أدت إلى صدوره، مع ملاحظة أن جامعة نابلى كانت أول جامعة دولة تظهر فى أوربا، ولذلك كانت الامتيازات المشار إليها.

وجاء فى نهاية المنشور أن الامبراطور يعد بإحترام ما جاء بالمنشور حتى يتشرف بها الطلاب الذين ينتمون إليها، وتتشرف بهم الجامعة.

٢- المصادر الإنجليزية

- القديس جلداس
- بيده
- ننيوس
- وليم أف مالمسبورى
- الحوليات الأنجلوسكسونية
- وليم أف نيوبره
- روجر أف هوفدن
- جوسلين أف بريكلوند
- روجر أف وندوفر
- متى الباريسى
- متى أف وستمنستر
- توماس والسنجهام

- القديس جلداس:

ولد سانت جلداس St. Gildas في عام ٥١٦ تقريباً، ويعرف باسم سانت جلداس الحكيم، ويسمى أيضاً بادونيكوس Badonicus، ويرجع ذلك أن هذا المؤرخ قد أخبرنا أنه ولد في العام الذي انتصر فيه البريطانيون على السكسون في المعركة الشهيرة وهي «تل بادون» التي وقعت أحداثها في عام ٥١٦م، وكانت وفاته في عام ٥٧٠ في جزيرة هوت Houat في بريطانيا.

ويمكن التعرف أكثر على هذا المؤرخ من بعض الكتابات التي وجدت في دير رويز Rhuys في القرن الحادي عشر الميلادي، ومن كارادوك Caraduc وهو من أهل ويلز عاش في القرن الثاني عشر، ومن هذه الوثائق وجد أنه كان يوجد إثنان يحملان نفس الاسم، ولكن وجدت ألقاب أخرى إلى جانب اسم جلداس مثل البانيكوس Albanicus، وبادونيكوس أو هيبرنيكوس Hibernicus، أو المؤرخ، وقد دار جدل حول هذه القضية إلى أن حسمها بعض المؤرخين وذكرو أنه لا يوجد غير واحد فقط يحمل اسم القديس جلداس.

ومن هذه الدراسة اتضح أن جلداس ولد في اسكتلندا ويحتمل أنه ولد في دومبارتون Dumbarton التي تقع على ضفاف نهر كليد Clyde بالقرب من مدينة جلاسجو من عائلة بريطانية نبيلة، وكان والده يدعى كو Cou أو نو Nou وكان أخوه يدعى هيول Huel أو كيول Cuil. وقد تلقى جلداس تعليمه في ويلز تحت رعاية القديس إلتوت St. Iltut وكان رفيقاً للقديس سيمون والقديس بطرس أف ليون Leon. وقد دخل الرهبانية ثم ذهب إلى ايرلندا حيث أصبح اسقفاً. ويقال أنه عاش لبعض الوقت في مدينة أراماغ Aramagh الواقعة في شمال ايرلندا ثم عبر إلى الجنوب وإلى الشمال البريطاني. وعند عودته إلى إيرلندا بناء على دعوة الملك أينماير Ainmire (٥٦٦ - ٥٦٩م) نجح في إدخال العديد إلى الديانة المسيحية، وبنى العديد من الأديرة والكنائس، ويروى أيضاً أنه شد الرحال إلى روما ليحج إليها. وبعد عودته فضل الحياة

المنعزلة وانسحب إلى جزيرة هوت حيث عاش متعبداً ومتقشفاً دارساً. وقد عرف البعض مكانه، وقد طلب منه البريطانيون أن يشيد لهم ديراً في «روى» حيث الكثير من الناس، وهنا كتب رسائل دينية شهيرة إلى الملوك البريطانيين، وقد ظل في هذا المكان حتى وفاته ثم نقل رفاته في القرن العاشر إلى مدينة فاناس Vannes التي تقع في مقاطعة بريتاني في فرنسا، ثم إلى كاتدرائية المدينة في القرن الثامن عشر الميلادي ويحتفل بعيد ميلاده في التاسع والعشرين من يناير وعيد آخر في الحادي عشر من مايو وهو عيد نقل رفاته. وأهم ما كتبه جلداس هو كتاب خراب بريطانيا The Ruin of Britan أي خراب بريطانيا، وقد قسم المؤرخون هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

١- مقدمة.

٢- مختصر عن تاريخ بريطانيا منذ الغزو الروماني حتى عصر المؤلف.

٣- رسائل إنجيلية صارمة موجهة إلى خمس ملوك حكموا انجلترا بداية من قسطنطين حتى ميلجوين Maelgwn (ت ٥٤٧م) وفي هذه الرسائل رسائل دعوية لرجال الدين الكسالى والمرتشين.

وفي واقع الأمر فإن ما كتبه جلداس يدل على أن هذا المؤرخ كان رجلاً مثقفاً طاهراً وأنه كان على معرفة واسعة بالكتب المقدسة. والمتصفح لهذه الحولية يجد أن المؤرخ يقدم دراسة جغرافية عن الجزر البريطانية، وحكم الرومان للجزيرة ودخولها في الديانة المسيحية، وأن أول شهداء المسيحيين في هذه الجزر هو القديس البانز St. Albans، وجانباً من الحروب الإنجليزية الإسكتلندية وعناصر البكت، وقد ذكر المؤرخ أن انجلترا كان لها ملوكاً ولكنهم طغاة، وكان لها قضاة لكنهم كانوا غير عادلين، كما أنه أشار إلى بعض أساقفة الشرق مثل أساقفة أنطاكية. والحقيقة أن السمة العامة للحولية هي سمة دينية الطابع أكثر منها سمة تاريخية.

- بيده .

ويعرف بيده Bede أيضاً باسم بيده الموقر، وفيلسوف الكنيسة في عصره وبعد عصره. ولقد ولد هذا المؤرخ الإنجليزي في عام ٦٧٢ أو ٦٧٣م وكانت وفاته في عام ٧٣٥م ويعتبر أفضل ما كتبه بيده هو تاريخ الكنيسة والشعب الإنجليزي A History of the English Church and People. أما عن حياة المؤرخ بيده فقد سجل بنفسه جانباً كبيراً مما نعرفه، فقد ذكر أنه عندما بلغ السابعة من عمره دخل تحت رعاية أحد الأديرة البندكتية ولكنه انتقل إلى دير القديس بولس عندما أسس في مدينة جارو Jarrow في عام ٦٨٢م وأصبح تحت رعاية الراهب جولفريد Geolfrid، وأنه ظل راهباً في هذا الدير حتى نهاية حياته. ويذكر أيضاً أنه بدأ كتابة مؤلفه الكبير هذا في عام ٧٣١ عندما تقدم به العمر.

ويقول بيده أنه قضى عمره كله في التعلم أو التعليم أو الكتابة، وعندما بلغ الثامنة عشر من عمره أصبح شماساً، وفي الثلاثين أصبح قسيساً، ويقول أنه أمضى حوالي خمسين عاماً منذ أن أصبح قسيساً حتى وقت كتابة مؤلفه، وأنه كان يضع بعض الملاحظات على الكتاب المقدس وقد تم ذلك بمفرده أو مع زملائه.

أما لقب الموقر فإنه قد أضيف إلى إسمه بعد جيلين من وفاته، وأن هذا اللقب قد استخدمه بعض مشاهير العصور الوسطى حتى مجمع آخن Aachen الذي عقد في عام ٨٣٥م الذي أضفى عليه هذا اللقب وهو الموقر بصفة رسمية. لقد كان للمؤرخ بيده تأثيراً كبيراً على الشعب الإنجليزي والدارسين من خارج إنجلترا، وقد ظل هذا الحال حتى غزوات الدانيين على انجلترا، والدمار الذي لحق بها خاصة الأديرة الشمالية وذلك بعد قرن من وفاة بيده، والحقيقة أن بيده كان يعتبر أعظم المثقفين في عصره.

ويقع كتاب تاريخ الكنيسة والشعب الإنجليزي في خمسة كتب صغيرة أو

خمسة فصول كبيرة ويختص الأول بعديد من الموضوعات [illegible] أربع وثلاثون، بدأها بالحديث عن سكان بريطانيا وايرلندا القدامى، ومن أهم الموضوعات التى وردت بها الحديث عن الغزو الرومانى لبريطانيا فى عهد الإمبراطور يوليوس قيصر Julius Ceasar (١٠٠ - ٤٤ق.م) ثم خلفائه من بعده مثل دقلديانوس وأركاديوس، ثم تكلم عن غزو العناصر الإنجليزية لبريطانيا، ثم قدم جانباً كبيراً عن البابا جريجورى الأول وجهوده فى نشر الديانة المسيحية فى بريطانيا وانهى هذا بالحديث عن ملك نورثمبريا إثلفريد Ethelfrid توفى فى (٦٢٥م).

وأما الفصل الثانى فيقع فى عشرين موضوعاً بدأه بالحديث عن البابا جريجورى الأول، ثم تكلم عن ملوك أنجلترا وجهود البابارات ورجال الدين الانجليزى فى نشر الدين المسيحى فى أنجلترا، وأنهى هذا الجانب بموت الملك إدوين Edwin فى عام ٦٣٣م.

وفيما يختص بالفصل الثالث فهو يحتوى على ثلاثين موضوعاً، بدأه بحكم الملك ازوالد Oswald (٦١٦ - ٦٤٢م)، وكيف اعتنقت عناصر البكت الديانة المسيحية، وارسال ويجهارد Wighard إلى روما ليكرس رئيساً لاساقفة إنجلترا، وعن الطاعون الذى اجتاح منطقة السكسون الشرقية.

وأما الفصل الرابع ففيه اثنان وثلاثون موضوعاً منه أن ثيودور أصبح رئيساً لاساقفة انجلترا وبعض الجوانب الدينية الأخرى فيها بعض الخوارق، وكيف تحول أهل السكسون الجنوبيين إلى الديانة المسيحية، وكيف لعب رئيس الاساقفة دوراً فى إرساء السلام بين ملوك إنجلترا المتصارعين، وبعض المعلومات عن ملوك انجلترا.

وسجل فى الفصل الخامس أربعة وعشرين موضوعاً فيها الحديث عن رجال الدين الإنجليز والتبشير بالديانة المسيحية فى انجلترا وخارجها، كما تناول بعض الأحداث الخاصة بالملوك مثل الملك أوفا Offa ملك منطقة السكسون

الشرقية، وتناول أيضاً جانباً عن الأديرة، وأنهى هذا الفصل أو بمعنى آخر كتابه بالوضع الراهن فى أيامه عن الأمة الأنجليزية وبقية بريطانيا. والحقيقة أن المؤرخ بيده، كان يذكر أسماء بعض من ينقل عنهم مادته التاريخية مثل أركولف Arculus عندما تحدث عن بلاد الشام وبيت المقدس كما تكلم بيده فى كتابه عن الهرطقات مثل الأريوسيه واليوتيخية، وبعض حكام أوروبا مثل ألاريك وأتيلا، كما أنه ضمن كتابه ذكر الخوارق التى سمع عنها.

- ننيوس :

كان ننيوس Nennius أحد رجال الدين ومات فى عام ٨٢٥م وينسب إلى ويلز فى إقليم الحدود الجنوبية الشرقية، وقد عمل فى مقاطعة جوينيد Gwyned، وعلى ما يبدو أنه عمل فى بلاط الملك مرفين فريش Merfyn Frych، وتشير المصادر أنه أجاد عدة لغات، ولعل هذا ما دفع الملك إلى الاستعانة به، فقد كان يجيد اللغة اللاتينية، كما كان يتقن اللغة الانجليزية القديمة وربما الايرلندية القديمة أيضاً، ويمكن أن نتصور أنه كان مبعوثاً ملكياً فى عدة مهام خارج البلاد.

وربما يكون ننيوس أول مؤرخ ويلزى يحاول أن يكتب تاريخياً عن العناصر الويلزية، وذلك بالبحث عن المصادر التى يمكن أن يطلع عليها. ولقد وجد فى ذلك صعوبة بالغة، ولعل ذلك ما دفعه إلى الوقوع فى بعض الأخطاء مثل أسماء بعض المدن ووضع بعضها مكان الآخر، وكذلك فيما يتعلق بأنساب العائلات التى تعرض لها.

ويعرف كتاب ننيوس باسم تاريخ بريطانيا Historia Brittonum، وترجع أهمية هذا المؤلف إلى أنه أعظم المؤلفات أهمية عن تاريخ فورتيجرن Fortigen، وهذا ليس إسماً ولكنه لقب يعنى الملك الأعلى High King الذى حكم من ٤٤٠ - ٤٤٥م تقريباً. ورغم ما يقال عن هذه الحولية فإن ما قدمه المؤرخ عن التاريخ البريطانى القديم بما فيه من أساطير وفولكلور فإنه أقدم ما

وصل إلينا من حوليات، كما أن ما كتبه المؤرخ يعتبر مترابطاً منطقياً وشاهداً على تقدم الأدب الويلزى والكتابات التاريخية، وهذا يعتبر قيمة أدبية وتاريخية.

والمصادر التى رجع إليها المؤرخ نتيوس عن المراحل السابقة لعصره متعددة، وقد أوردت معظمها من قبل فى هذا الكتاب، ومن هذه المصادر يوسيبيوس، كتابات القديس جيروم، وإيذور الاشبيلى، والمؤرخ الانجليزى بيده. ولذلك يعتبر ما كتبه المؤرخ نتيوس عمل تجميعى من المصادر السابقة مع بعض الإضافات، وعلى ذلك لابد من مراجعة المصادر التى أخذ منها المؤرخ لمعالجة الاختلاف أن وجد.

وفيما يتعلق بالمعلومات الواردة فى حولية نتيوس فى القرن السابع الميلادى لا يمكن الأخذ بها دون حذر، فهناك بعض الخلل الذى يجب معالجته تاريخياً. أما فيما يتعلق بالمعلومات الواردة فى الحولية عن القرن الثامن والتاسع فإن ما ورد فى الحولية عن هذه المرحلة يعتبر ذات أهمية كبيرة وهى مماثلة للمصادر الأخرى فى تلك المرحلة.

وقد بدأت الحولية من بداية العالم منذ سيدنا آدم حتى فيضان سيدنا نوح وذكر أنها تسعمائة عام وأثنان وأربعون، ومن سيدنا إبراهيم إلى سيدنا موسى ستمائة عام ومن سيدنا موسى حتى سيدنا سليمان وبداية بناء هيكل سليمان أربعمائة وثمانية وأربعون، ومن سيدنا سليمان حتى إعادة بناء الهيكل الذى كان فى حكم الملك الفارسى داريوس الأول Darius I (٥٢١ - ٤٨٥م) ستمائة واحدى عشر عاماً.

ثم عاد وقسم التاريخ منذ سيدنا آدم حتى ميلاد السيد المسيح إلى ست مراحل؛ الأولى من سيدنا آدم إلى سيدنا نوح، والثانية تبدأ من سيدنا نوح حتى سيدنا إبراهيم، والثالثة من سيدنا إبراهيم حتى سيدنا داود، والرابعة من سيدنا داود حتى سيدنا دانيال، والخامسة تمتد حتى سيدنا يحيى أو يوحنا المعمدان، والأخيرة عن عصر السيد المسيح.

وقد بدأ بالحديث عن أباطرة الرومان منذ عهد يوليوس قيصر حتى حدثنا عن الجزر البريطانية وذكر أنها واسعة وأن المنازل تبنى من الآجر والحجارة وأن الشعب البريطانى يتكون من أجناس مختلفة، وهم الاسكتلنديون، والبكت، والسكسون، والعناصر البريطانية القديمة ثم تكلم عن هجرات عناصر البكت إلى الجزر البريطانية، ثم هجرات العناصر الاسكتلندية من أسبانيا، ثم الغزوات السكسونية من أوربا إلى الجزر البريطانية وجانب من الحروب بين هذه العناصر وأهل البلاد فى وقت زيارة القديس جرمانوس Germanus (٣٧٨ - ٤٤٨م) فى عامى ٤٢٩ - ٤٣٠م، ثم تكلم عن الملك آرثر، والقديس باتريك Patrick (٣٨٥ - ٤٦١م) الذى أسره السكسون ثم دخول إيرلندا فى الديانة المسيحية حوالى عام ٥٣٢م.

ومما يهمنا فى تلك، المعلومات القيمة التى قدمها عن أصل الأمة البريطانية، وأنها كانت تتكون من عناصر متعددة معظمها مهاجرة من بلاد أوربا، وأننى إذا اضفت إلى ذلك هجرات العناصر الجرمانية إلى أوربا وما تلا ذلك من هجرات فى العالم كله حتى الهجرات إلى القارتين الأمريكيتين فى العصور الحديثة، فإننى أزعم حقاً أنه لا يوجد شعب فى أوربا وربما فى آسيا وأفريقيا يدعى أنه صاحب أرض منذ بداية الخليقة إلا بعد دراسات عميقة ومتأنية.

- وليم أف مالمسبورى:

ولد وليم أف مالمسبورى فى عام ١٠٩٠ ومات فى عام ١١٤٣م وقد تعلم فى مدينة مالمسبورى التى تبعد حوالى ثمانين ميلاً غرب لندن ثم أصبح راهباً فى ذات المدينة. وكان وليم منذ شبابه ميالاً لكتابة التاريخ وقد أكمل وليم عملين تاريخيين فى عام ١١٢٥م، الأول وهو Cesta Regum تاريخ الملوك ويقصد به تاريخ ملوك انجلترا، والثانى هو Cesta Pontifieum تاريخ رجال الدين، والمقصود به تاريخ الكنيسة. ويعد هذه المرحلة قضى وليم عشرة سنوات

في جمع مادة تاريخية، وهي الآن مخطوطة في مكتبة البودليان Bodleian وهي المكتبة الرئيسية في جامعة اكسفورد. ثم كتب تاريخ مدينة جلاستونبيري Clastonbury وقديسيها، وهي المدينة التي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة مالمسبوري بمائة وخمسة وثلاثون ميلاً.

لقد ذكر وليم أنه أصبح رئيساً لدير مالمسبوري أكثر من مرة، ولكنه كان يفضل العمل في مكتبة الدير وفي عام ١١٤٠م قام بمراجعة كتاب أعمال ملوك أنجلترا، وكتاب تاريخ الكنيسة، ثم بدأ في كتابة عمل جديد هو التاريخ الجديد Hlistotia Novello وهو ذيل للكتاب السابق، وهو يتناول الفترة من ١١٢٥ - ١١٤٢م، ولكن هذا المؤلف لم يكن مرتباً، وكأنه مسودة للعمل.

وقد مدح المختصون أعمال وليم أف مالمسبوري وذكرو أنه قدم عملاً رائعاً عن الأحداث المتعلقة بعهد الملك ستيفن، وأنه المؤرخ الأنجليزي الذي يلي المؤرخ بيده في قدراته، وأن الفترة التي تلت وفاة بيده وهي مائتان وثلاث وعشرون عاماً، قد سجلها المؤرخ وليم بكل عناية أكثر من الحوليات الانجلوسكسونية. كما أن ما كتبه من الملوك النورمان الأوائل استندت إلى معلوماته الشخصية أو استقاها من شهود العيان، وهي مادة تاريخية هامة جداً في تاريخ أنجلترا. ويلاحظ أنه اعتمد على المؤرخ بيده مثله في ذلك مثل كل المؤرخين الإنجليز الذي أتوا بعده.

وكتاب تاريخ ملوك أنجلترا أو الحولية تقع في خمسة كتب وكل كتاب ينقسم إلى عدة فصول، وهناك إضافة إلى الحولية عرفت باسم The Modern History وهو الجزء الأخير من الكتاب، وهو ينقسم إلى ثلاثة أجزاء. وفيما يتعلق بالكتاب الأول فهو ينقسم إلى ستة فصول، ويبدأ الفصل الأول بعام ٤٤٩م حيث يتكلم المؤرخ عن وصول الأنجليز والسكسون إلى بريطانيا وينتهي الفصل السادس بالحديث عن ملوك إسكس من الفترة من ٥٢٠ - ٨٢٣م أما الكتاب الثاني يتضمن ثلاثة عشر فصلاً، يتضمن الفصل الأول الأحداث من

عام ٨٠٠ - ٨٣٩م وهي فترة حكم الملك إجبرت Egbert ملك مرسيا Mercia. وانتهى الكتاب بالفصل الثالث عشر الذي يتحدث عن حكم الملك إدوارد (١٠٤٢ - ١٠٦٦م)، والكتاب الثالث يبدأ بالفتح النورماندي ويمهد وليم الفاتح واستمر هذا الفصل حتى عام ١٠٧٢م. وفيما يختص بالكتاب الرابع فهو يتكون من جزئين أو فصلين مطولين. يبدأ الأول بعهد الملك وليم الثاني ١٠٨٧ - ١١٠٠م، وأما الجزء الثاني فقد ذكر فيه المؤلف جانباً كبيراً من أحداث الحملة الصليبية الأولى منذ عام ١٠٩٥ وحتى عام ١١٠٥م، وذكر تفاصيل طيبة عن الموضوع بداية من البابا أوربان الثاني وخط سير الحملة وحصار مدينة نيقيه وأنطاكية والقدس والملوك الصليبيين وأمراء الإمارات الصليبية. وفيما يتعلق بالكتاب الخامس فقد تناول فيه المؤرخ عهد وليم الأول منذ توليته في عام ١١٠٠م حتى عام ١١١٩م وليس في هذا الكتاب فصول، بل ذكر الاحداث مرة واحدة خاصة علاقات انجلترا مع أوربا والبابوية.

والجزء الأخير من الحولية الذي سماه المؤرخ التاريخ الحديث ويقصد به عصر المؤلف فيبدأ من عام ١١٢٦م - حتى ١١٤٢م، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول أو الكتاب الأول فيبدأ من أحداث عام ١١٢٦ حتى الجزء الأول من عام ١١٣٩م، ويبدأ الثاني في عام ١١٣٩ حتى ١١٤٠، أما الأخير فيبدأ من ١١٤١- حتى نهاية الكتاب في عام ١١٤٢م. وبالكتاب مادة تاريخية هامة جداً خاصة بأحوال انجلترا وعلاقاتها بأوربا والبابوية والحروب الصليبية وهذا أمر غير متوفر في الكتب السابقة واللاحقة مثل الحوليات الأنجلوسكسونية.

- الحوليات الانجلوسكسونية :

يتفاخر الأنجليز بمصادرهم التاريخية في الماضي والحاضر، وهذا لم يتوفر لأي أمة أوربية أخرى، ومن ذلك الحوليات الانجلوسكسونية وسجلات الإحصاءات التي وضعها الملك الأنجليزي وليم الفاتح William I (١٠٦٦ -

خدمات إحصائية، ولكنها ١٠٨٧م). ولا تزيد سجلات الإحصاء عن تقديم
تحتوى على معلومات موثوق بها خاصة بكل الممتلكات وكل شيئ داخل
المملكة الانجليزية فى هذه الفترة الهامة، ولعل أهمية هذه السجلات ترجع إلى
فكرة الأحصاء. ووجود إحصائيات فى العصور الوسطى يكاد يكون أمراً نادراً
الحدوث فى أى دولة فى العصور الوسطى، ومن حكمة البرلمان الانجليزى أنه
قام بطبع هذه السجلات الأحصائية ضمن السجلات العامة لأهميتها البالغة.

والعمل الآخر هو الحوليات الانجلوسكسونية التى أمر الملك الفريد Alfred (٨٧١ - ٩١٠م) فهى لم تحظى بالأهمية التى حظيت بها السجلات الأحصائية فلم يتم طبعها كاملة بعد جمع كل المخطوطات الخاصة بها.

ولحسن الحظ فقد تم جمع جميع المخطوطات المتعلقة بهذه الحوليات وتم طبعها لأول مرة فى لندن عام ١٦٤٤م، ثم فى عام ١٦٩٢م فى أكسفورد ثم تكرر طبعها أربع مرات بالصيغة السابقة، وقد تم العثور على جزء من هذه الحوليات لا يتعدى ما سجل فيها عن ثلاثمائة وأربع وسبعون صفحة. ويبدأ السؤال ماذا تحتوى هذه الحوليات ومن الذى سجلها.

أن هذه الحوليات تحتوى على كتابات شهود عيان موثوق بهم من المؤرخين الذين عاصروا الأحداث التى وقعت فى البر أو البحر منذ وصولهم إلى الأراضى الأنجليزية حتى عام ١١٥٤م وهى كتابات تتعلق بالنواحى المعمارية، والزراعية، أو العملة أو انتصارات عسكرية سواء على الأرض أو البحر أو القوانين، أو قوانين تتعلق بالحريات أو الأحوال الدينية أو الاشعار لم تطبع من قبل. وتعتبر هذه الحوليات من الظواهر التى لم تتكرر، وكان الأمر يتطلب فحص المادة التاريخية الواردة فى هذه الحوليات حتى أعتلاء هنرى الثانى عرش أنجلترا فى عام ١١٥٤م.

ومن المؤرخين المعروفين الذين عاشوا فى الحقبة المسجلة فى الحوليات الانجلوسكسونية من ١ - ١١٥٤م، نجد المؤرخ جيلداس Gildas الذى غطى

جانباً من القرن السادس الميلادى وسبق الحديث عنه، ومن سجلوا مآثر الملك أرثر وفرسان المائدة المستديرة، والمؤرخ بال Bale ومن أتوا بعده مثل يوسف أف أريماتى Joseph of Arimathea وأرفيراجوس Arviragus، وبوندوكا Bonduca حتى الإمبراطور قسطنطين العظيم.

وإذا بدأنا بالمؤرخ جيلداس نجد أنه لم يقدم لنا تاريخاً مصنفاً منتظماً لتاريخ الجزيرة البريطانية، فقد ترك لنا معلومات عن حياة وسلوك الانجليز بها خلط كثير. سواء أكانوا من البريتون أو السكسون أو البكت أو الاسكتلنديين، ولكنه ترك لنا بعض المعلومات أخذ منها المؤرخ بيده Bede، وسجلت أيضاً فى الحوليات الأنجلوسكسونية.

والمؤرخ الثانى هو ننيوس Nennius الذى غطى جانباً من القرن السابع، ولكن ما سجله به كثير من الخطأ، ولعل ما سجل هذه الأحداث هو كاتب بسيط يدعى صموئيل Samuel أو بيولانوس Beulanus أو كلاهما معاً، والأخير قد عاش فى القرن التاسع.

ونأتى بعد ذلك إلى بيده الذى استحق عن جدارة لقب الموقر، ولكن بيده توقف فى عام ٧٣٤، ولا يوجد بعد المؤرخ بيده حتى نهاية الحولية سوى المؤرخ وليم أف مالمسبورى William of Malmsbury الذى دخلت بعض كتاباته فى نصوص الحوليات الأنجلوسكسونية. ثم يليه الاسقف آسر Asser كاتب سيرة الملك الفريد، وهناك بعض المؤرخين الذين ليس لهم أهمية كبيرة فى هذا الموضع.

وكما سبق أن ورد أن الحوليات الانجلوسكسونية تبدأ من عام ١ - ١١٥٤م وأنها كتبت بمعرفة مجموعة من المؤرخين، والذى يطلع على هذه الحوليات يجد أن الحولية كتبت دون فصول أو كتيبات وإنها مكتوبة بطريقة متصلة مرتبة حسب السنوات بمقدمة فى بضعة أسطر ثم تبدأ فى العام الأولى الميلادى بميلاد السيد المسيح فى عهد الامبراطور أوكتفيان Octavianus الذى

حكم مدة ستة وخمسين سنة وأن ميلاد السيد المسيح كان فى العالم الثانى والأربعين من حكمه. ويلاحظ أيضاً أن الحولية تذكر السنة وما تم فيها من أحداث وأنه فى بداية الحولية كانت المعلومات مختصرة للغاية لا تتعدى سطر أو بضعة أسطر. وأن ما ورد يكاد يكون عناوين لأحداث مع التركيز على أسماء البابارات أو الاساقفة أو الحكام باستثناء بعض الأحداث الأخرى.

وبدأت الحولية فى ذكر بعض التفاصيل بذكر الملك الفريد فى عام ٨٥٣م عندما أرسله والده اثيلولف Ethelwulf (٨٣٦ - ٨٧١م) ملك وسكس إلى البابا ليو الرابع Leo IV (٨٤٧ - ٨٥٥م) فى روما. واستمر الحال حتى وفاة الملك الفريد فى عام ٩٠١م كما ذكرت الحولية. ثم استمرت الحولية فى ذكر الأحداث باختصار عدا بعض الصفحات. وبدأت الحولية مرة أخرى فى ذكر بعض التفاصيل منذ عام ٩٩٤م عندما بدأ الغزو النورماندى فى عام ١٠٦٦ بقيادة وليم الفاتح وفاته، وحكم سلالته من بعده وهم وليم الثانى (١٠٨٧ - ١١٠٠م)، وهنرى الأول Henry I (١١٠٠ - ١١٣٥م) ثم ما كان من عصر الفوضى وتولى ستيفن Stephen ثم استمرت حتى مات ستيفن فى عام ١١٥٤ وتوليه هنرى الثانى (١١٥٤ - ١١٨٩م) عرش انجلترا.

- وليم أف نيوبره:

ولد وليم أف نيوبره William of Neaburgh فى عام ١١٣٥م أو ١١٣٦م وكانت وفاته فى نهاية عام ١١٩٧م أو بعد ذلك. وقد عرف وليم نفسه بأنه وليم كاهن نيوبره، وعاش على الرهبانية الأوجسطينية. ويبدو أنه دخل هذا الدير بعد تأسيسه بوقت قصير، ومن الواضح أنه قد ظل فى هذا الدير بقية حياته.

وتبدأ حولية وليم بعام ١٠٦٦م وهو بداية الغزو النورماندى لإنجلترا على يد وليم الفاتح، وانتهت فى عام ١١٩٧م، وتنقسم الحولية إلى خمسة كتب رئيسة. تناولت أعمال الملك الانجليزى ستيفن (١١٣٥ - ١١٥٤م) وأعمال

الملك هنرى الثانى Henry II (١١٥٤ - ١١٨٩م) أما الجانب الأخير فأن للملك ريتشارد قلب الأسد Richard I (١١٨٩ - ١١٩٩م). ولكن الجزء لم يكتمل لأن الحولية إنتهت فى سبتمبر عام ١١٩٧م.

والكتاب الأول من الحولية ينقسم إلى إثنين وثلاثين فصلاً تضمن بعض المعلومات عن الملوك النورمانديين أو النورمان الأوائل مثل وليم الفاتح ووليم روفوس Rufus (١٠٨٧ - ١١٠٠م) وذهابه فى حملة للأراضى المقدسة مع الحملة الصليبية الأولى. والملك هنرى الأول Henry I وهو الملك الثالث فى سلسلة الملوك النورمان، وأسباب الحملة الصليبية الثانية، وقيادة الملك لويس السابع Louis VII ملك فرنسا (١١٣٧ - ١١٨٠م)، والملك الألمانى كونراد الثالث Conrad III (١١٣٩ - ١١٥٢م). واستيلاء الصليبين على مدينة عسقلان، والهدنة التى عقدت بين الأمير الانجليزى هنرى أى الملك هنرى الثانى (١١٥٤ - ١١٨٩م) فيما بعد، والملك ستيفن (١١٣٥ - ١١٥٤م). وطلاق الملك لويس السابع من زوجته اليانور Elaenor وغير ذلك من الموضوعات المتعلقة بإنجلترا والكنيسة ورجال الدين.

أما الكتاب الثانى فقد تناول ثمانية وثلاثين فصلاً. منها بداية إعتلاء هنرى الثانى عرش انجلترا واستعادة الأراضى الملكية. وحصار الامبراطور فريدريك بارباروسا لمدينة ميلان. والصراع الذى قام بين الملك هنرى الثانى وتوماس بكت Thomas Beckt رئيس أساقفة كانتربرى. كما تناول حملات الملك الصليبى عمورى Amolie على مصر، ومصرع توماس بكت فى عام ١١٧٠م، وموضوعات أخرى تتعلق بالكنيسة ورجال الدين والصراع مع اسكتلندا، وجانباً من العلاقات مع فرنسا.

وفيما يتعلق بالكتاب الثالث فقد تضمن ثمانية وعشرين فصلاً، بدأت بالحديث عن مؤتمر لندن الذى عقد فى عام ١١٧٥م. وموت لويس السابع ملك فرنسا، وبعض الأحداث التى وقعت فى القسطنطينية، وظهور صلاح الدين

الأيوبي وبعض جوانب الصراع الإسلامي الصليبي في بلاد الشام ومعركة حطين، وكيف دافع المركيز كونراد عن مدينة صور، واستعداد القوات الانجليزية للحملة الثالثة، وكذلك القوات الألمانية، والقتال عند مدينة عكا وأخيراً موت وليم الثاني ملك صقلية ١١٨٤م.

أما الكتاب الرابع فيبدأ بتتويج الملك ريتشارد قلب الأسد، وبعض الأخبار عن اليهود، والقوات الألمانية المشتركة في الحملة الصليبية ووصول الملك ريتشارد إلى صقلية قائداً للقوات الإنجليزية المشتركة في الحملة الثالثة، والأحداث المتعلقة باستيلاء الملك ريتشارد على قبرص، واجتياح مدينة عكا، ورحيل الملك فيليب أوغسطس من بلاد الشام، والهدنة التي تمت بين صلاح الدين وريتشارد المعروفة بصلح الرملة، وأسر الملك الانجليزي ريتشارد أثناء عودته من بلاد الشام، ثم فك أسره وعودته إلى إنجلترا. وهذا الكتاب أكبر بعض الشئ من الكتب السابقة وبه اثنان وأربعون فصلاً.

وفيما يتعلق بالكتاب الخامس فهو يتضمن أربعة وثلاثين فصلاً، ويبدأ بالحديث عن بعض أعمال الملك ريتشارد بعد تتويجه وقبل أن يغادر البلاد إلى الأراضي المقدسة، وبعض الأحداث المتعلقة بمملكة صقلية وعن هيوبرت Hubert رئيس أساقفة كانتربري، وحديثاً عن الإسلام وسيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم»، والقوات الإسلامية التي فتحت الأندلس، وعن خطاب ورد من شيخ الجبل زعيم الطائفة الاسماعيلية في بلاد الشام ومصرع الماركيز كونراد، والحملة الصليبية الألمانية التي أرسلها الامبراطور هنري السادس في عام ١١٩٧م، والهدنة التي وقعت بين إنجلترا وفرنسا، وبعض الأحداث الأخرى المتعلقة بالشئون الداخلية في إنجلترا وخارجها.

وواقع الحال أن ما ورد في الحولية من ناحية المادة التاريخية يتناسب مع الحوليات الإنجليزية السابقة، ولكن الحولية تعتبر مختصرة إذا ما قورنت بالحوليات التي تلتها أو عاصرت أواخرها مثل الكتب التي تكلمت عن الحملة

الصليبية الثالثة، وما ورد في مصادر خاصة بالحملة الثالثة، وكما يؤخذ على الحولية عن ورود الأحداث طبقاً للأحداث التاريخية، فهناك تقديم وتأخير للأحداث، كما أن المؤرخ لم يقدم لنا التواريخ التي وقعت فيها الأحداث إلا قليلاً.

- روجر أف هوفدن:

روجر أف هوفدن Roger of Hoveden أو Howden، وقد تحدث عن نفسه بأنه أحد مواطني مدينة يورك York، والواقع أنه من قرية «هوفدن» الواقعة إلى الشرق من يوركشير Yorkshire التابعة لاسقفية «درهام» Darham، وهي المنطقة التي عاش فيها المؤرخ.

ويرى البعض أنه عمل استاذاً لعلم اللاهوت بجامعة اكسفورد Oxford، وانه عمل كاتباً للملك هنري الثاني، وأن الملك أرسله مبعوثاً في بعض المهام، وأنه عمل قاضياً متجولاً في شمال إنجلترا، ويتضح أنه كان موضع ثقة الملك وأنه تعامل مع الخطابات والمراسيم الملكية، وكذلك القرارات البابوية التي تظهر بوضوح داخل حوليته المعروفة باسم Annals of Roger of Hoveden. وقد تلقى روجر تعليماً راقياً، فأصبح غزير المعرفة، ويتجلى ذلك من المعلومات التي وردت في الحولية، كما أنه قرأ الأشعار اللاتينية القديمة مثله في ذلك مثل معظم رجال الدين البارزين، كما أنه ظل حاضر البديهة وعقل متقد لم يتأثر بسنه المتقدم، كما أنه تعامل مع الأساطير وبعض الخرافات التي سادت عصره. وكثيراً ما أشار إلى المسلمين أو العرب واليهود والهراطقة والوثنيين.

ولم تكن حولية روجر حولية لتاريخ انجلترا، ولكنها تاريخاً عالمياً، فقد كتب عن سكتلندا وفرنسا والمانيا والنرويج، والدانمرك وأسبانيا والبرتغال وإيطاليا والإمبراطورية البيزنطية، وآسيا الصغرى أي سلاجقة الروم وبلاد الشام، وفي بعض الأحيان كان يقدم بعض المعلومات الجغرافية التي تشمل غرب وجنوب أوربا.

وتنقسم الحولية إلى عملين كبيرين، يبدأ العمل الأول من عام ٧٣٢م وهو التاريخ الذى مات فيه المؤرخ الإنجليزى بيده Bede حتى عام ١١٥٤، وهو العام الذى تولى فيه هنرى الثانى حكم إنجلترا، وهذا العمل قد ورد مختصراً ويشغل حوالى ربع الحولية. أما العمل الثانى فيبدأ من عام ١١٥٥م حتى عام ١٢٠١م وهذا العمل يتناول عهد الملك هنرى الثانى وريتشارد قلب الأسد، وثلاثة أعوام فقط من حكم الملك يوحنا (١١٩٩ - ١٢١٦م).

وواقع الحال أن العمل الأول قد أخذ من كتابات السابقين، أما العمل الثانى فهو من ملاحظاته الشخصية، وشاهد عيان لبعض الأحداث. كما أشار هو إلى ذلك. ولذلك اعتبرت هذه الحولية من أهم الأعمال التاريخية، حتى أن الملك الإنجليزى إدوارد الأول Edward I (١٢٧٢ - ١٣٠٧م) أمر بوضع نسخ من هذه الحولية فى مكتبات إنجلترا.

ومن المزايا التى تقدمها الحولية أنها تتعامل مع الخطابات الصادرة من البابا إلى بعض الملوك أو إلى كبار رجال الدين، فنجده يأتى بنص الخطابات والرد عليها دون أن يتدخل أو يوجز، وهنا يعتمد الباحث على وثائق وليس على ما كتبه المؤرخ. والحقيقة أن ما سجله روجر أف هوفدن بهذه الصور يعتبر مدرسة ممتازة فى كتابة التاريخ، ثم نرى من أتى بعده من المؤرخين الإنجليز يتبعون الطريقة نفسها، وهذه ميزة الكتاب الإنجليز منذ هذه المرحلة فى تاريخ العصور الوسطى.

والحولية مؤرخة على طريقة السنين، وأحياناً يشير المؤرخ إلى اليوم عن طريق ذكر الأعياد المسيحية، وأحياناً أخرى يشير ويقول وفى اليوم التالى ثم وفى اليوم الذى يليه وهكذا ... ويستطيع القارئ أن يحس أنه أمام يوميات تسجل أولاً بأول، مما يعطى مصداقية كبيرة للمادة التاريخية التى وردت فى الحولية التى وصلت إلى ألف واحدى وعشرين صفحة فى جزئين بعد طبعها فى لندن عام ١٨٥٣م.

- جوسلين أف بريكلوند:

هو جوسلين أف بريكلوند Jocelin of Brakelond وكتابه هو حولية دير القديس إدموند Chronicle of The Abbey of st. Edmund's (١١٧٣ - ١٢٠٢م)، وكان أحد رهبان هذا الدير، والمعروف أنه دخل الدير فى عام ١١٧٣م، وبذلك يحتمل أن يكون تاريخ ميلاده بعد عام ١١٥٦م، كما أن تاريخ وفاته غير معروف أيضاً، ولكن يمكن القول أنه كان بعد عام ١٢١٢م. ويرجح أنه من مواطنى بورى سانت ادموند Bury st. Edmund، وأن لقبه وهو بريكلوند يشير إلى إسم أحد شوارع هذه المدينة، وهو ما كان شائعاً فى اضفاء كنية إلى إسم الرهبان. ولا نعرف عنه الكثير سوى أنه كان رجلاً متمسكاً بدينه، وأنه كان صادقاً فى قوله، مجداً فى عمله، وكان رجلاً صبوراً مسالماً محبوباً، باش الوجه، كما أنه كان رجلاً مثقفاً متعمقاً فى الكتاب المقدس، كما أنه كان شاهد عيان للأحداث وشارك فيها وأنه ذكر فى حوليته أنه كتب ما رآه وما سمعه. ولم يكن جوسلين راهباً عاديا، بل إنه لعب دوراً كبيراً داخل الدير وأنه شغل منصب سكرتير رئيس الدير ومديراً لمنزل الضيافة، وأن ذلك جعله متصلاً إتصالاً وثيقاً لمدة ست سنوات بالأحداث.

وأول طبعة للحولية كانت عام ١٨٤٣م ومرة أخرى عام ١٨٤٩م مع ترجمة إنجليزية. والحولية لا تؤرخ للأحداث العامة داخل إنجلترا، ولكنها تؤرخ للأحداث الخاصة بالدير مع الإشارة إلى الملك الإنجليزى فى بعض الأحيان. وقد بدأت الحولية وهى تؤرخ بالسنين بالحديث عن رئاسة هيو Hugh لكنيسة القديس إدموند، وعن خلو المنصب لبعض الوقت بعد وفاة هيو عام ١١٨٠م، وكيف تم اختيار ثلاثة عشر راهباً وذهابهم إلى الملك هنرى الثانى لاختيار أحدهم رئيساً للدير وكيف تم اختيار سامسون Samson رئيساً للدير فى عام ١١٨٢م وكيف كان رئيس الدير يطوف البلاد، وكيف كانت رغبة سامسون فى حمل الصليب والذهاب مع الملك ريتشارد برفقة قوات الحملة الصليبية الثالثة،

ورحلة رئيس الدير إلى روما لمقابلة البابا، وكيف كان رئيس الدير يشجع الفرسان للانضمام إلى القوات الصليبية برفقة الملك ريتشارد.

وإذا كانت الحولية تؤرخ للدير، وتسجل احداثه أول بأول وجانباً كبير من التفاصيل حتى أنها تؤرخ لمدة تسعة وعشرين عاماً في ثمانين صفحة من الحجم الكبير (كوارتو)، فقد تضمنت إلى جانب التاريخ للدير، الصراعات الداخلية في الدير وتدخل الملك لاختيار رئيساً للدير ورعاية رئيس الدير للمنطقة التي يعيش فيها وتفقد أحوالها وكيف لعب هذا الدير جانباً كبيراً في الدعوة والتبشير والتجنيد لانضمام الفرسان إلى قوات الحملة الصليبية الثالثة.

- روجر أف وندوفر:

هو روجر أف وندوفر Roger of Wondover صاحب كتاب زبدة التاريخ أو زهور التاريخ Flower of History، وكان هذا الكتاب ينسب سابقاً إلى المؤرخ الأنجليزي متى الباريسي Matthew Paris.

وروجر أف وندوفر هو راهب بندكتي لا يُعرف تاريخ مولده، ولكن وفاته كانت في عام ١٢٣٦ أو ١٢٣٧. وهو أحد الروخين العظام الذين عاشوا في دير القديس البان Albons Abbey، ويبدو من إسمه أنه أحد مواطني مدينة وندوفر التي تقع في بوشنجهامشير Buchinghamshire، ومن الواضح أنه كان راهباً متميزاً بين زملائه لذلك عُيِّن مقدماً لصومعة بلفوار Belvoir الملحقة بالدير، ولكنه عزل من هذا المنصب وعاد مرة أخرى إلى دير القديس البان، حيث كتب حوليته. وتمتد الحولية منذ بداية الخليقة حتى عام ١٢٣٥م، وتنقسم الحولية إلى ثلاث أقسام:

ويضم القسم الأول الأحداث التي وقعت قبل عام ٤٤٧م وحتى وصول العناصر الإنجليزية . والمادة التاريخية الخاصة بهذه المرحلة مجمعة من المصادر الرومانية واليونانية ومن حولية المؤرخ جوفري أوف مونمارث. ومن الواضح أن روجر كان أميناً في نقله من هذه المصادر، ولم يضف إليها.

أما القسم الثاني الذي يمتد من ٤٤٧ حتى ١٢٠٠م، فهو مأخوذ من حوليات الأديرة، ولهذا القسم أهمية خاصة لا لأنه مأخوذ من مصادر أصلية، أو أن الذين كتبوه كانوا معاصرين للأحداث التي أرخوا لها، ولكن لأن المؤرخ جمع بعض المادة التاريخية من مصادر تاريخية فقد بعضها، ومن المصادر التي رجع إليها المؤرخ روجر، سيجيبرت أف جمبلورز Sigebert of Gemblours، وهرمانوس القصير، وماريانوس سكوتي Marienus Scotuy ومن بعض المؤرخين البيزنطيين مثل ثيوفانس Theophanes وسدرينوس Cedrenus، ومن مؤرخين إنجلترا مثل المؤرخ بيد، ووليم أف مالمسبوري ومن المؤرخ فلورنس أف ورستر Florence of Worester. ومن هنري أف هانتنجدن Henry of Huntingdon، وهؤلاء جميعاً قد أسهموا في المادة التاريخية لحولية زهور التاريخ.

أما فيما يتعلق بالمادة التاريخية التي دونها بنفسه بصفته معاصراً لأحداثها، وهي تعادل حوالي خمسين عاماً، فهي الفترة السابقة لعام ١٢٣٥م؛ وفي هذه المرحلة ارتفع إلى مستوى المؤرخين العظام. وهناك ما يلفت النظر في حولية روجر أف وندوفر ويجب ذكره في هذا المكان. لقد كان معروفاً أن يقوم بعض الرهبان داخل الدير بنسخ الحوليات التي تصل إليهم، كما كان لكل دير الحوليات الخاصة به، وكان هناك بعض الرهبان المتخصصين لتسجيل الأحداث الخاصة بالدير. وأنه إذا ما تم نسخ حولية ما ليستخدمها رهبان الدير أو لإرسالها إلى أي مكان آخر فانه كان من الواضح أن تكون الحولية قد وصلت إلى الزمن الذي عاشه المؤرخ، وبعد إتمام عملية النسخ تطرح جانباً. وأن الكاتب الجديد أو المؤرخ الجديد كان لا يتعجل في نسخ أو اختصار هذه الحولية. وفي بعض الأحوال كانت تختفي بعض الأصول التاريخية، وقد حدث ذلك مع حولية روجر أف وندوفر فقد أختفت حوليته بعد أن نقل منها المؤرخ متى الباريسي Matthew Paris، وهو المؤرخ الذي عاش في الدير نفسه الذي عاش فيه المؤرخ روجر أف وندوفر وهو دير القديس البان، ولذلك نسبت أعمال

روجر أف وندوفر إلى متى الباريسى لفترة من الزمن حتى تم تصحيح هذا الوضع.

لقد نشرت حولية روجر أف وندوفر فى جزئين بمدينة لندن عام ١٨٤٩م بعد ترجمتها من اللاتينية إلى الإنجليزية بأمانة ج. أ. جيلز J.A.Giles ويضم الجزء الأول الأحداث من ٤٤٧ - ١١٦٩م، أما الجزء الثانى فيبدأ من عام ١١٧٠ حتى عام ١٢٣٥م. ومجمل الحولية يقع فى ألف ومائة وتسع وسبعين صفحة. والحولية مؤرخة على طريقة السنين، وفى كل سنة توجد عناوين لكل موضوع. ونلاحظ أيضاً أن هناك بعض الخطابات الموجودة داخل الحولية مرسلة من بعض المسئولين إلى مسئولين آخرين أو من بعض الرهبان إلى أديرتهم وبعضها يمكن تسجيل التاريخ الخاص به. من واقع ما سجل فى الخطابات مثل On the Monday befor the Nativity - فى عام ١٢٢٢م وبالرجوع إلى قواميس الأعياد المسيحية تبين أن هذا اليوم هو الثامن من أغسطس عام ١٢٢٢م.

كما يلاحظ أن بعض الصفحات بها تعليق على النص، ويذكر أن المؤرخ متى الباريسى قد أضاف إلى هذه المعلومات معلومات أخرى وردت فى حواشى الحولية. كما يلاحظ أيضاً أن المؤرخ كان يسجل الأحداث فى حينها، فقد يذكر بعض الأحداث ويبدأ بذكر أنه فى شهر فبراير من العام نفسه، أو فى التاسع من يوليو، أو يقول فى موضع آخر وفى اليوم التالى، وكل هذه أمور تساعد الباحث كثيراً فى تحديد تواريخ الأحداث.

- متى الباريسى :

ولد متى الباريسى Matthew Paris حوالى عام ١٢٠٠م ويرى البعض أنه توفى فى عام ١٢٥٩ أو عام ١٢٧٣م، وهو راهب بندكتى ومؤرخ إنجليزى، وتعرف حوليته باسم درة الحوليات. ورغم أنه انجليزى مشهور فإن إضافة كلمة باريس إلى إسمه تدعو إلى التساؤل، ويرى البعض أن ذلك يرجع إلى أنه تلقى

تعليمه فى شبابه المبكر بمدينة باريس أو أنه ولد بها، أو لإتقانه اللغة الفرنسية. ومن كتاباته نعرف أنه أصبح راهباً فى دير القديس ألبان فى عام ١٢١٧م، وهو الدير الذى قضى فيه بقية حياته، ويتبين أيضاً أنه زار مدينة لندن التى تقع إلى الجنوب من الدير بحوالى عشرين كيلومتر، وقد تكررت هذه الزيارة وزار فيها البلاط الملكى. كما أنه زار النرويج فى عام ١٢٤٨م حاملاً رسالة من الملك لويس التاسع ملك فرنسا إلى الملك النرويجى هاآكون الرابع Haakon IV (١٢١٧ - ١٢٦٣م) وكانت هذه الرسالة تتعلق بدعوة ملك النرويج للإنضمام إلى الحملة الصليبية السابعة التى قادها لويس التاسع لغزو مصر. ويتبين من كتاب متى الباريسى أنه أصبح صديقاً لملك النرويج، وقد أفرد متى الباريسى حوالى صفحتين وتصف لهذه الزيارة وذكره لدير القديس بنت هولم st. Benet Holm فى النرويج حيث بقى حوالى عام. كما كان متى الباريسى صديقاً حميماً للملك الإنجليزى هنرى الثالث ولأخيه ريتشارد إيرل كورنورول Richard Earl of Cornwall، وكان لذلك كله أثره الكبير على معرفة المؤرخ بالأحداث وتفاصيلها، وسيظل هذا المؤرخ متفرداً بين مؤرخى العصور الوسطى. يضاف إلى ذلك أنه مصوراً ورساماً للخرائط رهذا ما دونه بنفسه على هامش كتاباته.

ويمكن تقسيم أعمال متى الباريسى إلى ثلاثة أقسام:

يعرف القسم الأول بإسم التاريخ الكبير Historia Majar أو Chronica Majora. ويمتد منذ ميلاد السيد المسيح حتى عام ١٢٧٣م على حد قول جيلس Giles. مترجم الكتاب المنشور تحت اسم English History من (١٢٣٥ - ١٢٧٣) وطبع فى لندن عام ١٨٥٢. وفى هذا الكتاب يعتمد المؤرخ على ما كتبه المؤرخ روجر أف وندوفر حتى عام ١٢٣٥م وقد أشار متى الباريسى إلى ذلك مع أضافات عديدة من عنده.

والعمل الثاني يتعلق بملكين بدعيا أرفا ملكي مرسيا، وأعمال ثلاثة وعشرين من رؤساء دير القديس البان وبعض الأعمال الأخرى.

والعمل الثالث الذي قدمه المؤرخ يعرف باسم التاريخ الصغير Historia Minor وهو يضم الأحداث من ١٠٦٧ حتى ١٢٥٣م، وهذا العمل الأخير لازال محفوظاً على ما قيل. أما الأول والثاني فقد تم طبعهما في عام ١٦٤٠ ثم أعيد طبعهما مرة أخرى في عام ١٦٨٤م، وأن الطبعة التي أشرت إليها في بدايات الحديث عن متى الباريسي وهي ترجمة جيلس، فقد اعتمد على طبعة ١٦٤٠م. وسيظل تاريخ وفاة متى الباريسي موضع سؤال حتى تتجلى الحقيقة.

ويمكن القول أن متى الباريسي كان مؤرخاً قومياً دافع عن العهد الأعظم الذي وقعه الملك الانجليزي يوحنا في الخامس عشر من يونيه عام ١٢١٥م، وفيه تقلصت سلطات الملك الانجليزي ومنح بعضها للنبلاء. وبصفة عامة فقد كان متى الباريسي ضد تركيز السلطة في يد الملوك أو الباباوات، وهو يعارض أيضاً تدخل الملوك أو النبلاء في شئون الكنيسة خاصة ما يتعلق بانتخاب الأساقفة، كما يعرف عنه أنه كان كارهاً للأجانب. ويروى متى الباريسي أن الملك هنرى الثاني علم أن مؤرخاً يكتب عن تاريخ الدولة، وأنه يريد أن يجعله مطابقاً للواقع بقدر الإمكان، وفي عام ١٢٥٧م زار الملك دير القديس البان حيث يعيش المؤرخ ويكتب حوليته، وقد دامت الزيارة لمدة أسبوع. وقد أبقى الملك الحولية إلى جانبه ليلاً ونهاراً كما أنه كان يراقب المؤرخ رقابة شديدة وهو يسجل الأحداث وعما إذا كان المؤرخ يسجل أحداثاً سياسية لا يرضى عنها الملك وهنا أدرك مؤرخنا أن هناك خطراً يحيق به. وإن دلت هذه الرواية على شئ فإنها تدل على أن متى الباريسي لم يكن مؤرخاً للبلاط الملكي.

- ماثيو أف وستمنستر:

هو متى أو ماثيو أف وستمنستر Matthew of Westminster، وقد ظل مجهولاً باعتباره مؤلف كتاب زهور التاريخ أو زبدة التاريخ Flores Historiaium، Flowers of History، ولم يتم اكتشاف الحقيقة إلا في عام ١٨٢٦م عندما كتب عنه بالجراف Palgrave الذي قال أن: ماثيو كان شيئاً غير موجود، ولكن هذه المعلومة قد أكدها آخرون بعده وأن إسم ماثيو من إسم ماثيو الباريسي، عندما تعامل في نسخ كتاب الأخير. وأن إسم وستمنستر مأخوذ من إسم الدير الذي كتب فيه حوليته.

كان هذا المؤرخ راهباً بدكتيا ظهر إسمه في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، وتاريخ ميلاده غير معلوم لدينا، لقد كتب حولية منذ بداية الخليقة حتى نهاية حكم الملك الإنجليزي إدوارد الأول Edward I ١٢٧٢-١٣٠٧م. ولقد سجل المؤرخ في بداية حوليته أنه يريد أن يكتب تاريخ العالم كله، ولكن يلاحظ أنه بعد حكم نهاية السبع ممالك الإنجليزية وتعرف باسم Heptarchy وبداية حكم الفريد العظيم، فإنه قليلاً ما يشير إلى دولة أخرى غير إنجلترا.

لقد بدأ عمله بخروج آدم من الجنة، ثم بدأ يقدم موجزاً عن روما مع إشارة بسيطة إلى اليونانيين، ثم قدم أعمالاً لا تصدق ثم بدأ بعد ذلك يقدم اعمالاً لها قيمتها التاريخية، فقد كان شديد الملاحظة ويروى الاحداث في سهولة وبساطة، وعندما كان يكتب عن الأحداث التي عاصرته فإنه كان شديد العناية بها ويقدم لنا الحقائق؛ ومن ذلك فإن ما قدمه عن الملك الإنجليزي يوحنا وخليفته وابنه هنرى الثالث جا، مضبوطاً وكتب بإخلاص.

ويقال - وأنا أميل إلى ذلك - أنه سار على نهج سلفه المؤرخ متى الباريسي وروجر أف رندوفر حتى انتهى من حوليته، وفيما يتعلق بالمرحلة السابقة لنهاية حوليته وهي حوالي اثنين وسبعين عاماً فإنه اعتمد على مصادره الخاصة. والمهم هنا أن ماثيو أف وستمنستر يعتبر من أعظم المؤرخين في عصره الذي عالج أحداثه، وله سمعة طيبة عند المؤرخين المحدثين.

والحولية تقع في جزئين ترجمها يونج Yonge وصدرت في لندن عام ١٨٥٣م، والكتاب كله ١٨٥٣م وله طبعات أخرى، ولكنني أشير إلى طبعة ١٨٥٣م، والكتاب كله مؤرخ على طريقة السنوات، ويقع الجزء الأول في خمسمائة وست وستين صفحة تبدأ من عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد حتى عام ١٠٦٦م أي بداية الغزو النورماني لانجلترا، وهو يحتوي على مقدمة المؤلف نفسه وإحدى وعشرين فصلاً بين إختصار واسهاب، وكلما تقدمنا في الجزء نلاحظ إسهاباً في ذكر الأحداث. أما الجزء الثاني فيبدأ حيث انتهى الأول (١٠٦٦م) حتى عام ١٣٠٧م. ويضم سبعة وعشرين فصلاً.

ورغم أن مؤرخنا عاصر إنهيار الإمارات الصليبية في بلاد الشام إلا أنه لم يقدم لنا في احداث عام ١٢٩٠ إلا بعض سطور عن مدينة طرابلس، وبعض سطور أخرى عن قيام سلطان بابليون بقصد مصر بالاستيلاء على عكا. وفي الجزء الأخير من الكتاب تناول المؤرخ الصراع والحروب والعلاقات مع رجال الدين والبابابوية وفرنسا وجنوب ايطاليا وويلز واسكتلندا والفلاندرز، وجانباً عن البرلمان النموذجي الذي عقده الملك الانجليزي إدوارد الأول.

- توماس والسنجهام :

توماس والسنجهام Thomas Walsingham هو مؤرخ انجليزي وراهب بندكتي وتاريخ ميلاده ليس معروفاً لدينا، ولكن وفاته كانت في عام ١٤٢٢م. ويرى الكثير أنه من مواطني مدينة والسنجهام الواقعة في الشرق من إنجلترا، وقد تلقى تعليمه في دير القديس البان ثم أصبح راهباً ثم ناسخاً به، ولا يعرف عنه الكثير غير أنه مؤرخ وانه أصبح في عام ١٣٩٤م رئيس دير وايموندهام Wymondham حتى عام ١٤٠٩م ثم عاد إلى دير القديس البان - وينسب إلى توماس مجموعة من الحوليات هي:

١- الحولية الكبيرة Chronica Majora وقد فقدت هذه الحولية ولكن ما كتبت في الحوليات الانجليزية يشير إلى هذه الحولية.

٢- الحولية الانجليزية Chronica Angliae وهي تتناول المدة الزمنية من ١٣٢٨ حتى عام ١٣٨٨م. وقد ورد في هذه الحولية معلومات عن أحداث وتصرفات تخص يوحنا أف جونت John of Gaunt والد الملك الانجليزي هنري الرابع (١٣٩٩ - ١٤١٣م) ولكنها تحتوي على بعض الاخطاء.

٣- أعمال آباء دير القديس البان، وقد تم تجميع هذا المؤلف الخاص بالدير من عام ١٣٩٠ حتى ١٣٩٤. ويلاحظ أن الجزء الأول من هذا الكتاب مأخوذ من كتاب متى الباريسي.

٤- حولية القديس البان، وقد كتب هذا الكتاب حوالي عام ١٣٩٣م والمخطوط الأصلي لهذا المؤلف موجود بالمتحف البريطاني، وتؤرخ هذه الحولية للفترة من ١٢٧٢ حتى ١٣٩٣م، وتستمد هذه الحولية بعض معلوماتها من كتاب متى أف وستمنستر وآخرين، ولكن هذا الكتاب يتفق مع الحولية الإنجليزية في الأحداث حتى عام ١٣٦٩م، ويلاحظ أنه بعد هذا التاريخ فإنه يختلف إلى حد كبير عما سبق خاصة فيما يتعلق بالهجوم على يوحنا جونت، ويرجع ذلك أنه بعد تولية الملك هنري الرابع فإن الرهبان قد خبأوا الحوليات التي تتحامل على والد الملك وخافوا من ملاحقة الملك لهم.

٥- الحولية الإنجليزية وتسمى أيضاً الحولية المختصرة، وهي تتناول الفترة من ١٢٧٢ حتى عام ١٤٢٢م

ويمكن القول أن مؤرخنا هذا كان جماعاً للمادة التاريخية ممن سبقوه أكثر من كونه مؤرخاً، ومما قيل في حق هذا المؤرخ فإنه يعتبر مؤرخاً للملك الإنجليزي ريتشارد الثاني وهنري الرابع وهنري الخامس أي الفترة من ١٣٧٧ - ١٤٢٢م وما نعرفه عن يوحنا ويكلف John Wycliffe (١٣٣٠ - ١٣٨٤). وما نعرفه عن البرلمان النموذجي الذي عقد في عهد الملك الإنجليزي ادوارد الأول (١٣٢٧ - ١٣٧٧م) وبالتحديد في عام ١٣٧٦م في مدينة لندن، وقد اجتمع فيه الأساقفة والبارونات والعامة، وفيه العديد من المناقشات اعتماداً على ما صدر في العهد الأعظم عام ١٢١٥م وما منحه الملك من سلطات للعامة لإدارة الشئون الانجليزية.

٣- المصادر الفرنسية

- فرودورد أو فلودور
- حولية كونتات أنجو
- سوجر أف سانت دنيس
- أرنالد اسقف ليمان

- فرودورد أو فلودورد:

هو المؤرخ الفرنسي Flodoard أو Frodoard، ولد في مدينة إبرناي Epernay عام ٨٩٤م وتوفي في عام ٩٦٦م. وقد تلقى تعليمه في مدينة ريمز Reims وأصبح رجل دين في كاتدرائية المدينة ثم تولى أمانة أرشيف الاسقفية، ولقد زار البابوية في روما خلال فترة تولي البابا ليو السابع Leo VII سدة البابوية (٩٣٦ - ٩٣٩م) ونال عطفاً كثيراً من البابا.

لقد كتب فرودورد فيما بعد شعراً باللاتينية سداسي التفعيلة يمدح به أعمال السيد المسيح والقديسين الأوائل الذين عاشوا في فلسطين وأنطاكية، ثم أضاف في رواية شعرية تاريخ البابوات، وأن هذه الكتابات تقترب من الأساطير أكثر من الأعمال التاريخية ثم أهدى هذا الكتاب إلى روتبرت Rotbert رئيس أساقفة مدينة ترتير Trier التي تقع على نهر الموزل. وعندما طُرد آرنولد Arnold رئيس أساقفة ريمز من منصبه خلال الصراع مع الرجل القوي هريبرت Heribert كونت فرماندبوس Fermandois ظل فرودورد على ولائه لرئيس الاساقفة. وبعد أن إستعاد رئيس الاساقفة منصبه أصبح مؤرخاً من ثقاته ومستشاريه، وفي عام ٩٥٢م اعتزل في أحد الأديرة لعله دير باسول Basol وأصبح رئيساً لهذا الدير وظل في هذا المنصب حتى بلغ السبعين من عمره.

وبناء على طلب من رئيس الاساقفة روتبرت تعهد فرودورد بكتابة تاريخ كنيسة ريمز Historia Remensis Ecclesiae، وقد إستعان في كتابه هذا بأرشيف الأسقفية بالإضافة إلى ما كتبه الأسقف هنكمار صاحب الأعمال القيمة والمتكاملة والموثوق بها. وللمؤرخ عمل عظيم آخر هو الحوليات Annales الذي يؤرخ للفترة من ٩١٩ - ٩٦٦م، وقد قدم العمل الأخير في لغة سهلة. وتعتبر هذه الحولية من أهم حوليات تاريخ فرنسا واللورين وشرق فرانكونيا وقد شغل هذا العمل كل وقته حتي وفاته. وقد أضيفت إلي هذه الحولية بعض المادة التاريخية وغطت الأحداث الخاصة بالفترة من ٩٧٦ -

٩٧٨م. وقد طبع كتاب تاريخ كنيسة ريمز لأول مرة عام ١٦١١م فى باريس، أما ترجمة أعمال مؤرخنا الكاملة فقد إهتمت بها أكاديمية ريمز وطبعتها مع ترجمة فرنسية فى المدينة ذاتها فى عام ١٨٥٤، وهناك طبعة أخرى فى Latin Patrology فى الجزء الخامس والثمانين وتقع فى حوالى ثمانمائة وستة وستين صفحة.

- حولية كونتات أنجو:

إن حولية كونتات أنجو Chronicle of the Counts of Anjou على ما يبدو هى حصر للأحداث التاريخية التى وقعت بين عامى ١١٠٠ - ١١٤٠م، قام بها أحد رهبان مدينة انجو، وهى من المقاطعات الفرنسية الغربية التى يخترقها نهر اللوار Loire الذى يصب فى خليج بسكاى Biscay بالقرب من مدينة مانت Mantes، وهى تؤرخ للأحداث التاريخية الخاصة بقيام كونتات أنجو حتى قبيل منتصف القرن الحادى عشر، والجزء الأخير من هذه الحولية ينتهى بموت فولك نرا أف أنجو Fulk Nerra of Anjou عام ١١٤٠م. وفى بداية الحولية تحدث كاتبها عن الملك الكارولنجى لويس الأصلع Louis the Bald (٨٤٠ - ٨٧٧م)، وظهور ترتولوس Tertullus مؤسس آل أنجو وتقربه إلى الملك كمحارب يدافع ضد الغزوات النورمانية على الدولة وكيف منحه الملك حكم مدينة أورليان ثم أصبح الممثل الملكى فى مدينة تور. كما قدمت الحولية جانباً من الأمير فولك الأحمر Fulk the Red (٨٧٠ - ٩٣٨م)، وعلاقته مع هيو Huge دوق برجانديا الذى أصبح وصياً على لويس الثانى (٨٧٧ - ٨٧٩م) ابن لويس الاصلع، وكيف خلف فولك الطيب أباه فى المقاطعة وما دار من أحداث خلال عهده. ثم تحدثت الحولية عن ابنه جولفرى جريمانتل Georfery Greymantle وأخوته، واستدعائه لبلاط الملك، وغزوات الفايكنج على فرنسا. كما كتبت الحولية عن موريس Mourice والمؤمرات التى كانت تحاك ضد مقاطعة أنجو، وكذلك على فولك نرا وكيف دافع عن بلاده ضد الاعداء، وأن فولك هذا ذهب إلى روما للحج ثم إلى بيت المقدس وإلى

القسطنطينية حتى تقابل مع روبرت دوق نورماندى إثناء اشتراكه فى الحملة الصليبية الأولى، وكان فولك يحمل خطاباً باباوياً سلمه للامبراطور الكسيوس كومنين توجه بعدها فولك ومعه روبرت عبر آسيا الصغرى إلى انطاكية ثم إلى بيت المقدس.

وتحدثت الحولية عن عودة فولك إلى بلاده، وسجلت دوره فى الدفاع عن أراضيه ضد أدو كونت شامبانى Odo Count Champayne وبعض الأحداث الأخرى التى وقعت فى عام ١٠٣٧م. ثم تحدثت عن السلام الذى ساد بلاده حتى وفاته عام ١٠٤٠م. ولهذه الحولية أهمية خاصة حيث أنها تؤرخ لعائلة فولك التى حكمت إقليم أنجو. والمعروف أن هذا الإقليم هو أقليم فرنسى ولكنه إنضم إلى انجلترا بالمصاهرة عندما تزوج جوفرى كونت أنجو من الأميرة ماتيلدا Matilda ابنة هنرى الأول ملك انجلترا (١١٠٠ - ١١٣٥م) وحفيدة وليم الفاتح، وعندما توفى جوفرى آلت الدوقية إلى زوجته ماتيلدا وابنها هنرى المعروف باسم هنرى الثانى ملك انجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩م).

- سوجو أف سانت دنيس:

ولد سوجر أف سانت دنيس Suger of st. Denis بالقرب من دير القديس دنيس حوالى عام ١٠٨١م، ومات فى عام ١١٥١م. ويعرف بأنه كان رئيس دير سانت دنيس ورجل دولة ومؤرخ. وما نعرفه عن بدايات حياته أنه فى عام ١٠٩١م كان يدرس فى دير سانت دنيس وأصبح زميل دراسة للملك لويس السادس (١١٠٨ - ١١٣٧م) ويعرف أيضاً باسم لويس السمين The Fate. ثم التحق بمدرسة دير آخر لعله دير القديس سانت بنوا Benoit بالقرب من أوليان Orléans ثم أصبح سكرتير لآدم رئيس دير سانت دنيس فى عام ١١٠٦، ثم عين رئيساً لدير برنفال Berneval فى مقاطعة نورماندى حوالى عام ١١٠٧م ثم فى دير توروى Toury عام ١١٠٩م. كما أرسله الملك لويس فى مهمات داخل فرنسا فى عام ١١١٨م، ثم سفيراً إلى البابا كالستوس الثانى

Callistus II (١١١٩ - ١١٢٤م) فى (١١٢١ - ١١٢٢م). وأثناء إقامته فى روما انتخب رئيساً لدير سانت دنيس. كما حضر مجلس الاتيران الكنسى الأول فى ١١٢٣م، وربما حمل لقب كاردينال. وكان سوجر يقضى معظم وقته فى بلاط الملك لويس السادس حتى عام ١١٢٧م وأصبح مستشاراً للملك وخليفته لويس السابع، وأصبح وصياً على المملكة الفرنسية أثناء غياب لويس السابع (١١٤٧ - ١١٤٩م) فى حملته الصليبية المعروفة بالثانية. وكان سوجر يعارض خروج الملك لويس لقيادة القوات الفرنسية فى الحملة الثانية خوفاً من تمرد بعض النبلاء داخل المملكة. وقاد سوجر المملكة أثناء غياب الملك لويس السابع بكل كفاءة، وبعد عودة الملك منح سوجر لقب والد الأمة الفرنسية.

ولما كانت الحملة الصليبية الثانية قد فشلت تماماً فان سوجر قد أعد قوات صليبية أخرى لقيادتها إلى بلاد الشام لتعويض الفشل، ولكنه مات فى عام ١١٥١م عندما أصبح على وشك الرحيل. لقد لعب سوجر دوراً كبيراً فى تقوية الملكية المركزية الفرنسية، ونجح فى جوانب أخرى فى الدولة وعمل على ازدهار الزراعة والتجارة وتنظيم أمور القضاء. كما أكمل الدير الجديد فى كنيسة سانت دنيس. أما فيما يتعلق بأعماله كمؤرخ فقد كتب كتاباً عن لويس السادس وبعض أعمال لويس السابع، بالإضافة إلى بعض الوثائق والخطابات الرسمية ويعتبر ما كتبه سوجر عن الملك لويس السادس هو العمل المتكامل عن الملك، ويقع ما كتبه سوجر فى هذا الصدد فى أربعة وثلاثون فصلاً. وقد بدأ الفصل الأول بالحديث عن فترة شباب الملك وشجاعته وكيف أنه صد هجوم الانجليزى وليم روفس William Rufus أو وليم الثانى (١٠٨٧ - ١١٠٠م) عندما هاجم الأراضى الفرنسية، والوقوف فى وجه بعض النبلاء عندما هاجموا منطقة سانت دنيس وبعض القلاع فى أماكن متفرقة من البلاد. كما تكلم عن بوهمند الصليبى أمير أنطاكية، وزيارة البابا باسكال الثانى Paschal II (١٠٩٩ - ١١١٨م) للتفاوض مع الملك لويس السادس. وكتب المؤرخ سوجر عن موت الملك الفرنسى فيليب الأول (١٠٦٠ - ١١٠٨م)، وتوليه ابنه لويس

السابع عرش فرنسا. كما ذكر اللقاء الذى تم بين الملك الفرنسى والملك الانجليزى هنرى الأول ١١٠٠ - ١١٣٥م. كما كتب كثيراً عن الصراع بين الملك لويس السادس والنبلاء وأفرد لذلك صفحات كثيرة. كما تكلم عن البابا غير الشرعى بوردنيوس Burdinus خلال فترة البابا جلاسيوس الثانى Gelasius II (١١١٨ - ١١١٩م)، وعن المؤتمر الكنسى عقد فى مدينة ريمز Remis الذى عقد فى عام ١١١٩م، وكيف قاوم الملك لويس السادس هجمات الإمبراطور هنرى الثالث (١١٠٥ - ١١٢٥م) للأراضى الفرنسية، وكيف استضاف الملك لويس السادس البابا إنوسنت الثانى (١١٣٠ - ١١٤٣م) عندما لجأ إليه هارباً من روما. وفى أواخر الكتاب تكلم عن شجاعة الملك ومقاومته للمرض الذى أصابه بالسمنة، وأخيراً مماته بعد أن حكم ثلاثين عاماً وعمر يناهز الستين عاماً من عمره.

ويغلب على الحولية مساندة المؤرخ للملك فى حروبه ضد الإقطاع وفى مقاومة الغزو الإنجليزى والألمانى، ولا يعتبر ذلك عيباً فى تلك الأونة، فى الوقت الذى كان يعمل الملك الفرنسى على تقوية السلطة المركزية ضد الاقطاع، وعلى مقاومته أيضاً لسيطرة إنجلترا على جانب كبير من الأراضى الفرنسية.

- أرنالد أسقف ليمان:

تقع أعمال أرنالد اسقف ليمان The Deeds of Bishop Arnald of Lemans ضمن مجموعة تعرف باسم أعمال الأساقفة الذين عاشوا فى مدينة ليمان Acts of Bishops living in the City of Lemans، وهى مجموعة أعمال تبدأ منذ إنشاء أسقفية المدينة فى عهد الاسقف جوليان حتى بدايات القرن الثالث عشر الميلادى، وقد أضيف الجزء الأول فى عام ١٠٥٠م والثانى فى عام ١٠٩٠م والثالث ١١٢٠ وهكذا، وقد كتبت أعمال أرنالد بعد عام ١١٩٠م بعد وقوع أحداثها، ومؤلفها غير معروف لدينا ولكنه دون شك هو أحد رجال الدين فى كاتدرائية مدينة ليمان.

لقد كان أرنالد أسقفاً لمدينة ليمان فى الفترة من ١٠٦٥ - ١٠٨١م وخلال هذه الفترة دار صراع طويل بين نورماندى وانجو وقد انفجر هذا الصراع بعد عام ١٠٦١م عندما توفى هبرت الثانى Herbert II دون وريث، وقد أدى ذلك إلى طمع وليم دوق نورماندى (وليم الفاتح فيما بعد) فى عام ١٠٦٣م حيث دخلت القوات النورماندية إلى ليمان وظلت طول خمسة وثلاثين عاماً. ثم بدأت أطماع فولك الرابع كونت انجو (١٠٦٨ - ١١٠٦م). وقد عاصر أرنالد جانباً من هذا الصراع، وموقف قومون المدينة منه.

وقد ورد بالحولية كيف تم اختيار أرنالد فى اسقفية المدينة ومساندة البابا إسكندر الثالث (١٠٦١ - ١٠٧٣م) له، وكيف تم بناء قوس كبير فى سرداب الكاتدرائية حيث يرقد جثمان جوليان المقدس، وكيف فتح وليم دوق نورماندى انجلترا ومقتل هارولد، وكيف ثار أهل مدينة مين Maine مع نبلاء المدينة ضد حكم وليم الفاتح، واستدعاء الماركيز أزو Azzo من إيطاليا لحكم المدينة وعودته إلى ايطاليا تاركاً زوجته وابنه تحت رعاية جوفرى أف ماين Mayenne الذى تولى أمر المدينة. وفى النهاية استلمت المدينة للملك الانجليزى وليم الفاتح بعد ما تعرض أرنالد لكثير من المتاعب.

الفصل الرابع

المصادر الصليبية

- مقدمة
- خطابات عن الحملة الصليبية الأولى
  - فوشيه أف شارتر
  - المؤرخ المجهول
  - ريموند دأجليز
  - رودلف أف كاين
  - أنا كومنينا
  - جيوبرت أف نوجنت
  - بالدريك أف دول
  - البرت أف أكس
  - وليم الصورى
  - خطابات الحملة الثانية
  - حوليه فرزيورج
  - أودو أف ديل
  - خطاب إيمرى أف ليموج وغيره
  - ذيل وليم الصورى
  - إرنول
  - هرقل
  - روتلان

* أمبرواز
* ريتشارد أف ديفيزس
* جوفرى أف فينزوف
* ريجورد
* خطاب عن الحملة الألمانية
* روبرت كلارى
* جوفرى دى فيلهاردوين
* خطاب من البابا انوسنت الثالث
* مصدر عن حملتى الصبيان
* أوليفر أف بادنبورن
* جاك دى فترى
* خطاب بطرس أن مرتاجو
* فيليب أف النهى
* تاريخ بطاركة القدس وغيره
* قرارات مجلس اللاتيران
* مآثر القبارصة
* مجموعة رسائل من الحملة السادسة
* خطاب وليم شانوتيف
* جوانفيل
* خطابات عن الحملة السابعة
* قرارات مجمع ليون الثانى ١٢٧٤م
* ليودولف أف سوكيم

بدأ الاهتمام بتاريخ ومصادر الحروب الصليبية يظهر فى فرنسا فى بدايات القرن السابع عشر الميلادى. وقد تولى هذا الأمر جماعة القديس مور St. Maur للرهبان البندكتين، نقد قام بونجرز Bongars بإعداد مجموعة من المصادر الصليبية تعرف باسم لاتين الشرق، وقد صدرت هذه المجموعة كالتالى:

Bongers. Gesta Dei per Frances. Hanover 1611. fol.

ثم قام بعده برترو Bertherau فى القرن الثامن عشر بإعداد مجموعة من المصادر الشرقية ولكن الثورة الفرنسية منعت نشرها. وفى القرن التاسع عشر قام معهد المخطوطات فى فرنسا بتبنى فكرة الطائفة البندكتية، وفى عام ١٨٤١م صدرت أول مجموعة عن مؤرخى الحروب الصليبية وهى منشورة على النحو التالى:

Recueil des Historiens des Cruisdes. Publ. Académie des inscriptions et Belles letters. Paris 1841 - 1906.

1- Lois, 2 vols. Paris 1841- 3, including The Assises of Jerusalem (R.H.C. Lois)
2- Documents Arméniens, 2 vols. 1869 - 1906. (R.H.C. Arm.)
3- Historiens Occidentaux, 5 vols. 1844- 95 (R.H.C. Occ.)
4- Historiens Grecs, 2 vols. 1875- 81. (R.H.C.G.)
5- Historiens Orientaux, 5 vols. 1872- 1906. (R.H.C.Or.)

ومع بدايات القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام مرة أخرى بالحروب الصليبية نصدرت عدة مجلدات مثل:

1- Michaud, J.F., Historie des Croisades, 5 vol. paris, 1817-22.
2- Wilken, F., Geschichte der Kreuzzüge, 7 vols, Leipzig, 1807-32.
3- Mils, History of The Crusades, 2 vols., London, 1820.

ويلاحظ أن هذه المجموعات تمثل فرنسا وألمانيا وانجلترا، ولكن فرنسا ظهرت مرة أخرى بصورة أكبر لتتزعم رعاية الحروب الصليبية ومؤرخيها وآثارها، فبين عامى ١٨٣٩ وعام ١٨٤٢ أقام الملك الفرنسى لويس فيليب Louis Philippe فى قصر فرساى قاعات الحروب الصليبية The Halls of The Crusades، وقد زينت هذه القاعات بكافة أنواع الأسلحة التى استعملت فى الحروب المقدسة أى الحروب الصليبية. ثم قام الكونت رابن Riant بتأسيس جمعية الشرق اللاتينى فى عام ١٨٧٥م، ومحفوظات الشرق اللاتينى التى طبعت فى عام ١٨٨١م (Archives de L'Orient Latin) فى جزئين فى مدينة باريس، ومنذ عام ١٨٩٣م صدرت دورية لها أهميتها هى (Revue de L'Orient Latin).

وبالإضافة إلي ذلك فقد ظهرت في كل بلاد أوربا مجموعات من الوثائق التاريخية مثل:

١- Monumenta Germaniae.

٢- Societe de L'Histoire de France.

٣- Rerum Britannicarum.

٤- Fontes Rerum Austriacarum.

ومن الكتب التي تناولت تجميع الوثائق الخاصة بالحروب الصليبية نجد منها:

١- Röhricht, R., Geschichte des Königreichs Jerusalem. Innsbruck, 1868.

٢- Delaville - Leroulx's, Cartulaire Général des Hospitalires de S. Jean de Jerusalem. 4 vols.,Paris, 1894- 1904.

وتعتبر مراسلات الباباوات من أهم المصادر لتاريخ الحروب الصليبية ومن أهم ما صدر عنها مجموعة أعمال الباباوات التى صدرت فى القرن التاسع عشر.

١- Migen, J.P. Patrologia Latina 221 Vols. Paris 1844- 55. (M.P.L.)

٢- Patrologia Graeco- Latina, 161 Vols. in 166. Paris, 1857- 66. (M.P.G.)

بالإضافة إلي مجموعات أخرى لعل أهمها الأرشيفات الإيطالية فى البندقية وجنوة ونابلى لما لها من أهمية خاصة فى تاريخ الحروب الصليبية.

وفى القرن العشرين أهتمت الدول الأوربية بدراسة تاريخ الحروب الصليبية فظهرت أقسام كثيرة فى جامعات أوربا تخصصت فى تاريخ الحروب الصليبية، كما ظهرت العديد من الجمعيات التى ضمت المئات من المتخصصين على مستوى العالم فى أوربا وأمريكا وأصدرت العديد من الدوريات التى تناولت دراسات متنوعة من تاريخ الحروب الصليبية السياسية والحضارية. كما ظهرت مجموعات فى النصف الثاني من القرن العشرين لعل أهمها:

١- Grousset, R. Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 Vols. Paris, 1934- 6.

٢- Runciman, S., A History of The Crusade, 3 Vols. Cambridge, 1951- 4.

٣- Setton (ed.), A History of The Crusades, 6 Vols. Madison and Others, 1964, 85.

٤- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية - مطبعة الأنجلو المصرية - ٢ جزء- القاهرة ١٩٦٣.

وإذا كان مؤرخو العصور الوسطى قد اهتموا بتاريخ بلادهم أكثر من بلاد غيرهم، لأنهم لا يذكرون تاريخ الآخرين إلا إذا كان هناك علاقات عسكرية أو تجارية أو كنسية، فإن الحروب الصليبية قد جمعت قدراً كبيراً من المؤرخين تناولوا أحداثها، فتعددت الكتابات من كل الأطياف والدول. كما أن الحروب الصليبية خاصة في المرحلة الأولى منها قد إتحدت فيها المصالح الكنسية والعلمانية. ومن هنا كتب رجال الدين والمؤرخون من كل الأمم الأوربية عن هذه الحروب، فتعددت الروايات واتفقت كثيراً واختلفت أكثر لأن كل منهما كان يكتب من وجهة نظره، فالنظرة المسيحية الكاثوليكية قد اختلفت مع بعضها البعض، كما أختلفت كلها أيضاً مع المسيحية الأرذوكسية في الامبراطورية البيزنطية وهكذا. وقد أدى هذا كله إلى وضع كم كبير من المصادر التاريخية عن الحروب الصليبية في الغرب الأوربي والإمبراطورية البيزنطية وبلاد الأرمن والسريان والدولة الروسية بالإضافة إلى الكتابات العربية.

ولعل ما يتصدر قائمة هذه المصادر قائمة من الخطابات التي أرسلت بصورة رسمية أو غير رسمية. والحقيقة أن هذه الخطابات تختلف عن الكتابات التاريخية لأن هذه الخطابات تمثل صورة واقعية إلى حد كبير عن ما ورد فيها من معلومات، بعكس الكتابات التاريخية التي دُون معظمها في مراحل لاحقة للأحداث. وواقع الحال أن هناك الكثير من الخطابات التي لا أستطيع أن أعددها في هذا الكتاب، لذلك فانني اكتفى بذكر بعضها لما لها من مواقف هامة في تاريخ الحروب الصليبية كلها.

ومن هذه الخطابات ما كتب قبل بدايات الحروب الصليبية، ولعل أهم هذه الخطابات ما يذكر عن أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين ١٠٨١ - ١١١٨م، وهو خطاب غريب آثار الجدل حتى الآن بين الكثير من المشتغلين بالحروب الصليبية، وقد أيد البعض ما ورد به واعتبره البعض الآخر خطاباً مزوراً أعلن عنه بقصد إثارة أوربا ضد المسلمين. وقد تعمدت تسجيل بعض ما ورد فيه ليتدرب الباحث بنفسه وأنا معه للكشف عن حقيقة هذا الخطاب،

وفيما يلي جانباً من ترجمة هذا الخطاب كما نشر باللغة الإنجليزية ثم نعلق عليه.

وإذا قمنا بدراسة هذا الخطاب نجد أن روبرت كونت فلاندز قد خدم كجندي مرتزق مع القوات البيزنطية في الشرق في عام ١٠٩٩م، وأن ما ورد في صدور الخطاب عبارة «أن امبراطور القسطنطينيين يطالب بالسلام باسم السيد المسيح»، وما رأينا قط في جميع مراسلات الأباطرة ذلك، فقد كان الأباطرة يسمون أنفسهم «أباطرة الرومان».

إن المطلع على المراسم التي كانت ترسل بها الخطاب يجد من العبارات الدبلوماسية والاختام ونوع الورق وسماكته الخ وهو ما لم يتوفر في هذا الخطاب.

أن ما ذكره الأمبراطور «بسوء معاملة المسلمين للمسيحيين» هو خطأ تاريخي وربما سجل في هذا الخطاب لإثارة النعرة الدينية ضد المسلمين، «وأن سقوط القسطنطينية في يد الفرنجة أفضل في سقوطها في يد الوثنيين» (أي المسلمين).

إن ما ذكره الإمبراطور «أن الله سوف يكافئكم إذا قدمتم مع قواتكم لمساعدتنا، وإذا لم يكن ذلك كافياً فهناك الكنوز والنساء الجميلات في الشرق وأيضاً النساء البيزنطيات الجميلات اللاتي لا يقارن بآخرين في العالم، واعتقد أن ذلك سبباً كافياً لجذب القوات الفرنجية إلى سهول تراقيه» (التي تقع إلى الغرب من مدينة القسطنطينية في أوربا).

وقد اختلف مع البعض أو اتفق مع البعض الآخر، ولكن دراساتي لمصادر الحروب الصليبية توضح لي أن هناك الكثير من المغالطات والأكاذيب والأساطير وكلها من أجل حماسة رجال الغرب الأوربي للانضمام إلى صفوف الحملات الصليبية.

وهناك خطاب آخر من الإمبراطور الكسيوس موجه إلى روبرت كونت فلاندرز أيضاً وإلى جميع الأمراء فى مملكة فرنسا، وفيه يتحدث الإمبراطور عن إجتياح الأتراك والبجناكية أراضى الإمبراطورية، وما أحدثه من خراب تناول كل من البشر والحجر والشجر بما فيها الأماكن المسيحية المقدسة والحجاج المسيحيين، وأنه يفضل أن تسقط القسطنطينية فى يد الأوروبيين بدلاً من سقوطها فى يد الوثنيين (أى المسلمين).

ويوجد خطاب آخر أرسله الإمبراطور الكسيوس إلى البابا أوربان الثانى فى مارس ١٠٩٥م يطلب فيه من البابا إرسال مساعدات عسكرية للإمبراطورية وهو الخطاب الذى دفع البابا إلى إعلان الحروب الصليبية فى مؤتمر كليرمونت Clermont فى أواخر العام نفسه.

ويعتبر خطاب البابا أوربان الثانى أو خطبته فى مجمع كليرمونت من المصادر الرئيسية فى تاريخ الحروب الصليبية، بل أنه يمثل حجر الزاوية فيها بما يمثل من فلسفة عامة لهذه الحروب الدينية. لقد انعقد هذا المجمع بعد إعداد كبير فى الفترة من الثامن عشر من نوفمبر إلى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٠٩٥م بحضور حوالى ثلاثمائة من رجال الدين، وفى هذا المؤتمر تكلم البابا عن مشاكل الكنيسة مثل الرشوة وزواج رجال الدين والتقليد العلمانى وغير ذلك من الأمور الدينية. وفى السابع والعشرين من نوفمبر من العام نفسه أعلن البابا الحروب الصليبية على المسلمين فى الشرق.

وقد أورد خمسة من المؤرخين خطاب البابا، حضر منهم الإجتماع بوردى أف دول Baurdi of Dol وفوشيه أف شارتر Fulcher of Chartres. أما الثالث فهو روبرت الراهب Robert The Monk الذى أدعى أنه حضر المؤتمر، والرابع هو المؤرخ المجهول صاحب كتاب أعمال الفرنجة The Deeds of The Franks، والأخير هو جيبويرت أف نوجنت Guibert of Nogent. ويلاحظ أن هؤلاء المؤرخين قد سجلوا كتاباتهم فيما بعد، ولا يستطيع أحد أن يزعم أن ما ورد فى هذه النصوص هو النص الأصلى للخطاب.

لقد ذكر البابا فى خطابه أن العالم المسيحى فى الشرق قد طلب منه المساعدة، وأن الأتراك السلاجقة زحفوا إلى قلب آسيا الصغرى وأساءوا معاملة السكان البيزنطيين، وأكد فى خطابه قداسة بيت المقدس ومعاناة الحجاج المسيحيين فى بلاد المسلمين، وطالب البابا بأن يكف أهل أوربا عن قتال بعضهم البعض وأن الحياة فى أوربا أصبحت تعسة مليئة بالشرور، بالإضافة إلى معاناة أهل أوربا من الفقر والبؤس، وسوف يجدون فى الشرق الهناء والسعادة. وعلى أهل أوربا الاستعداد للسفر فى ربيع عام ١٠٩٦م، كما وعد الجميع بغفران خطاياهم. وأستطيع القول أن ما ورد فى هذه الخطبة دفع الغرب الأوربى إلى غزو الشرق والاستيلاء على ثرواته. أى أنه صدر العنف الذى يسود المجتمع الأوربى إلى الشرق، وأن على أهل أوربا قتال المسلمين بدلاً من قتال بعضهم البعض.

وليس لى فى هذه السطور أن أخوض فى تفاصيل ومناقشة ما ورد فى النصوص الخمسة التى أوردها المؤرخون، وعلى الباحثين الاطلاع بأنفسهم على هذه النصوص ومناقشتها واستخلاص نتائجها لما فيها من أسس فكرية وفلسفية لقضية الحروب الصليبية، وهى قضية تكررت كثيراً من دول أوربا فى أشكال مختلفة بغرض السيطرة على الشرق وما فيه من ثروات. وهناك خطابات عديدة تخص الحروب الصليبية على امتداد زمنها، وسوف أتناول مع كل مرحلة من المراحل الخطابات الخاصة بها، كما يوجد أيضاً النصوص الخاصة بالمجامع الدينية التى دعا إليها البابوات للدعوة لحملات صليبية مثل الثانية والثالثة الخ، وسوف أتناول كل منها فى حينه.

ولنبدأ بالخطابات التى أرسلها بعض القادة ورجال الدين الذين اشتركوا فى الحملة الصليبية الأولى، وهى خطابات وردت موجزة للأحداث ولكنها تمثل شعوراً كافياً فى حينها، ولذلك فهى تقدم لنا صورة أقرب للواقع، وحيث أنها موجزة فليس بها الكثير من التواريخ أو الأسماء إلا ما أراد كاتبها أن يذكرها، وسوف إبدأ بالإشارة إليها حسب تواريخها.

والخطاب الأول مرسل من بطريرك القدس (دايمبرت Daimbert)، إلى الكنيسة في الغرب أي إلى البابا أوربان الثاني، وقد كتب هذا الخطاب في يناير عام ١٠٩٨ من أمام أسوار مدينة أنطاكية التي لم تكن سقطت بعد في يد الصليبيين، ولم تكن القدس بالتالي قد سقطت أيضاً، ولم يرد في هذا الخطاب أحداث تاريخية بل هو استغاثة إلى البابا ليرسل بأسرع وقت ممكن القوات اللازمة للسيطرة على الأراضي الإسلامية التي تفيض لبناً وعسلاً.

والخطاب الثاني صادر من أنسلم أف ريبمونت Anselm of Ribemont إلى ماناسس الثاني Manasses II رئيس أساقفة مدينة ريمز، وهو مؤرخ في حوالي العاشر من فبراير عام ١٠٩٨م من أمام أسوار أنطاكية ويذكر الكاتب أن الجيش الصليبي وصل برعاية الله إلى مدينة نيقوميديا التي تقع في أرض الأتراك ثم تقدم إلى مدينة نيقية في مايو١٠٩٧م وتحرك إلى الأراضي الأرمينية ثم حاصر مدينة أنطاكية، ثم الاستيلاء على مدينتي طرسوس واللاذقية.

والخطاب الثالث صادر من ستيفن كونت بلوا وشارتر إلى زوجته أديل Stephen, Count of Blois and Chartres, To his Wife Adele. وستيفن هذا هو إبن ولين الفاتح ملك إنجلترا (ت١١٨٧م) وتاريخ الخطاب التاسع والعشرين من مارس ١٠٩٨م من أمام أسوار مدينة أنطاكية. وتكلم ستيفن عن سقوط مدينة نيقية في يد الصليبيين وتقدمهم إلى كبادوكيا، وتكلم عن حصار المدينة وأميرها ياغي سيان، وجهود بوهمند أمير أنطاكية فيما بعد وريموند كونت سانت جيل Raymond, Count of St.Gilles.

والخطاب الرابع صادر من أنسلم أف ريبمونت إلى ماناسس الثاني رئيس أساقفة مدينة ريمز وهو الخطاب الثاني ومؤرخ في يوليو ١٠٩٨م من أمام أسوار مدينة أنطاكية، وله يتحدث عن طلب حاكم أنطاكية النجدة من حاكم مدينة دمشق وحلب وذكر كربوغا بأنه ملك الفرس ثم تكلم عن سقوط مدينة أنطاكية بالخيانة.

أما الخطاب الخامس فهو صادر من أهل مدينة لوتشيا (لوقا) الإيطالية المشاركين في الحملة الصليبية إلى جميع المسيحيين المؤمنين وهو مؤرخ في أكتوبر عام ١٠٩٨م، وهذه المجموعة قد سافرت بالبحر ووصلت أنطاكية، وقد ورد في الخطاب شدة القتال حول المدينة ثم سقوطها، وكيف فتح أهل المدينة أبوابها للصليبيين.

والخطاب السادس موجه من جودفري Godfrey، وريموند، ودامبرت إلى البابا. وجودفري هذا هو أول من تولى حكم مملكة بيت المقدس تحت إسم حامي الضريح (١٠٩٩ - ١١٠٠م)، والبابا هو باسكال الثاني Paschal II (١٠٩٩-١١١٨م) الذي خلف البابا أوربان الثاني، والخطاب مؤرخ في سبتمبر ١٠٩٩م من مدينة اللاذقية أي بعد سقوط مدينة بيت المقدس في يد الصليبيين. وقد ورد في هذا الخطاب سقوط مدينة نيقية وسقوط أنطاكية والبارة ومعرة النعمان وبيت المقدس، والجديد الذي قدمه هذا الخطاب هو معركة عسقلان بين القوات المصرية الفاطمية والصليبية والغنائم التي استولى عليها الصليبيون والاحتفال بهذا النصر وعودة القوات الصليبية إلى بيت المقدس.

- فوشيه أف شارتر:

ونبدأ بعد ذلك بالحديث عن المصادر المتعلقة بالحملة الأولى وما بعدها، والواقع إنني لا أستطيع الخوض في كافة المصادر الخاصة بالحروب الصليبية سواء الأولى أو ما بعدها، ولكنني سوف أختار أهمها، مع ملاحظة أن مصادر الدول الأوروبية التي سبق الإشارة إليها قد تحدث هي الأخرى عن الحروب الصليبية بالقدر الذي يخص تلك الدولة، وعلى الدارسين لتاريخ الحروب الصليبية أن يراجعوا تلك المصادر والمصادر العربية والسريانية والأرمينية والبيزنطية وغيرها حتى تصبح الدراسة جادة متكاملة. وأود هنا أن أشير إلى أنه لا يوجد مصدر كامل يحتوي على كل أحداث فترة زمنية ما، أو يؤرخ

لشخص ما أو مدينة ما، ولكن المصادر تكمل بعضها البعض، لذلك يجب دراسة كل المصادر للوصول إلى الحقيقة، وهى غاية ما يبتغيه المؤرخ، وينطبق ذلك على المصادر الصليبية وكافة المصادر الأوربية الأخرى ونبدأ بالحديث عن مصادر الحروب الصليبية منذ بدايتها، ولكن البداية مع المؤرخ فوشيه أف شارتر Fulcher of Chartres، لقد ولد هذا المؤرخ فى عام ١٠٥٩م، وكان قسيساً قبل أن ينضم إلى صفوف الحملة الأولى، وقد حضر مؤتمر كليرمونت واستمع إلى خطبة البابا أوربان الثانى، وكان يتقد حماسة مثل الآخرين للمشاركة فى الحروب المقدسة، لقد انضم إلى صفوف القوات التى قادها ستيفن كونت بلوا والكونت روبرت حاكم إقليم فلاندرز فى عام ١٠٩٦م، وسار مع هذه القوات عبر إيطاليا حتى وصل إلى البلقان وشاهد بعدها القتال على مدينة نيقية وضورليوم.

وانضم فوشيه لبعض الوقت للكونت بلدوين Baldwin أخ جودفرى أف بوايون، ولد سارت هذه الجموع عبر البلقان إلى القسطنطينية، وقد اشتركت هذه الجموع في القتال فى مدينة نيقية وضوروليوم، ولكن بلدوين انشق عن الجيش الرئيسى عند مدينة هرقلية وتصارع مع تانكرد Tancred حول السيادة على مدينة طرسوس فى إقليم قيليقية. وقد إنضم فوشيه إلى بلدوين واتجه إلى مدينة الرها التى حكمها بلدوين كأول إمارة صليبية تؤسس فى الشرق. وبينما كان بلدوين فى الرها سار الجيش الصليبى إلى أنطاكية ثم بيت المقدس وسيطر عليها.

وفى عام ١٠٩٩م زار بلدوين ومعه فوشيه مدينة بيت المقدس وبيت لحم فى أيام عيد الميلاد، ثم عادا إلى الرها. وعند موت جودفرى تولى بلدوين مملكة بيت المقدس الصليبية، وذهب معه فوشيه وأصبح قسيساً للملك حتى وفاته فى عام ١١١٨م، ثم قضى بقية حياته كمقدم لدير جبل الزيتون، مات فوشيه فى عام ١١٢٧م.

ويوضح فوشيه فى مقدمة كتابه أن الغرض من تدوين حولياته هو تدوين

الأحداث التى قام بها جيش الرب. والكتاب يبدأ بمقدمة ثم ثلاثة فصول وكل فصل مقسم إلى العديد من النقاط. وفيما يختص بالكتاب الأول فقد بدأ بالحديث عن مؤتمر كليرمونت، ورحيل القوات النورماندية إلى روما ثم القسطنطينية وإلى نيقية والوصول إلى مدينة أنطاكية وموضوع الحربة المقدسة، ثم وصول القوات الصليبية إلى القدس والاستيلاء عليها. وانتهى هذا الفصل بموت الملك جودفرى أف بوايون.

والفصل الثانى يبدأ بحكم الملك بلدوين الأول لمملكة بيت المقدس (١١٠٠ - ١١١٨م)؛ وبعض المناوشات بين الصليبيين والمسلمين بالقرب من بيروت، والحديث عن تقدم بلدوين بالقرب من عسقلان ثم رحلته إلى البحر الميت وعودته إلى القدس، وعن موقف تانكرد من أنطاكية والإستيلاء على أرسوف وقيسارية، وعن رسالة أرسلها أهل يافا إلى تانكرد، وعن معركة الرملة بين الجيش الفاطمى والصليبى فى عام ١١٠٢م، والاستيلاء على مدينة طرطوس، وأسر الأمير الأنطاكى بوهمند وتحريره من الأسر، وسقوط مدينة عكا، وأسر الملك بلدوين وعودته من الأسر، ومعركة الرملة الثانية، والأسطول الفاطمى، وحروب الصليبيين ضد دمشق، وحصار مدينة طرابلس وسقوطها فى يد الصليبيين، وسقوط مدينة بيروت، ونجدة الملك بلدوين وتانكرد لمدينة الرها، وسقوط مدينة صيدا، وحصار مدينة صور دون جدوى، ووفاة تانكرد أمير أنطاكية فى عام ١١١٢م، وحصار القوات الإسلامية فى بلاد الشام والفاطمية من مصر لمدينة يافا عام ١١١٥م، ومعارك على مدينة أنطاكية فى العام نفسه، وبناء الملك بلدوين لقلعة الشوبك، وتجوله فى صحراء سيناء ثم وفاته فى المنطقة عام ١١١٨م.

أما الفصل الثالث والأخير فيبدأ بتتويج الملك بلدوين الثانى فى عيد القيامة الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١١١٩م رغم أنه عين ملكاً فى أبريل من العام السابق. ثم سجل العديد من الأحداث حتى عام ١١٢٧م، ومن هذه الأحداث هجمات فاطمية على الصليبيين، ومعركة ساحة الدم عام

١١١٩م، وهجمات إسلامية أخرى على أنطاكية، وهجمات صليبية على دمشق عام ١١٢١م، وحروب صليبية بقيادة الملك بلدوين ضد أمير طرابلس الصليبي فى عام ١١٢٢م، وأسر المسلمين لجوسلين Joscelin أمير إمارة الرها ١١١٩ - ١١٣١م، وقدوم قوات من البندقية بحراً فى حوالي مائة وعشرين سفينة، وأسر الملك الصليبي بلدوين، وحصار بحرى فاطمى لمدينة يافا، ثم هروب الملك بلدوين والأمير جوسلين من الأسر، وأسر الملك بلدوين مرة أخرى، وحصار البنادقة لمدينة صور، وحصار الصليبيين لمدينة حلب، وهجمات صليبية على دمشق فى عام ١١٢٦م، وسقوط مدينة رافنيا فى يد الصليبيين، وهجمات فاطمية على المدن الساحلية الصليبية، ووصول الأمير بوهمند الثانى (١١٢٦ - ١١٣٠م) فى عام ١١٢٦م، وانتهى هذا الفصل والكتاب كله بالحديث عن هجوم الفئران على مدن الساحل خاصة عكا وصور وكانت بأعداد وأحجام كبيرة.

والحقيقة أن المؤرخ فوشيه قدم لنا عملاً يعتبر من أفضل المصادر الخاصة بالحروب الصليبية فى الفترة التى كتب عنها وعبر فيها عن عصره حيث لا يمكن فصل أى عمل عن الجانب الديني، ورغم هذا كله فإن ما يؤخذ عليه أنه لم يسجل بعض الأحداث الخاصة بالملك بلدوين عندما كان أميراً للرها، كما أنه لم يقدم لنا أعداد الصليبيين الذين شاركوا فى الحملة مثله فى ذلك مثل كل المؤرخين الذين عاصروه. كما نلاحظ أنه يقدم بعض تواريخ الأحداث متضاربة فى بعض الأحيان، هذا إلى بعض الأمور الفلكية والكوارث الطبيعية كالزلازل. ورغم هذا كله فإن حولية فوشيه تعتبر من المصادر الرئيسية التى استقى منها بعض المؤرخين الصليبيين الآخرين مادتهم التاريخية.

- المؤرخ المجهول:

هو صاحب كتاب تاريخ الفرنجة Gesta Francorum، والحقيقة أننا لا نعلم شيئاً عن هذا المؤلف غير أنه غادر مدينة أمالفى فى صحبة الأمير بوهمند النورماني فى عام ١٠٩٦م، وظل ملازماً له حتى سقوط مدينة أنطاكية فى يد

الصليبيين والانتصار على كربوغا أتابك الموصل فى أنطاكية. وقد خدم هذا المؤرخ المجهول فى صفوف الصليبيين فى هذا الجانب. وما يعرف عنه أيضاً أنه عمل فى صفوف روبرت النورماندى، وريموند كونت تولوز فى الشمال عسكرياً ضد معرة النعمان وطرابلس. كما أنه توجه إلى بيت المقدس مع سائر الجيش الصليبي بقيادة ريموند كونت تولوز. ورغم هذا كله فلازال هناك جدل بين المؤرخين عن شخصية هذا المؤلف.

وبمقارنة مصادر الحملة الصليبية الأولى مع بعضها يتضح أنه كتب حوليته قبل نهاية عام ١١٠١م لأن المؤرخ الألماني إيكارد استفاد فى هذه السنة من نسخة هذا الكتاب. ومن قراءة نصوص المؤرخ المجهول يتضح أنه كان إيطاليا مقرباً للأمير بوهمند الذى أشار إليه دائماً بلقب «سيد» الذى شاركه فى أعماله العسكرية فى حصار وإسقاط مدينة أنطاكية، وربما يدل ذلك أنه كان أحد جنود الأمير بوهمند.

وينقسم هذا الكتاب إلى ثمانية عشر فصلاً، بدأها بالحديث عن خطبة البابا أوربان الثانى فى مدينة كليرمونت عام ١٠٩٥م. ثم تكلم عن الحملة الشعبية وبطرس الناسك، وعن الجيش الرئيسى للحملة الصليبية الأولى وقادتها، وأفرد جانباً خاصاً بالأمير بوهمند، وجودفرى أف بوايون، وعاد إلى بوهمند مرة أخرى، وعلاقته بالإمبراطور البيزنطي الكسوس كومنين، وتكلم عن ريموند كونت تولوز والاستيلاء على مدينة نيقية فى آسيا الصغرى، ودور الزعماء، ومعهم ستيفن كونت بلوا. كما تحدث عن معركة ضوروليوم وهزيمة السلاجقة فى الأول من يوليو عام ١٠٩٨م.

وإذا تركنا آسيا الصغرى وانتقلنا إلى بلاد الشام نجد المؤرخ يقدم لنا مادة تاريخية عن حصار أنطاكية ومعاناة الصليبيين أمام المدينة وسقوط أنطاكية فى آخر الأمر، ثم تكلم عن هجمات كربوغا أتابك الموصل على القوات الصليبية، واكتشاف الحربة المقدسة، ثم هزيمة كربوغا، والتقدم إلى بيت

المقدس والاستيلاء عليها، وأخيراً تكلم عن واقعة عسقلان التى وقعت فى أغسطس عام ١٠٩٩م.

وخلاصة القول أن هذا الكتاب يعتبر مصدراً هاماً من مصادر الحروب الصليبية المبكرة، وأن هذا الكتاب عرف فى مطلع القرن الثانى عشر فى أوربا ونقل عنه بعض المؤرخين مثل روبرت الراهب وغيره.

- ريموند دأجليز:

ومن المصادر الهامة أيضاً فى تاريخ الحملة الصليبية الأولى ريموند دأجليز Raymond d'Agiles، وهو مؤرخ ورجل دين فى مدينة ليبوى Le Puy فى جنوب فرنسا فى نهاية القرن الحادي عشر. وقد صاحب الكونت ريموند أف تولوز أحد قواد الحملة الصليبية الأولى، وأصبح قسيساً للمندوب البابوى أدهيمار أسقف ليبوى Adhémar, Bishop of Le Puy، وصاحب ريموند بونز دى بالازوك Pons de Balazuc، وقد تعهدا الإثنان بكتابة تاريخ الحملة. وكان بونز حريصاً على تدوين ما يعلق بذاكرته فألح على صديقه أن يدون ما يحدث فصار ريموند يسجل فى خيمته ما يجرى من أحداث، وعندما لقى بونز مصرعه أثناء حصار مدينة عرقه فى بلاد الشام، لم يتوقف ريموند عن الكتابة، ومن المعروف عن ريموند أنه شارك فى الحرب على مدينة أنطاكية، وفى الثامن والعشرين من يونيه عام ١٠٩٨م ظهر ريموند وهو يحمل الحربة المقدسة التى كان لها دوراً كبيراً فى إسقاط المدينة. كما أنه واصل السير مع الحملة حتى استولت على بيت المقدس تحت قيادة ريموند كونت تولوز، كما صحبه فى رحلته إلى نهر الأردن وأنه كان مشاركاً فى معركة عسقلان حيث انتهى كتابه.

وإذا استعرضنا هذا الكتاب نجد أنه ينقسم إلى عدة فصول صغيرة بدأت بالحملة الأولى وهى فى طريقها إلى القسطنطينية، ثم الانتصار على الأتراك السلاجقة عند مدينة نيقية، والسير عبر آسيا الصغرى حتى حصار أنطاكية

وما لاقاه الصليبيون من معاناه أمام أسوار المدينة، وهجمات كربوغا على القوات الصليبية، وأخيراً سقوط المدينة، وهجمات كربوغا مرة أخرى على قوات الحملة، واكتشاف الحربة المقدسة، وفى نهاية أحداث أنطاكية تكلم المؤرخ عن هزيمة كربوغا.

وبعد ذلك قدم المؤرخ الأحداث التالية لسقوط المدينة والمسيرة إلى بيت المقدس وما فيها من أحداث حتى سقوط المدينة فى يد الصليبيين وما تلا ذلك من أحداث حتى معركة عسقلان بين القوات الصليبية والقوات الفاطمية.

ورغم أهمية هذا المصدر من الناحية التاريخية، إلا أن البعض يصفه بأنه منحازاً للأمير ريموند كونت تولوز، وأنه ساذج وجاهل. ومتحامل فى بعض الأحيان وأنه يضع رأيه مسبقاً، وأنه كان رجلاً يبغى المنفعة الخاصة.

- رودلف أف كاين:

ولد رودلف أف كاين Rudolph of Caen فى مدينة كاين التى تقع بإقليم نورماندى فى فرنسا عام ١٠٨٠م ثم دخل فى خدمة الأمير بوهمند النورماندى وشهد حصار بوهمند لمدينة دوازو Durazzo فى عام ١١٠٧م ثم توجه إلى آسيا الصغرى وصحب تانكرد Tancred أمير أنطاكية (١١٠٤ - ١١١٢م) أثناء مسيرته لانقاذ مدينة الرها وظل من أتباعه، واعتمد فى مادته التاريخية على ما حصل عليه من معلومات من الأمير تانكرد.

والموضوع الرئيسى لكتاب رودلف هو أعمال تانكرد وما أشتهر به من صفات طيبة، والحقيقة أن رودلف امتلك حاسة تاريخية طيبة رغم وجود عبارات بلاغية جعلته يبتعد عن الموضوع. كما أن رودلف يعتبر شاهد عيان لكل أعمال تانكرد، وبذلك أصبح مصدر ثقة لحد كبير فى معظم مادته التاريخية العامة والخاصة التى لا يعرفها إلا القادة الكبار، وهى التى حصل عليها من الأمير تانكرد.

وإذا نظرنا إلى مـا كـتـبـه رودلف نجد كـتـاب أعـمـال تانكرد Gesta Tancredi، وهذا الكتاب ينقسم إلى مائة وسبعة وخمسين فصلاً تبدأ بالحديث عن والد تانكرد وموهبته في الحكم واتفاق تانكرد مع بوهمند وعبور القوات الصليبية نهر فاردار Vardar الواقع في البلقان وتقدمها إلى القسطنطينية وموقف الإمبراطور من قوات الحملة، ثم العبور إلى آسيا الصغرى وحصار وسقوط مدينة نيقية، وما تم بعد ذلك من أحداث، وانقسام القوات الصليبية إلى قسمين اتجه أحدهما إلى الرها والآخر إلى أنطاكية، وأعمال روبرت كونت فلاندرز وجودفرى أف بوايون، وحصار تانكرد لمدينة طرسوس والوصول إلى مدينة أرتاح وحصار أنطاكية ومعاناة الصليبيين عند المدينة، ومحاصرة تانكرد لمعرة النعمان وسقوطها، ثم حصار مدينة عرقه والاختبار بالنار حول الحربة المقدسة.

وتحدث المؤلف عن المعارك حول مدينة بيت المقدس وأفرد لها صفحات طوال حتى سقوطها والمذابح التى وقعت ضد العرب داخل المدينة، وتعيين جودفرى حاكماً ثم موته وقيام أخيه بلدوين مكانه ملكاً على مملكة بيت المقدس، وتولى تانكرد أمر إمارة أنطاكية وإخضاع المصيصة وأذنة وطرسوس لحكمه، والهجوم الصليبي على مدينة اللاذقية، وحصار ريموند كونت تولوز لمدينة طرابلس، وأسر الملك بلدوين، وهزيمة الأمير رضوان فى أرتاح، ومحاصرة تانكرد لمدينة أفامية، واختتم الكتاب بالحديث عن مجاعة وقعت فى مدينة اللاذقية.

والكتاب كما ترى فيه بعض التقديم والتأخير للأحداث، كما أن الأحداث التى أوردها المؤلف كثيرة ومتداخلة وتحتاج إلى دراسات لسد الفراغ ومناقشة الأحداث ووضع تواريخها وملابساتها، وإظهار النتائج التى تسفر عن ذلك.

- أنا كومنينا :

أنا كومنينا Anna Comnene هى مؤرخة بيزنطية، وابنة الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين، وقد ولدت هذه المؤرخة فى عام ١٠٨٣م، وتلقت تعليماً راقياً مثلها مثل بقية الأميرات البيزنطيات، فقد تعلمت الأدب اليونانى، والتاريخ والجغرافيا، والأساطير والفلسفة، وقد تزوجت من نقفور برنيوس Nicephorus Bryennius إبن المطالب السابق بعرش الإمبراطورية، وقد حاولت المؤرخة العمل على أن يكون زوجها فى مكانة الإمبراطور ويصعد على العرش، وعندما فشلت فى هذه المحاولة انسحبت مع والدتها الإمبراطورة إيرين إلى أحد الاديرة التى شيدتها، وخلال أقامتها فى الدير كتبت كتابها المشهور الألكسياد Alexias، وقد أنتهت من هذا الكتاب فى عام ١١٤٨م وسجلت فى هذا الكتاب أعمال والدها منذ عام ١٠٦٩ - ١١١٨م وهى تاريخ وفاته، وتعتبر المؤرخة أنا درة عائلة الأسرة الكومنينية.

ويعتبر ما قدمته المؤرخة عظيم القيمة لقوة ملاحظتها ومعرفتها الجيدة بالشئون العامة، كما أنها كانت على معرفة تامة بالأمور الدبلوماسية والخطابات التى أرسلها والدها إلى القادة والجنود البيزنطيين بالإضافة إلى إطلاعها على الأرشيف الإمبراطورى، ويلاحظ أنها متحيزة كثيراً لوالدها.

ربما يهمنا فى هذا المقام هو ما كتبته عن الحروب الصليبية، والحقيقة أنها نظرت إليها من وجهة نظر شخصية وعدائها الواضح للعناصر اللاتينية الصليبية، لقد تعمدت أن تقدم صورة طيبة عن الإمبراطورية وعن والدها.

لقد قدمت لنا المؤرخة أنا نقاطاً هامة عن الحروب الصليبية خاصة منذ وصول الحملة الشعبية إلى القسطنطينية، ودور بيزنطة فى إنقاذ حياة بطرس الناسك بعد فراره من أمام القوات السلجوقية، ووصول بوهمند ورفاقه إلى العاصمة البيزنطية، وهيو Hugh شقيق فيليب الأول ملك فرنسا ١٠٦٠ - ١١٠٨م، والرسالة التى أرسلها هيو إلى حاكم مدينة دورازو البيزنطية، كما

تحدث عن جودفرى أف بوايون، وبعض التصرفات المهينة للأمراء الصليبيين، وأفردت جانباً للأمير بوهمند، والأمير ريموند كونت تولوز، وهزيمة الأتراك السلاجقة عند مدينة نيقية ودور بوهمند وتانكرد فى هذا الجانب. وهناك جوانب أخرى تناولتها المؤرخة عن الأحداث الصليبية خاصة فى علاقتها بالإمبراطورية مثل معاهدة ديفول Devol ١١٠٧ - ١١٠٨م بعد هزيمة الأمير بوهمند.

- جيوبرت أف نوجنت:

ولد جيوبرت أف نوجنت Cuiobert of Nogent من أسرة نبيلة فى مقاطعة بيكاردى Picardy حوالى عام ١٠٥٣م، وشهد فى بداية شبابه الفترة التى تعمل فيها الكنيسة الكاثوليكية فى بسط سيطرتها على العالم الأوربى، ثم أصبح راهباً فى سانت جرمر - دى فلاى St. Gremer- de Fly، ثم ما لبث أن انتخب رئيساً لدير نوجنت فى عام ١١٠٤م، وكان ميالاً إلى الشعر والموسيقى ثم تحول إلى العمل الدينى وظل فى دير نوجنت حتى وفاته فى عام ١١٢٤م.

وأهم ما كتبه جيوبرت كتابه أعمال الفرنجة Gesta Francos عن الحملة الصليبية الأولى وهو عمل تاريخى دار حوله الكثير من الجدل. ولعل ما يلفت النظر هنا هو استخدام كلمة الفرنجة الذى انتشر فى تلك المرحلة وقبلها بقليل. ولنتوقف عند كلمة «الفرنجة» التى استخدمتها المصادر العربية أيضاً باسم «الفرنج»، والواقع أن هذا المصطلح هو إصطلاح قديم عندما قامت العناصر الفرنجية بتأسيس دولة الفرنجة باسم الدولة الميروفنجية التى اعتنق فيها كلوفس الديانة المسيحية، ومن بعدها الدولة الكارولنجية ومؤسسها شارلمان.

وفى القرن الحادى عشر أصبح هذا المصطلح يضم كل سكان أوربا الغربية، كما أن الإمبراطورية البيزنطية استخدمت كلمة فرانكوبولس

Francopoulos أى أبناء الفرنجة، وأن استخدام مؤرخنا هذا لكتاب إسم «أعمال الفرنجة» كمصدر هام من مصادر الحروب الصليبية له دلالته، وحتى هذه الأيام لازال هذا التعبير قائماً. وفى مرحلة العصور الوسطى والحروب الصليبية بخاصة فان فكرة استخدام كلمة الفرنجة أنهم الشعب الذى أختاره الله، وأرجعوا ذلك إلى كلوفس وإلى المؤرخ جريجورى التورى الذى عنون كتابه باسم «تاريخ الفرنجة»، وهم الذين أحبهم الله، ومن بعدهم شارلمان الذى حمى الكنيسة من الغزو اللمباردى ودمر الوثنيين ودحر المسلمين فى بلاد الأندلس، وهم الذى أسسوا دولتهم على الضريح المقدس ومعنى ذلك أن التحالف فى القرن الحادى عشر هو تحالف بين الفرنجة وبين الله، وبعد خطبة البابا أوربان الثانى فى مدينة كليرمونت صاح الحاضرون «هذه إرادة الله» وأسرع الجميع لحمل الصليب.

وعلى أية حال فربما شارك جيوبرت فى مجمع كليرمونت، وأصبح له رغبة فى الكتابة عن الحروب الصليبية. وعندما بدأ هذا العمل وضع له عنواناً هو «أعمال الله بيد الفرنجة» "Doings of God Through The Franks"، وفى داخل كتابه أكد على هذا المعنى وذكر عبارات المهمة الإلهية للفرنجة Divine mission of The Franks.

والكتاب له أهمية كبيرة، فهو يظهر الأثر العميق على أهل أوربا بعد دخول الصليبيين لمدينة القدس والأراضى المقدسة. وقد وضع هذا الكتاب من ١١٠٨ - ١١١٢م، وقد ركز المؤرخ أن الفرنجة هم أصحاب الفضل فى هذا العمل وهنا يقصد فرنسا، ولا يرجع الفضل إلى كل أهل أوربا بأكملها، والفرنجة هم الذين يلجأ إليهم البابا فى كل الأزمات. وفى القرن السابع عشر عندما قام جاك بونجز Jacques Bongars (١٥٤٦ - ١٦١٢م) بتجميع بعض أعمال الكتاب الصليبيين فى مجلد واحد فقط أطلق على كتابه أعمال الفرنجة Gesta Dei Per Francos.

ويرى البعض أن جيوبرت اعتمد فى كتابه على أعمال الفرنجة الذى وضعه المؤرخ المجهول، ثم أضاف إليه بعض المعلومات سواء أكانت قيمة أم تافهة ودون أن يربطها ببعضها، ولذلك أصبح هناك شك كبير فى المادة التاريخية التى أضافها إلى المؤرخ المجهول.

- بالدريك أف دول:

ولد بالدريك أف دول Balderic of Dol فى قرية ميون Meun بالقرب من مدينة أورليان فى عام ١٠٥٠م وتوفى فى السابع من يناير عام ١١٣٠، وقد نبغ فى دراسته فى سن مبكرة فى مدينة أنجير Angers، والتحق بدير بورجى Bourgeil فى مقاطعة أنجير عام ١٠٧٩م، ثم عينه البابا باسكال الثانى أسقفاً لمدينة دول الواقعة فى الشمال الشرقى لمقاطعة برتياني الفرنسية، ولقد ساهم فى جميع المجامع الدينية التى تمت فى حياته، وسافر فى مهمات عديدة إلى روما وانجلترا، وقد شارك فى إصلاح الأديرة وإعادة نظامها، ولتقدمه فى السن اعتزل الحياة فى سنواته الأخيرة، وبالإضافة إلى كتاباته التاريخية فانه كتب عن سيرة القديسين، كما أنه كان شاعراً.

وأهم ما قدمه هذا المؤرخ هو كتابه Historiae Hierosolymitanae، وفيه يقدم لنا قدراً من الأحداث المتعلقة بالحروب الصليبية. ولما كان بالدريك لم يذهب إلى الأراضى المقدسة فانه اعتمد على الروايات الشفهية التى رواها بعض الصليبيين بعد عودتهم من حروبهم فى الشرق، وحتى يضبط كتابه هذا عهد إلى أحد رؤساء الأديرة فى مرسليا ويدعى بطرس لتصويب هذا الكتاب لأن بطرس هذا شارك فى الحروب الصليبية، وقد استفاد من هذا الكتاب بعض المؤرخين الصليبيين مثل أورديك فيتالى Ordericus Vitales، والمؤرخ المشهور وليم الصورى.

- البرت أف أكس:

يعرف باسم البرت أف أكس Albert of Aix أو آخن Aachen وهو مؤرخ للحملة الصليبية الأولى وكتابه Chronicon Hierosolymitanun يتكون من إثنا عشر فصلاً يبدأ من عام ١٠٩٥ أى منذ خطبة البابا أوربان الثانى فى مدينة كليرمونت حتى عام ١١٢١م، وقد دار جدل كبير حول هذا المؤرخ وأنتهى الأمر بأنه كان أحد رجال الدين فى مدينة آخن.

ويؤخذ على هذا الكتاب عدم الدقة فى الأحداث التاريخية، كما أن معلوماته الجغرافية يشوبها الكثير من الأخطاء، وامتازت كتاباته أيضاً بطابع دينى كبير مع التأثر بقدرته الشعرية، وهو [illegible] كانت تتحلى به الفروسية المسيحية. وعلى أية حال فإن مديح المؤرخ لفكرة الخدمة العسكرية فى الحروب الصليبية له دلالته، ولذلك كان ما كتبه البرت أف أكس وآخرون من أمثاله كان بمثابة دعاية طيبة للخدمة العسكرية فى بلاد الشام من أجل خدمة السيد المسيح.

ورغم أن مؤرخنا لم يتوجه إلى بلاد الشام فإنه كتب تاريخ الحروب الصليبية حتى عام ١١٢٠م، وانه اعتمد فى كتابه هذا على ما رواه شهود العيان، إلا أنه ما كتبه يعتبر من أهم مصادر الحروب الصليبية وخاصة ما يتعلق بالحملة الشعبية. لقد كتب البرت عن بطرس الناسك وجودفرى وفولكمار Folcmar وجوتشوك Gottshalk وهما من القادة الصليبيين، وإيمكوا Emico ومذبحة اليهود فى مدينة ميتز Mainz ووالتر المفلس Water The Penniless وغيرهم، واستمر حتى عهد بلدوين الثانى إلى أحداث معركة ساحة الدم ١١١٩م، وما بعدها بقليل، إلا أننى سوف أركز على الحملة الشعبية باعتبار أن ما كتبه البرت يعتبر من أهم مصادر أحداثها.

لقد تكلم عن العناصر التى أشتركت فيها مثل الألمان والتيوتون والفرنجة والغاليون وربما يكون فى ذلك مترادفات إلا أن ما سجله هذا المؤرخ

يعتبر يوميات للأحداث، فقد تكلم عن الجبال المحيطة بمدينة نيقية التى عسكرت فيها الحملة الشعبية وذلك بمساعدة الإمبراطور البيزنطى وهجوم الأتراك السلاجقة عليهم بقيادة سليمان وهزيمة الحملة. ثم تكلم عن أسماء القادة الذين كانوا فى الحملة، وعودة القتال مرة أخرى مع دق الطبول، وأن السلاجقة أعدوا ستة فرق عسكرية للقتال، والمسافة التى كانت بين مدينة نيقية وساحل بحر مرمرة حيث ميناء سيفيتوت Civitote حيث دار القتال، ومصرع والتر المفلس وانتصار الأتراك السلاجقة وما حملوه من غنائم وسبايا، وملاحقة السلاجقة للقوات الصليبية الهاربة من المعركة، وأخيراً تحرك الإمبراطور البيزنطى لمساندة الفارين الصليبيين.

ومن أهم مصادر الحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى كتاب المؤرخ وليم الصورى، ووفاء منى لأستاذى المرحوم الأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق فأنتى اتقدم بما كتبه عن هذا المؤرخ إحياء لذكراه بين الدارسين من الطلاب فى حقل الحروب الصليبية. وقد نشر هذا العمل فى مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٢. كما أود هنا أن أشير إلى الدراسات القيمة التى قدمها المرحوم الأستاذ الدكتور السيد الباز العرينى فى كتابه مؤرخو الحروب الصليبية، وإلى الدكتور بيتر إدبيرى Peter Edbury الأستاذ بجامعة ويلز كلية كارديف على الدراسات الممتازة التى قدمها عن المؤرخ نفسه.

- المؤرخ وليام الصورى:

كان لوليام الصورى William of Tyre رئيس أساقفة كنيسة صور، أهميته كرجل من كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية فى الشرق، كما كانت له مكانته المرموقة بين رجال الدولة المسئولين فى مملكة بيت المقدس الصليبية. إلا أن شهرته فى العصور التالية لعهده قد قامت على أساس انجازاته كمؤرخ،

هذا بالرغم من ضياع بعض مؤلفاته فى التاريخ. ومهما يكن من أمر فإن تاريخه الكبير الذى وصل إلى أيدينا والذى اشتهر باسم:

"Historia Terum in Partibus Transmarinis Gestarum"

أى «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر» يحتل مكانة عظيمة الأهمية بين مصادر تاريخ الحروب الصليبية. وقد جرى العرف على اعتبار كتاب وليام الصورى الأصل الذى تفرع منه أدب الحروب الصليبية، مع اعتبار أن الجذور وجدت فيما سبقه من المؤلفات، وأن الفروع كانت الكتب التى وضعها المؤرخون اللاحقون مع عدم ذكر أسمائهم واعتبروها ملاحق أو مذيلات على تاريخ وليام.

والواقع أن محاولة دراسة حياة وليام وتكوين صورة كاملة لها ليس أمراً سهلاً. وقد تطلب هذا العمل جهود عديد من العلماء، بدأت من القرن السادس عشر واستمرت حتى يومنا هذا. وترجع هذه الصعوبة للنقص فى المعلومات التاريخية التى جاءت عن حياته، الأمر الذى اضطر الباحثين للاعتماد إلى حد كبير على الشذرات والاشارات المحدودة التى جاءت فى التاريخ الذى وضعه.

ولد وليام فى مملكة بيت المقدس الصليبية حوالى سنة ١١٣٠م. والظاهر أن نشأته كانت فى مدينة بيت المقدس نفسها. ومن المحتمل أن أبويه كانا قد نزحا من إحدى بلاد غرب أوربا، ولو أننا لا نستطيع أن نجزم برأى نهائى فى ذلك. فإن وليام الذى وضع فى تاريخه أنساب الآخرين وأصولهم، لم يدل بشئ عن عائلته وأصلها. ولكن الشواهد تدل على أن وليام أمضى السنوات الأولى من حياته فى فلسطين، والمرجح أنه استقر به المقام فى بيت المقدس. فإن ما رواه عن صباه عرضاً، إنما يتركز بأكمله فى هذه المدينة، التى يظهر من تاريخه معرفته الوثيقة بشوارعها ومبانيها المختلفة. وقد أتاحت له معيشته فى هذه الأنحاء الفرصة لكى يتقن عدداً من اللغات. فألم بالفرنسية وهى لغة البلاط

الصليبي، والعربية التي كانت تستعمل بكثرة فى محيط التبادل التجارى إلى جانب الفرنسية. ويظهر كذلك أن وليام كانت له دراية باللغة اليونانية التى انتشر استعمالها فى الشرق بحكم صلة الجوار المباشر مع الإمبراطورية البيزنطية التى كانت لها اتصالات متنوعة مع الصليبيين وشعوب الشرق الأدنى الإسلامى. وفضلاً عن ذلك فيبدو أن وليام كان على الأقل على بعض العلم بلغات أخرى مثل العبرية والفارسية. وكانت اللاتينية بطبيعة الحال هى لغة الكنيسة والمدارس فى المملكة اللاتينية. وان إتقان وليام الواضح لهذه اللغة يشهد بأنه تلقى تعليماً ممتازاً.

وقرر وليام، على ما يبدو، منذ مرحلة مبكرة فى حياته العمل فى السلك الكنسى. ويتضح من تاريخه أن الشخصية الرئيسة التى أثرت فيه فى صباه كان بطرس البرشلونى Peter of Barcelone الذى كان يشغل منصب رئيس الرهبان الملحقين بكنيسة الضريح المقدس من سنة ١١٣٠ إلى سنة ١١٥٨م، أى الزمن الذى يرتبط بالسنوات الخمس والعشرين الأولى من حياة وليام. وكان المعهد الدينى الذى رأسه بطرس مختصاً باعداد القساوسة وتعليمهم. وأظهر وليام حينئذ من المثابرة والشغف بتحصيل العلم ما قربه من أساتذته وخاصة بطرس.

ولابد أن وليام وجد فى بيت المقدس فرصة طيبة لتلقى تعليمه الدينى. فقد تجمع هناك عدد من العلماء، الذين كانوا فى غالبيتهم من الزائرين الذى توافدوا من غرب أوربا لقضاء فريضة الحج والعودة بعدها. كما كان منهم المتقدمون فى العمر الذين جاءوا إلى هذه البلاد عاقدين العزم على قضاء ما تبقى من حياتهم فى الأراضى المقدسة تيمناً بها. وقد ضمت الأديرة عدداً من الأفذاذ المشتغلين بالعلم مثل جودفرى رئيس معبد السيد المسيح الذى اكتسب شهرة لتعمقه فى دراسة اللغة اليونانية. وهكذا أتيحت الفرصة لوليام الصورى لكى يستفيد من هؤلاء العلماء سواء أكان ذلك بالاختلاط بهم فى الأديرة أو المنظمات الكنسية أو أثناء التردد على الأضرحة المختلفة وزيارتها. ولابد

أن بطرس البرشلونى قد تولى الاشراف على تعليم تلميذه وليام وتوجيهه.

ومن المعروف أن وليام بعد أن قطع مرحلة طيبة من التعليم والاعداد اللازم، أصبح من رجال الكهنوت التابعين لرئيس أساقفة كنيسة صور. ويتضح ذلك من إحدى الوثائق المؤرخة فى سنة ١١٦١م، ولو أن المصادر لم تبين على وجه الدقة متى تم ذلك. هذا وقبل أن تبدأ سنة ١١٦٣م، قرر وليام عبور البحر الأبيض المتوسط والذهاب إلى غرب أوربا ليواصل دراسته هناك. الأمر الذى أشار إليه إشارة عابرة فى تاريخه. وكان حينئذ فى بداية العقد الرابع من عمره. والمرجح أنه أثناء اقامته فى الغرب اهتم بشكل خاص بدراسة القانون، الذى أصبح أمراً لازماً لمن يهيأ لشغل منصب دينى كبير، وذلك لازدياد أعباء رجال الدين وتشعب مسئولياتهم. ومن المؤكد أن وليام كان لا يزال يتابع دراسته فى الغرب عندما أعتلى الملك عمورى عرش بيت المقدس. وكانت عودة وليام إلى البقاع المقدسة فى خريف سنة ١١٦٣م على وجه التقريب.

ولا يعرف الكثير عن تفاصيل حياة وليام فى السنوات الأربع التى تلت عودته إلى المملكة الصليبية. ولكن من المعروف أن أستاذه بطرس الذى أصبح رئيساً لاساقفة كنيسة صور قد مات، وتلاه فى منصبه رجل يعرف باسم فريدريك، لم يكن على شاكلته، ولم تكن علاقة وليام به طيبة. ويظهر أن عمل وليام اقتصر فى ذلك الوقت على أداء الواجبات العادية التى يقوم بها رجل الكنيسة. وربما اختص بالجانب القانونى من أعمالها. هذا فى الوقت الذى أخذ يتطلع فيه ليصبح رئيساً لاساقفة أحدى الكنائس الهامة أو بطريرك المملكة الصليبية.

ومنذ سنة ١١٦٧م، بدأ وليام مرحلة جديدة من حياته أخذت أسهمه فيها فى الارتفاع، وكان ذلك على أثر بداية ارتباطه بخدمة عمورى. فإن هذا الملك كان شغوفاً بقراءة التاريخ مهتماً بمتابعته. وقد أراد أن يسجل عهده وأحداثه

الأمر الذي يعد بالنسبة خاصة وأنه اختمرت في ذهنه فكرة فتح البلاد المصرية، للصليبيين أكبر مشروع لهم بعد الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة المملكة الصليبية في الشام. وهكذا فقد أراد عموري أن يسجل له التاريخ ما يحققه من أمجاد. وعلى ذلك قرر أن يختار رجلاً كفؤاً يكلفه بكتابة تاريخه. وقد وقع اختياره على وليام، وكان موفقاً في هذا الاختيار. حقيقة أن وليام لم يتلق فيما سبق التدريب اللازم للمؤرخ، إلا أنه كان يبز كثيرين من أقرانه من رجال الكنيسة في القدر الذي ناله من التعليم. كما عرف عنه أسلوبه الأدبي الرفيع والالمام بعدة لغات. والظاهر أن وليام كان متردداً في أول الأمر في الاضطلاع بهذه المهمة الجديدة خشية أن يحيد عن هدفه الأصلي وهو الترقي في سلك الكهنوت. ومهما يكن من أمر فقد قبل هذا العمل، وعينه عموري رئيساً لشمامسة كنيسة صور، كما خصص له راتباً أكبر من الراتب المعتاد الذي يتقاضاه من يشغل هذا المنصب.

وهكذا بدأ وليام وهو في مرحلة منتصف العمر عمله كمؤرخ. وقد أقبل على ذلك بكل حماسة ونشاط وتقدير للمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه. وقد واصل نشاطه في كتابة التاريخ بشكل شبه مستمر منذ سنة ١١٦٧ وهي السنة التي بدأ فيها حتى سنة ١١٨٤ وهي التي توقف فيها عن الكتابة قبيل موته. الا أن عمل وليام، في هذه المرحلة من حياته لم يقتصر على كتابة التاريخ فقد عهد إليه المسئولون بالمملكة الصليبية بمهام أخرى كذلك. إلا أن هذه المهام، وأن كانت قد أضافت إلى ما تحمله من أعباء، فانها جعلته على اتصال وثيق بأحداث المملكة الصليبية وأخبارها. فعلى أثر الاتصال بين وليام وعموري، ازداد تقدير الأخير لمؤرخه، حتى أنه لما بدأ في التفاوض مع الإمبراطور البيزنطي بغرض القيام بحملة مشتركة لغزو مصر، أرسل عموري وليام إلى القسطنطينية لاتمام عقد الاتفاقية الصليبية البيزنطية. وقد أتاحت هذه المهمة لوليام فرصة التعرف عن كثب على عاصمة الإمبراطورية البيزنطية. ونجح في مهمته هذه. كما أن وليام اضطرته بعض المسائل الكنسية للسفر إلى

روما عقب ذلك. وافادته اقامته هناك في معرفة البلاط البابوي وسياسته. وللنجاح الذي احرزه وليام في أكثر من عمل، ازدادت ثقة عموري به حتى كلفه سنة ١١٧٠ بتعليم ابنه وولي عهده بلدوين الذي كان في التاسعة من عمره. وأصبحت رعاية هذا الأمير الصغير إحدى مسئوليات وليام، الذي ازدادت له بذلك فرص الاتصال بالملك وحاشيته واستقاء المعلومات عن أحداث الدولة التي كان يؤرخها. وفي نفس الوقت نشأ بين وليام والأمير بولدوين تعاطف وتقدير متبادل ظهرت نتائجه بعد اعتلاء الأخير للعرش.

وفي سنة ١١٧٤م، مات الملك عموري، وله من العمر ثمان وأربعون سنة، وفقد وليام بذلك صديقاً عزيزاً عليه. كما أن خلفه وهو بلدوين الرابع، تلميذ وليام، لم يكن قد بلغ بعد سن الرشد، إذ كان لا يزال في الثالثة عشرة من عمره. ولم يكن بلدوين قد أتم تعليمه كما كان ضعيفاً جسمانياً لاصابته بالجذام. ونتيجة لذلك فقد استأثر بالسلطة والاشراف على شئون المملكة أحد النبلاء الصليبيين وهو مايلز أف بلانسي Miles of Plancy، الذي عده وليام أسوأ مستشاري الملك الراحل. إلا أن هذا الأمير قد اغتاله بعض اعدائه في خريف نفس السنة. ووقع الاختيار بعد ذلك على ريموند الثالث أمير طرابلس ليكون وصياً على الملك. وقد عين هذا الأمير مؤرخنا وليام الصوري مستشاراً للمملكة. وتبع ذلك تنصيبه رئيساً لأساقفة كنيسة صور في ٦ يونيو ١١٧٥م. وهكذا أصبح لوليام مركزاً هاماً في شئون كل من الدولة والكنيسة في المملكة الصليبية. وفضلاً عن ذلك فعندما بلغ بلدوين الرابع السن القانوني لممارس سلطته سنة ١١٧٦، انتهت وصاية ريموند، وصار وليام المستشار الأول للملك.

وأصبح من المتوقع إذ ذاك أن وليام سيخلف عموري الذي اشتد به المرض، في المنصب الديني الأكبر في المملكة ألا وهو منصب بطريرك بيت المقدس. وكان هذا هو الأمل الأكبر لوليام الذي بدأ حياته على أساس الخدمة والترقي في سلك الكهنوت. وكان من البوارد التي أظهرت ذلك تعيين وليام على رأس الوفد الديني الذي أرسل إلى روما سنة ١١٧٨م بناء على دعوة

البابا. وقد وفق وليام فى مهمته ولفت نظر البابا بكفاءته ونشاطه حتى لقد كلفه بمهمة خاصة فى القسطنطينية، والمرجع أنها تعلقت بموضوع محاولة التوحيد بين كنيستى روما والقسطنطينية، الأمر الذى لابد وقد شجعته ميول الامبراطور مانويل اللاتينية.

إلا أن وليام على أثر عودته إلى المملكة الصليبية (حوالى سنة ١١٨٠) أصيب بخيبة أما فيما يتعلق بالحصول على منصب البطريرك، كما أن نفوذه السابق أخذ فى الضعف والاضمحلال. إذ أن تدهور صحة الملك بلدوين أدى إلى إثارة موضوع تعيين وصى على العرش. وقد اختلف نبلاء المملكة فى ذلك وقامت جماعتان متنافستان، الأولى وتتكون من الأمراء القدامى وعلى رأسهم ريموند أمير طرابلس، والأخرى وهى جماعة البلاط وأهم شخصياتها الأميرة سيبيلا أخت بولدوين ووريثة العرش وزوجها جى لوزنيان المغامر الفرنسى والملكة الأم أجنس. وكانت تلك الجماعة الأخيرة تعتمد على مجموعة من النبلاء الغربيين حديثى العهد بالأراضى المقدسة، وتمكنت هذه الجماعة من التغلب والاستئثار بالسلطة. وحيث أن وليام كان معروفاً باتصاله بريموند ومعارضته لجى لوزنيان، فلم يجد معاملة حسنة من جانب المسئولين الجدد. وهكذا فعندما مات البطريرك أماليك فى ٦ أكتوبر سنة ١١٨٠م، تخطت جماعة البلاط وليام بالرغم من كفاءته المعروفة، وعينت هرقليوس رئيس اساقفة قيسارية فى المنصب الشاغر. وهكذا أغلق دون وليام باب الترقى فى السلك الكنسى فى المملكة. وفضلاً عن هذا فبالرغم من أنه من الناحية الرسمية كان لا يزال مستشار المملكة فإنه عومل بإهمال وأصبح لا يعرض عليه من الأمور الا القليل النادر وفى المناسبات الضرورية. وهكذا فبعد أن كان فى سنة ١١٧٨ أكثر موظفى المملكة نفوذاً فإنه بعودته إلى بلاده كاد أن يصبح مسلوب السلطة والنفوذ.

ولم يكن وليام راضياً عن أحداث المرحلة الأخيرة من حياته. ففى الوقت الذى هدد فيه الصراع الداخلى بين جماعتى البلاط والنبلاء القدامى بتصدع

وحدة المملكة الصليبية، كان السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى يقوم بتجميع قوى المسلمين ويعد العدة للمعركة الفاصلة ضد الصليبيين. ونحن لا نعرف على وجه التحديد تاريخ وفاة وليام. ويرى المؤرخ كرى Krey أنها كانت قبل شهر مايو سنة ١١٨٥م، بناء على أنه فى هذا التاريخ عين نائب وليام ليخلفه كمستشار لمملكة بيت المقدس. أما رانسمان فيقول أن وليام بعد فشله فى الحصول على منصب البطريرك اعتزل إلى روما سنة ١١٨٣ ومات هناك قبل سنة ١١٨٧م. وعلى أية حال فقد كانت وفاة وليام فى العقد التاسع من القرن الثانى عشر الميلادى، وكان ذلك قبيل حدوث موقعة حطين واسترجاع المسلمين لمدينة بيت المقدس.

ومهما يكن من أمر، فإن وليام بحكم المناصب التى شغلها والاعباء التى اضطلع بها قد اتيحت له فرصة طيبة لمعرفة بواطن الأمور فى المملكة الصليبية ودراسة أحوالها ومشاكلها. وقد مكنه ذلك كله من الإجادة فى كتابته التاريخية. والواقع أن كتابه الذى وصل إلى أيدينا والذى اشتهر باسم «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر» جاء كثمرة نهائية لانتاجه التاريخى. وقد قام وليام أصلاً بوضع ثلاث كتب فى التاريخ، وهى حسب الترتيب الزمنى فى تأليفها:

1) "Gesta Amalrici regis" أعمال الملك عمورى

2) "Gesta Hiersolymitanorum regum" أعمال مملكة بيت المقدس

3) "Gesta orientalium prinicipum" أعمال الأمراء الشرقيين

وبشأن الكتاب الأول وهو «أعمال الملك عمورى» الذى شرع فى تأليفه بناء على رغبة الملك عمورى، فلا ندرى عما اتخذه وليام من خطوات فى أول أمره ليلم بكيفية كتابة التاريخ. ولكن من المعروف أنه أخذ يستجوب قادة الصليبيين الذين اشتركوا فى الحملة الأولى التى قام بها عمورى على مصر

وستفسرهم عما شاهدوه من أحداث. كما أن وليام اعتنى بدراسة ما سمعه ومحصه جيداً. وإن وزنه للأمور إذ ذاك يذكرنا بعمل القاضى الدقيق. ويغلب على الظن أنه كان يكتب نتائج بحثه بعد ذلك مباشرة. ومما يلاحظ فى هذا المجال اهتمام وليام بإدراج عدد من المسائل المتعلقة بحملات عمورى على مصر، ومن أهمها خصائص البلاد المصرية وخصال أهلها. وقد أعطى صورة تفصيلية للحياة فى بلاط الفاطميين فى القاهرة بالشكل الذى وجدها عليه الصليبيين. هذا ولم يفت وليام أن يوضح أهمية مركز مدينة الاسكندرية ونشاطها التجارى.

والظاهر أن أثناء محاولة وليام لوضع بداية تاريخ «أعمال الملك عمورى» اتضحت له وللملك الحاجة إلى كتاب فى التاريخ يوضح أحداث المرحلة السابقة لتاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية، منذ أن توقف المؤرخ فولشير الشارترى حوالى سنة ١١٢٧م. بل أن المؤلفات التاريخية السابقة أصبحت لا تكفى لاشباع رغبة الصليبيين فى التعرف على أحوال بلادهم حينئذ. ويبدو أن عمورى الشغوف بقراءة التاريخ، ووليام المضطلع بالكتابة عن عصر عمورى، قد رأيا أنه من الضرورى وضع كتاب آخر عن تاريخ المملكة فى عهدها السابق بدءاً من أخريات القرن الحادى عشر. وشرع وليام فى تصنيف هذا الكتاب الذى عرفه فى ثنايا كتاباته بإسم تاريخ «أعمال مملكة بيت المقدس». ولابد أن مؤرخنا قد واجه فى ذلك ما يواجهه المؤرخون الذين يحاولون الكتابة عن عهود سابقة. فقد اضطر للاعتماد فى تصنيف الجزء الأول من الكتاب على ما دونه المؤرخون السابقون. إلا أنه خالف غالبية مؤرخى العصور الوسطى فى طريقة الاعتماد على المصادر السابقة. فهو لم يكتف بالاعتماد على مصدر واحد، بل كان يرجع عادة فى معالجة الحدث الواحد إلى عدة مصادر، ان توافرت، ويقارنها ثم يبدى رأيه الخاص إذا إقتضى الأمر ذلك. والمعروف أنه كانت تحت تصرفه المصادر الخاصة بتاريخ الحقبة السابقة مثل «أعمال الفرنجة» ومؤلفات ريموند داجليز وولتر المستشار وفولشير الشارترى. هذا وكان وليام حريصاً بقدر

إمكانه فى عدم تقبل الروايات ذات الطابع الاسطورى أو التى تغلب عليها صبغة المبالغة.

ولقد أحرز وليام تقدماً فى كتابة التاريخين السابقى الذكر، بالرغم من تحمله مسئولية تربية إبن الملك. هذا وقد عهد إليه عمورى عبء جديد فى تدوين التاريخ. فإن هذا الملك أراد معرفة المزيد عن تاريخ المسلمين فى عصورهم السابقة. ولابد أن عظمة الحضارة التى شاهدها فى مصر عند قيامه بحملاته عليها، قد حركت فى نفسه الرغبة للتعرف على المزيد. ولذا فقد حث وليام على أن يكتب تاريخاً عن حكام الشرق وانجازاتهم منذ عصر النبى محمد حتى عهد وليام. ولكى يسهل القيام بهذه المهمة أمده بعدد من الكتب العربية. والمرجع أن هذه الكتب كانت أصلاً من مكتبة الأمير العربى أسامة بن منقذ التى صادرها الملك بولدوين الثالث عندما غرقت المركب التى كانت تحملها على مقربة من مدينة عكا. وقد نص وليام بالذات على استعانته بكتاب المؤرخ العربى سعيد بن البطريق. وفضلاً عن ذلك فلابد أن وليام وجد فى مدينة صور فرصة للحصول على المزيد من أخبار المسلمين وتاريخهم. فقد وجد فى هذه المدينة فى عصر وليام مساجد هامة يؤمها المسلمون وعلماؤهم. وأشار الرحالة إبن جبير الذى زار صور سنة ١١٨٤م وأمضى بها بعض الوقت، إلى ما لاحظه بها من العلاقات والتعايش السلمى بين المسلمين والمسيحيين. وكان هذا التاريخ الذى وضعه وليام عن المسلمين هو الذى عرف بإسم «أعمال الأمراء الشرقيين». إلا أن هذا الكتاب قد فقد ولم يصل إلى أيدينا.

ومهما يكن من أمر، ففى سنة ١١٨٢م، ووليام فى السنوات الأخيرة من عمره، كان كتابه «أعمال مملكة بيت المقدس» قد أوشك على الانتهاء ليكون بداية لكتاب «أعمال الملك عمورى». وقد قرر وليام حينئذ ادماج الكتابين ليكونا كتاباً واحداً جامعاً فى تاريخ مملكة بيت المقدس، وشرع فى تنفيذ ذلك. وكان هذا الكتاب الجديد هو الذى عرفه المؤرخون فيما بعد باسم «تاريخ الأعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر». وقد تبين وليام وهو فى مرحلة

تصنيف هذا الكتاب الأخير، الذى أراد أن يجعله مرجعاً للمسيحيين عامة للتعرف على تاريخ المملكة الصليبية، ضرورة إضافة بعض المعلومات إليه. ولذا تخير له بعض الأجزاء من كتاب «أعمال الأمراء الشرقيين». كما أدرج شيئاً عن تاريخ بيت المقدس منذ سقوطها فى أيدى الفرس سنة ٦١٤م حتى التبشير بالحملة الصليبية الأولى لاسترجاعها فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى. هذا وقد زود وليام هذا الكتاب الجديد بعدة فقرات عن المعارف الجغرافية والأثرية. ولابد أنه عند قراءة بعض الموضوعات التى دونها من قبل قد أعاد كتابتها على ضوء معلوماته وخبرته التامة. وفضلاً عن ذلك كله، فإنه دبج مقدمة قيمة لهذا الكتاب سنة ١١٨٤م. والمرجع أن هذه المقدمة كانت آخر ما أضافه وليام إلى كتابه الذى سجل أهم أحداث عصره حتى السنة المذكورة.

ونحن إذا أردنا الحكم على عمل وليام كمؤرخ، فمن أول ما يستلفت النظر فى هذا الصدد هو هذا التقدم الملحوظ الذى أحرزه هذا الرجل فى نهج الكتابة التاريخية مع ممارسة هذا العمل. فمع مرور الوقت إزدادت قدرته على نقد المصادر وتمحيصها، كما أصبح أكثر اهتماماً بالجوهر دون التفاصيل. هذا وإذا كان وليام فى أول الأمر لما أمسك بقلمه ليكتب التاريخ، يعمل على تلبية رغبة مليكه عمورى الذى كان يرغب فى تمجيد حكمه، فإنه بعد موت هذا الملك قد تغيرت مكانة وليام فى المملكة الصليبية وتغيرت بالتالى طريقة معالجته التاريخية واتضح ذلك فى كتاباته. وأصبح يقصد من ورائها نوعاً من التوجيه والإرشاد فى شئون الدولة. ثم أن بعد أن تغلبت جماعة البلاط واستأثرت بالسلطة، وضعف على أثر ذلك نفوذ وليام، عدل مؤرخنا فى أسلوبه فى الكتابة. إذ أصبح يكتب للمسيحيين الكاثوليك عامة، بغرض العمل على خدمة مصالح المملكة التى ينتمى إليها إلا وهى مملكة بيت المقدس الصليبية، وتأمين بقائهما. وقد وضع فى كتابه كل ما اكتسبه من دراية وخبرة للافادة.

وكان وليام يميل للنزاهة والانصاف فى كتاباته وأحكامه. وبصفة عامة نستطيع أن نقول أنه لم يخضع للتعصب العنصرى أو الدينى أو الطبقى على النحو الذى حدث لغالبية الكتاب الأوربيين المعاصرين. وقد قام فى عدة مواضع بامتداح أفراد من اللاتين والبيزنطيين بل كذلك المسلمين ومثال ذلك وصفه للملك العادل نور الدين محمد بأنه رجل حكيم فطن. فكان وليام على استعداد للاعتراف بمميزات المسلمين وما قام به بعضهم من أعمال مجيدة. كما أظهر وليام اهتمامه ببيان مظاهر الحياة اليومية والصناعات والعمارة والحياة الاجتماعية، هذا إلى جانب المسائل العسكرية والكنسية والدبلوماسية وسائر شئون الدولة.

ولقد تبوأ وليام بفضل كتاباته مكانة مرموقة بين المشتغلين بالأدب اللاتينى فى العصور الوسطى، وتميز أسلوبه بالتزام الدقة فى مراعاة قواعد النحو، كما كان يتمتع بثروة لغوية كبيرة. ويدل تاريخ وليام على إلمامه بالأدب الكلاسيكي وتذوق له. ويتضح هذا بشكل خاص فى الاجزاء التى وضعها فى سنواته الأخيرة. وقد اقتبس وليام فى عدة مواضع من مؤلفات فيرجيل وأوفيد وشيشرون وغيرهم.

والمسائل الرئيسة التى تأخذها على تاريخ وليام عدم الدقة فى تحديد سنى الأحداث. حقيقة أن معظم الحوليات التى وضعت فى العصور الوسطى لم تسلم من هذا الخطأ، إلا أنه كان على نطاق كبير نسبياً فى تاريخ وليام. حقيقة أنه كان دقيقاً فى الترتيب الزمنى للأحداث المتعلقة بموضوع واحد، إلا أن مشكلته قامت عندما كان يكتب عن موضوعات مختلفة لا ارتباط بينها إلا التقارب الزمنى. ولابد أن بعض هذا الخطأ الذى وقع فيه وليام يرجع لعدم تلقيه فى الأصل التدريب المنظم للكتابة فى التاريخ. ومن أسباب ذلك أن وليام لم يعتد كما يبدو، تحويل التقاويم المسيحية والهجرية التى جاءت فى المصادر المختلفة والتى رجع إليها، إلى نظام موحد. والظاهر أنه لم يتبين ضرورة التوفيق بين التقاويم المختلفة إلا فى مرحلة متأخرة من حياته وذلك عندما أخذ يصنف

تاريخه الكبير جامعاً بين كتابيه الأول والثاني وأجزاء من كتابه الثالث. وقد حاول بعض المؤرخين المتحمسين لوليام تبرئته من مسئولية هذا الخطأ، مثل المؤرخ ستيفنسن الذي قال أن الحساب الزمني الذي جاء في تاريخ وليام إنما كان من وضع كاتب آخر في فترة تالية. ولكن بالاطلاع على ما جاء في مقدمة هذا الكتاب التي وضعها وليام، نتبين بشكل واضح مسئولية هذا المؤرخ عن خطئه في هذا الجانب.

ومهما يكن من أمر، فإن كتاب وليام الذي اشتهر باسم «تاريخ الأعمال التي تمت في بلاد ما وراء البحر» يشغل مركزاً رئيسياً بين المصادر اللاتينية التي وصلتنا عن تاريخ الحركة الصليبية. فهو المصدر الرئيسي عن العصر الممتد من سنة ١١٢٧ حتى سنة ١١٨٤م. كما أنه بطريقته الخاصة في معالجة تاريخ المرحلة السابقة على سنة ١١٢٧م قد أصبح ملحقاً هاماً للمصادر السابقة عليه. ولمقدمة هذا الكتاب التي وضعها وليام في أخريات أيامه، أهمية خاصة في تقدير عمله كمؤرخ. فقد ضمن في هذه المقدمة خلاصة تجربته في كتابة التاريخ ووضح وليام فيها الصعاب التي تواجه المؤرخ وجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه، ونص على ضرورة مراعاة الدقة والأمانة المطلقة في أداء هذا العمل. وبالرغم من أسلوبه الأدبي الرفيع بالنسبة لكتاب عصره، فقد شعر وليام بحساسية شديدة وخشي ألا يكون أسلوبه متناسباً مع أهمية الموضوعات إلى الميدان. وإن أسلوب المؤرخ يجب أن يكون على نفس المستوى العالي للأعمال التي يتصدى لها. هنا ويجب ألا تنزل لغة الكاتب وهمته عن أهمية موضوعه. ولذلك فإن مما نخشاه كثيراً، أن يضعف سوء المعالجة أهمية الموضوع، وقد تبدو الأعمال الهامة ذات القيمة الجوهرية غير ذات شأن وتافهة بسبب الخطأ في عرضها. وكما لاحظ الخطيب المرموق شيشيرون Cicero في الحوار التسكولي الأول: «أن تدوين الأفكار الإنسانية دون القدرة على تنسيقها وعرضها بشكل واضح، واجتذاب القارئ بأية طريقة مشوقة، لهو عمل رجل جاهل يسئ إلى الأدب، ولا يحسن استغلال وقت فراغه».

ويبدو أننا وقعنا في كتابنا هذا في مخاطر وحيرة ذات جوانب متعددة لأننا أدرجنا في هذه الدراسة التي نقوم بها الآن، على ما يقتضيه تتبع الوقائع وتسلسلها، كثيراً من التفاصيل عن صفات الملوك وسيرهم واتجاهاتهم الشخصية، بغض النظر عما إذا كانت هذه الحقائق حميدة أو موضعاً للتجريح. ولقد يجد المخالفون لهؤلاء الملوك، أثناء تصفحهم لهذا الكتاب، صعوبة في تقبل ما ورد به، ويغضبون على المؤرخ في موضع لا ملام عليه. وسوف يعتبرونه كاذباً أو غيوراً. ولقد حاولنا تجنب التهمتين كلتيهما تجنب الطاعون ما دام الرب موجوداً.

وفيما عدا ذلك، فلا ريب أننا جازفنا بالقيام بعمل يفوق استعدادنا بمراحل. وكان مستوى أسلوبنا لا يتناسب بأي حال مع أهمية الموضوع. إلا أننا قد أنجزنا في ذلك شيئاً ما. ونحن في ذلك كالرسامين المبتدئين الذين لم يقفوا على أسرار الفن بعد، والذين لا يسمح لهم غالباً إلا بمجرد وضع الخطوط الأولى للصورة واستعمال الألوان الأولية. ثم تضيف بعد ذلك يد رسام أكثر خبرة، لمسات الجمال الأخيرة، عن طريق استعمال ألوان أكثر رقياً. وهكذا، فقد سلكنا بدقة طريق الحق ولم نحد عنه مطلقاً. ولقد أرسينا بجهد غير قليل، الأسس قد يشيد عليها رجل آخر أكثر منا علماً، بناء أدق إتقاناً بفضل براعته في عمله.

وحيال هذا العديد من التعقيدات والأخطار الخافية التي تحيط بهذه المهمة، كان من الأسلم جيداً لو التزمت الصمت. وكان الأحرى أن أمسك لساني وأجبر قلمي على السكوت. ولكن دفعني إلى ذلك حبي الجارف لوطني. فإن المرء ذا النزعات الوطنية يضحي بحياته في سبيل وطنه حين يدعو داعي الزمن إلى ذلك. وأكرر أن الوطن استحثني على ذلك. وبفضل ماله من سلطان، فقد قضى أن تلك الأمور التي حققها في نحو قرن من الزمان، يجب ألا تدفن بهدوء أو يسمح لها بأن تدخل في طي نسيان لا يليق بها. بل وعلى العكس، فقد أمرني – الوطن – بالمحافظة عليها عن طريق المثابرة في استعمال قلمي، وذلك

من أجل نفع الخلف. وبناء على ذلك، فقد امتثلنا لمشيئته، ووضعنا أيدينا فى عمل لا يليق بنا أن نرفضه. ونحن لا نأبه كثيراً بما يكون عليه نقد الخلف لنا، أو ما يصدرونه من حكم على أسلوبنا الضعيف فى الكتابة أثناء معالجة هذا الموضوع المجيد. ولقد لبينا النداء حقاً، ونرجوا أن تكون ثمرة عملنا نافعة بقدر ما صاحبه من حماسة، كما نرجوا أن تكون جديرة بالثناء بقدر ما كرس لها من جهد. فقد اجتذبنا سحر أرض وطننا فأقبلنا على هذا العمل، على ما فى قدرتنا من نقص، وما يتطلبه العمل من جهد، وبدون الاعتماد على مساعدة أى مؤرخ نابه.

وفضلاً عن هذه الحوافز، فلقد أمرنى بذلك الملك عمورى الأول، ذو الذكرى المجيدة وصاحب السجل المرموق فى خدمة الرب، رحم الله روحه المقدسة. وإن هذا الأمر، مع الأسباب الهامة الأخرى، دفعنى على وضع هذا الكتاب. كما أننا قد ألفنا كتاباً آخر فى التاريخ، بناء على رغبة الملك الذى أمدنا بالوثائق العربية اللازمة. وكان مصدرنا الرئيسى فى هذا المصنف كتاب بطريرك الاسكندرية المبجل سعيد بن البطريق. وكتابنا هذا، يبدأ من عهد النبى محمد ويمتد خلال خمسمائة وسبعين سنة حتى عامنا الحاضر وهو ١١٨٤ بعد ميلاد المسيح.

وعلى أية حال، فلم يتوافر لدينا أى مصدر أغريقى أو عربى للاعتماد عليه فى مصنفنا الحالى. وباستثناء بعض الوقائع التى عايناها بأنفسنا فقد اعتمدنا على الأحاديث المنقولة. واتبعنا الترتيب الزمنى للأحداث. ويبدأ كتابنا برحيل هؤلاء الرجال والقادة الشجعان المقربين للرب، تلبية لندائه، وخروجهم من ممالك الغرب، وانتزاعهم بأيديهم القوية أرض الميعاد ومعظم بلاد الشام. ومن هذه النقطة تتبعنا التاريخ بكل أمانة لمدة أكثر من أربعة وثمانين عاماً، حتى عهد بولدوين الرابع، الذى يحتل المكان السابع فى قائمة الملوك، إذا ما أدخلنا فى الاعتبار اللورد جودفرى، الذى بدأ الحكم هناك بلقب دوق. ولكى نيسر على من يريد أن يحصل على معلومات أكثر شمولاً عن حالة البلاد

الشرقية، فقد بينا فى مطلع كتابنا فى إيجاز، أوضاعها وهى تحت نير العبودية وما تحملته من آلام مبرحة. ووصفنا كذلك أحوال المؤمنين - المسيحيين - الذين أقاموا فى هذا الحين بين «الكفرة» أى المسلمين فى هذه البلاد، ثم ما حدث عقب ذلك. فبعد تلك المرحلة الطويلة من العبودية أيقظت هذه الأوضاع أمراء ممالك الغرب ليضطلعوا بمهمة الحج بغرض تحرير أخوتهم.

وإذا كان للقارىء أن يقدر ما ألقى على عاتقنا من أعباء، لتبين له أننا ننوء بالمسئوليات العديدة. فأولاً علينا مسئولية كبيرة تتمثل فى مهام كنيسة صور الشهيرة القائمة تحت رعاية الرب، والتى وقع الاختيار علينا لرئاستها، بنعمة الرب، لا بفضل جدارتنا. وعلينا ثانياً عبء خدمة مولانا الملك الذى نشغل فى قصره المقدس منصب المستشار. وهناك كذلك مشاكل أخرى عاجلة تظهر من وقت إلى آخر وتتطلب منا الاهتمام. وإذا ما كانت هذه الحقائق موضع اعتبار، فيجدر بالقارئ، بل ويحق له، أن يكون أكثر ميلاً للتسامح معنا إذا ما وجد فى هذا الكتاب ما يؤاخذنا عليه. فإن المرء عندما يكون منشغلاً بمسائل كثيرة متباينة، يتعذر على ذهنه أن يواجه كلا منها ويمعن الفكر فيها بنفس القوة والاهتمام. ومن المحال أن يكرس المرء جهداً كبيراً لكل موضوع حين يكون الاهتمام مشتتاً على هذا النحو. هذا غير الحال التى يكون فيها النشاط الفكرى مخصصاً كلياً لأمر واحد. وفى مثل هذه الظروف، لا يكون كثيراً على المرء أن يكون متسامحاً.

ولقد قسمنا المصنف إلى ثلاثة وعشرين كتاباً، وكلا من هذه الكتب إلى عدد معين من الفصول حتى يسهل على القارئ الحصول على ما يبحث عنه فى أجزائه المختلفة. وفى عزمنا، إذا قدر الرب لنا البقاء، أن تضيف من وقت لآخر، إلى ما كتب من قبل، الأحداث المعاصرة التى قد تبرز أهميتها تطورات المستقبل. وسوف نزيد كذلك فى عدد الكتب بحكم ما قد يقتضيه حجم مادة الموضوع.

ونعتقد، ونحن غير مخطئين في اعتقادنا، أن هذا الكتاب، يشهد على عدم خبرتنا. فإننا عند تدوينه، رغبة في اطاعة ما تمليه العاطفة، أظهرنا من النقائص ما كان من المحتمل أن يبقى خافياً، لو أننا التزمنا الصمت. ومهما يكن من أمر، فإننا نؤثر أن نبدوا مفتقرين إلى ما يجلب الاطراء بدل أن نقصر في خدمة العلم. وأن كثيرين ممن يأتون إلى العرس، دون أن يتحلوا بالصفة الأولى، يعتبرون أهلاً للجلوس إلى مائدة الملك. ولكن أولئك الذين يحضرون بين الضيوف دون أن تتوافر لهم الصفة الأخرى، فإن عليهم أن يسمعوا الكلمات الآتية: «كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس» ولعل الرب القادر وحده على أن يمنح ذلك برحمته الكريمة، يحول دون وقوعنا في هذا المصير.

ومهما يكن من أمر، فنحن ندرك جيداً أن الخطأ قرين دائماً للإطناب، وأن لسان العبد المسكين الفاني يكتبه في الذنب. وعلى ذلك، فإننا بروح المحبة الأخوية، ندعو قارئ كتابنا ونستحثه برسم المسيح، أنه إذا وجد نقطة جديرة بالنقد، ألا يتردد في نقدها ولكن برحمة حقيقية. فهو بتصحيح خطيئتنا سوف ينال لنفسه ثواب حياة خالدة.

ولعل - القارئ - يذكرنا في صلواته، وبذلك يحقق لنا شفاعة عند المسيح، حتى أننا كلما وقعنا في خطأ في هذا الكتاب لم يوردنا ذلك مورد الهلاك. ولعل مخلص العالم - المسيح - بفضل إحسانه الوفير، ورحمته التي لا تغفل، يغفر لنا بكرمه. فإننا كخادم بائس وغير ذي نفع في بيته نشعر بالحاح ضميرنا في لومنا، ونحن معنون في الخوف من حساب الرب.

وفيما يتعلق بمؤرخي الحملة الصليبية الثانية فنجد على العكس كثيراً عن الحملة الأولى، فلا يوجد مصدر واحد كامل عن الحملة الثانية من بين المصادر الغربية أو البيزنطية أو غيرها، ولنبدأ ببعض الخطابات التي تخص هذه الحملة.

والخطاب الأول يتعلق بالبابا يوجين الثالث ودعوته إلى الحملة، والخطاب المؤرخ في الأول من ديسمبر عام ١١٤٥م، وبعد الديباجة ذكر البابا أن كنيسة روما قد لعبت دوراً كبيراً في تحرير الكنيسة الشرقية، ولقد نجح الوثنيون (أي المسلمون) في الاستيلاء على مدينة الرها بقوة السلاح وأن رجال الدين الصليبيين قد ذبحوا، وأن المخلفات المقدسة قد وطأتها أقدام الكفرة (المسلمين)، لذلك يدعو البابا إلى حملة صليبية ثم قدم الامتيازات للصليبيين مثلما قدمت في الحملة الأولى.

أما الخطاب الثاني حسب الترتيب الزمني فهناك خطاب موجه إلى الملك كونراد الثالث ملك ألمانيا مؤرخ في مارس عام ١١٤٧م. وفيه يخبر البابا أنه اتخذ عدته ورتب أمور دولته للذهاب إلى الأراضي المقدسة لقتال المسلمين.

والخطاب الثالث مؤرخ في يناير أو فبراير عام ١١٤٨م، وهذا الخطاب موجه من الملك كونراد إلى ويبالد رئيس دير كورفي Wibald of Korvey، وفي هذا الخطاب يخبر الملك رئيس الدير ويبالد بأنه وصل بالقوات الألمانية إلى مدينة نيقية بسلام، وأنه تقدم إلى مدينة قونية (عاصمة سلطنة سلاجقة الروم) وأنه في الطريق المباشر ومعه بعض المرشدين البيزنطيين ليدلوه على الطريق، وأنه حمل معه كثيراً من الإمدادات التي يمكن حملها، وأن المؤن بدأت في النفاذ بعد عشرة أيام خاصة مؤن الدواب، ثم هجوم الأتراك السلاجقة على القوات الألمانية خاصة قوات المشاة، وتحت وطأة الضربات ارتد الجيش الألماني إلى بحر مرمرة، ووصول الجيش الفرنسي بقيادة ملك فرنسا لويس السابع وزيارته للملك كونراد في خيمته، وإمداد الملك لويس للقوات الألمانية بالمال وما

يحاجرونه، وتقدم القوات الفرنسية ومعظم القوات الألمانية عدا الملك كونراد إلى مدينة إفسوس، وعندما علم الإمبراطور اليوناني (البيزنطي) بما حدث للقوات الألمانية سارع إليها وقدم لها العون وأخيراً رحيل القوات الألمانية إلى القدس في السابع من مارس عام ١١٤٨م. ورغم أن هذا الخطاب مختصر للغاية فإن فيه الرد الكافي على مزاعم المصادر الصليبية بأن الإمبراطور البيزنطي مانويل كان السبب في هزيمة القوات الصليبية في آسيا الصغرى.

والخطاب الرابع موجه من الملك الفرنسي لويس إلى سوجر Suger رئيس دير القديس دنيس St. Denis والوصي على المملكة الفرنسية. وهذا الخطاب مؤرخ في مارس أو أبريل ١١٤٨م من مدينة أنطاكية. والخطاب عبارة عن موجز لخط سير الحملة الفرنسية منذ رحيلها من فرنسا ووصولها إلى القسطنطينية، ثم تقدمها عبر البسفور إلى آسيا الصغرى ووصولها عبر هذه الأراضي، والمعاناة التي لقيها الجيش الفرنسي بسبب خيانة الإمبراطور البيزنطي أو أخطاء داخل صفوف الحملة، وتعذر الحصول على الإمدادات وموت بعض القادة الفرنسيين في تلك المرحلة، ومهاجمة الأتراك السلاجقة للقوات الفرنسية حتى وصلت إلى مدينة أضاليا. ونظراً لهلاك معظم الخيول من الجوع أو قسوة الطريق، فقد أبحر الملك الفرنسي وحاشيته بالسفن إلى أنطاكية في العاشر من مارس عام ١١٤٨م.

أما الخطاب الخامس موجه من الملك الألماني كونراد إلى ديبالد يخبره فيه أنه بصدد العودة إلى أرض الوطن بعد انتهاء أعمال الحملة، وستكون العودة في الثامن من سبتمبر عام ١١٤٨م. وفي هذا الخطاب يتكلم كونراد عن حصار القوات الصليبية لمدينة دمشق وأنها كانت على وشك الاستيلاء على المدينة، وبخيانة بعض الصليبيين المحليين تحولنا من مواقعنا إلى مواقع أخرى حيث لا يوجد ماء، ولا يمكن الوصول منه إلى المدينة، ولذلك تراجعنا عن مهاجمة المدينة ومن ثم فشل الحملة، وتوجه قوات الحملة لمهاجمة مدينة عسقلان وقد

ظلت طوال ثمانية أيام ولكنها لم تقاتل القوات الإسلامية وعادتها إلى قواعدها، وأنها سوف تعود إلى أوربا.

وفيما يتعلق بالخطاب السادس فقد كتبه بطرس أف كلوني Peter of Cluny إلى روجر الثاني Roger II ملك صقلية ١١٢٩ - ١١٥٤م يطلب منه بطرس أن يتوسط بينه وبين الملك كونراد الثالث لمهاجمة الإمبراطورية البيزنطية عقاباً لها على خيانتها لقوات الحملة الثانية. وهذا الخطاب موقع في حوالي عام ١١٥٠م. وأن الحل الوحيد للقضاء على قوة المسلمين هو السيطرة على الإمبراطورية البيزنطية، كما تكلم عن الخيانة البيزنطية للقوات الصليبية التعيسة.

- حولية فورزبورج:

يضاف إلى هذه الخطابات ما ورد في حولية فورزبورج Würzburg Annals، وما ورد في هذه الحولية هو موجز للغاية، فقد ورد فيها الغرض من الحملة ودور الكنيسة في هذه الحملة وأن كاتب الحولية عرف من مصادره الخاصة أن البابا أوعز إلى برنارد رئيس دير كليرفو Abbot Bernard of Clairvaux أن يكتب إلى الملك الألماني والملك الفرنسي وملك إنجلترا وإلى كل الملوك يحثهم علي الاستعداد للحملة. وفي هذه الحولية يسجل كاتبها خيبة أمله لفشل الحملة.

- أودو أف ديل:

وقد صاحب الحملة الثانية إثنان من المؤرخين، الأول هو المؤرخ الألماني أوتو أف فرايزنج الذى صاحب القوات الألمانية. وللأسف أن هذا المؤرخ قد ذكر صراحة في كتابه أعمال الإمبراطور فريدريك بارباروسا السابق الإشارة إليه أنه سوف لا يكتب عن هذه الحملة باعتبارها حملة فاشلة.

أما المؤرخ الثاني فهو المؤرخ الفرنسي أودو أف ديل Odo of Deuil

الذى كتب عن الحملة الثانية فى كتابه «حملة لويس السابع فى الشرق، De Profection Ludovice in Orientem»، وتاريخ ميلاد هذا المؤرخ ليس معروفاً لدينا، ولكن ما هو واضح أمامنا أنه دخل فى السلك الكنسى منذ بداية حياته حتى أصبح راهباً فى دير القديس دنيس بالقرب من باريس، وقد عين هذا المؤرخ واعظاً للقوات الفرنسية فى الحملة الصليبية الثانية. كما صاحب لويس فى حملته وعاد إلى بلاده فى عام ١١٤٩م أى بعد نهاية الحملة ثم ما لبث أن عين رئيساً لدير القديس دنيس فى عام ١١٥٢م وظل فى منصبه هذا بقية حياته.

وقد كتب أودو عن الحملة الفرنسية منذ أن كانت فكرة واجتماع فيزلاى Vezelay فى أواخر مارس عام ١١٤٦م والدعوة إليها وإعداد القوات الفرنسية ومسيرتها من فرنسا فى طريقها إلى آسيا الصغرى، وانتهى عند المرحلة التى وصلت فيها القوات الفرنسية وبقايا القوات الألمانية إلى مدينة أضاليا الواقعة فى الطرف الجنوبى الشرقى على ساحل البحر المتوسط ورغبة الملك لويس الذهاب إلى مدينة أنطاكية الصليبية فى بلاد الشام، كما تناول جانبا من الأحداث التى لحقت بالجيش الألمانى تحت قيادة الملك كونراد. ومما يلفت النظر أن المؤرخ كتب فى تاريخه جملة عن حصار دمشق، وهذا ما يجعلنا نشك أن المؤرخ قد أكمل تاريخ الحملة خاصة أن الحملة قد جاءت لانقاذ الرها وليس لمهاجمة دمشق، وأن حصار المدينة لم يتقرر إلا بعد إنعقاد مجلس الحرب الذى عقده الصليبيون فى عكا بعد وصول لويس وكونراد إلى بلاد الشام فى الرابع والعشرين من يونيه عام ١١٤٨م، مع ملاحظة أن الملك كونراد غادر القسطنطينية فى مارس عام ١١٤٨م. ولعل ما كتبه المؤرخ عن بقية أحداث الحملة قد فقد، أو أن أحد النساخ قد أضاف هذه العبارة إلى النص الأصلى.

والواقع أن ما قدمه المؤرخ من مادة تاريخية عن الحملة وكذلك علاقتها بالإمبراطورية البيزنطية يعتبر فى غاية الأهمية، وهو ما لا نشاهده فى أى مصدر آخر، كما أمدنا المؤرخ ببعض العلاقات البيزنطية السلجوقية قبل وصول

الحملة إلى آسيا الصغرى. وأهم ما قدمه لنا فى هذا الجانب أخبار الهدنة السلجوقية البيزنطية، وقد أشار إليها المؤرخ بأن مدتها كانت إثنتى عشر عاماً. كما أمدنا أيضاً بموقف روجر الثانى ملك صقلية وعن حملته البحرية ومهاجمته جزيرة كورفو Corfu البيزنطية. ومن الملاحظ على المؤرخ عداءه الشديد للبيزنطيين بعامة والإمبراطور مانويل بخاصة لدرجة أنه لم يذكر فى مؤلفه إسم الإمبراطور مانويل وأنه أشار إليه بعبارة إمبراطور اليونانيين أو عبارة إمبراطور القسطنطينية أو اكتفى بكلمة الإمبراطور. ورغم ذلك كله فقد أشار المؤرخ إلى الخدمات التى قدمها الإمبراطور مانويل والنصائح التى قدمها إلى كل من كونراد ولويس قبل عبورهما وقواتهما إلى آسيا الصغرى حتى تتفادى القوات الصليبية الهجمات السلجوقية وهى فى طريقها إلى آسيا الصغرى.

وعلى أية حال فان ما يعوضنا بعض الشئ عن ندرة مصادر الحملة الثانية بعض ما أورده المؤرخ الشهير وليم الصورى، ولعل أهم ما قدمه لنا أثناء مرور الحملة آسيا الصغرى المعاناة التى لقيتها القوات الصليبية وخداع المرشدين البيزنطيين لهذه القوات وهروبهم فى آخر الأمر. كما أن المؤرخ وليم الصورى قد قدم لنا أيضاً الأحداث المتعلقة بالحملة منذ دخولها إلى بلاد الشام ومجلس الحرب ومهاجمة دمشق وعسقلان والعلاقات بين قوات الحملة الثانية والقوات الصليبية المحلية. وبالإضافة إلى ذلك فهناك المؤرخون البيزنطيون والأرمن والسريان خاصة المؤرخ السريانى المجهول وهو ما سيرد ذكره فى الموقع المناسب لهذا الكتاب.

- خطاب إيمرى أف ليموج:

وبعد الحملة الصليبية الثانية يظل المؤرخ وليم الصورى هو المصدر الرئيسى حتى عام ١١٨٤م، وتوجد بعض الخطابات فى هذه الفترة الزمنية لعل أهمها الخطاب الذى أرسله إيمرى أف ليموج Aimery of Limoges بطريرك

أنطاكية (١١٤٠ - ١١٩٣م)، ويرجع هذا الخطاب إلى الانتصار الكبير الذى أحرزه نور الدين زنكى على القوات الصليبية فى أنطاكية وطرابلس والقوات الأرمينية والبيزنطية الموالية للصليبيين وأسر بعض الأمراء، فى المعركة المعروفة باسم معركة حارم عام ١١٦٤م. وفى هذا الخطاب الصادر فى العام نفسه بعد المعركة يستصرخ البطريرك الملك لويس السابع ملك فرنسا الموجه إليه الخطاب. وموجز هذا الخطاب أن سقوط مدينة الرها فى عام ١١٤٤م يعتبر بداية النهاية للإمارات الصليبية، وأن الحملة الصليبية الثانية فشلت تماماً فى تقديم أى نجدة عسكرية أو القيام بأى عمل عسكرى ضد المسلمين، وأن الأمارات الصليبية أصبحت فى حالة من الضعف الشديد، وإنه لا توجد قوات صليبية كافية لحماية الأراضى الصليبية حتى اضطر رجال الدين إلى حمل السلاح أمام هجمات نور الدين على مدينة حارم طوال الليل والنهار. ويعتبر هذا الخطاب صرخة استغاثة إلى الملك الفرنسى لنجدة الامارات الصليبية، وأن الأمل أصبح معقوداً عليه أكثر من أى ملك من ملوك أوربا. وقد لفت نظرى هذا الخطاب وقمت بدراسته دراسة متأنية وقدمت عنه بحثاً فى مؤتمر الصليبيون والشرق الذى اقامته الجمعية التاريخية اللبنانية فى بيروت من الثانى إلى الرابع من ديسمبر عام ١٩٩٩م.

وهناك خطاب آخر فى غاية الأهمية، وهذا الخطاب ليس له مرسل محدد وأنه صادر من الشرق إلى مقدم طائفة الاستبارية فى ايطاليا ومؤرخ بعام ١١٨٧م، ومن الأحداث المسجلة فى هذا الخطاب يتضح منه أنه استغاثة صادرة من الصليبيين فى الشرق بعد انتصار صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين فى معركة حطين وقبيل استرداد صلاح الدين لمدينة بيت المقدس.

وفى هذا الخطاب وردت بعض الأحداث التاريخية وأوردها حسب ورودها فى الخطاب بداية من أحداث صفورية وطبريه ودور ملك مملكة بيت المقدس والأمراء الصليبيين خاصة أمير طرابلس وفرسان الداوية والقتال الضارى الذى وقع بين المسلمين والصليبيين، وأن صلاح الدين أرسل تقى الدين ومعه عشرين

ألفاً من خيرة القوات الإسلامية. كما أن القوات الإسلامية كانت تغطى وجه الأرض. كما ورد فى الخطاب سقوط بعض المدن فى يد صلاح الدين مثل صفورية وجبل الطور وعكا ويافا والرملة ونابلس وغزة. ولكن هناك بعض المدن التى لم تسقط بعد وهى فى انتظار النجدات الأوربية مثل القدس وعسقلان. ومن ذلك يتضح أن الخطاب مؤرخ قبيل سقوط مدينة القدس فى العشرين من أكتوبر عام ١١٨٧م.

ومن المصادر المتعلقة بالحملة الصليبية الثالثة المرسوم الذى أصدره الملك الانجليزى هنرى الثانى، وهذا المرسوم يعرف باسم عشور صلاح الدين، وفى هذا المرسوم قرر الملك أن على كل فرد أن يدفع عن طيب خاطر عُشر دخله وما يساوى عشر قيمة الممتلكات المنقولة من أجل العمل على استعادة مدينة بيت المقدس، وقد شكلت لجان لهذا الغرض فى كل أبرشية لجمع هذه الأموال، ويعفى من دفع هذه القيمة رجال الدين والفرسان الذين يتقدموا لصفوف الحملة. والحقيقة أنه يوجد العديد من الخطابات حول الحملة الثالثة صادرة من شخصيات صليبية فى بلاد الشام ومن بعض حكام أوربا بالإضافة إلى البابا، وعلى الباحث أن يتعامل مع هذه الخطابات باعتبارها مصدراً من مصادر الحملة الثالثة.

وإذا كنا ذكرنا أن وليم الصورى هو عمدة مؤرخى الحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى وربما بعد ذلك، فإن هناك كتاب ظهر حديثاً عرف باسم ذيل أو تتمه أو تكملة وليم الصورى، وهذا الكتاب كتبه مؤرخ مجهول أراد به إكمال كتاب وليم الصورى، وقد اصطلح المؤرخون على تسمية هذا التكملة باسم الحملة الصليبية الثالثة. ويحتوى هذا الذيل على أحداث الفترة من ١١٨٤ - ١١٩٧م. والواقع أن هذا الكتاب ليس له سوى مخطوط واحد موجود فى مكتبة بلدية مدينة ليون الفرنسية. وقد نشر هذا الذيل لأول مرة فى عام ١٩٨٢م تحت اسم: Margaret Ruth Morgan (ed.)

La Continuation de Guillaume of Tyre, 1184- 1197, Paris 1982.

والحقيقة كما ذكرت أن وليم الصورى باعتباره عمدة مؤرخى الحروب الصليبية وأن كتابه يحتوى على مادة تاريخية تشمل فترة زمنية كبيرة بالنسبة للمصادر الصليبية الأخرى، إعتبر مثلاً يحتذى به وسار على نهجه من كتب بعده إلى حد كبير سواء أكان مؤرخاً مجهولاً أو معلوماً.

وهذا الذيل يتضمن مائة وثمانية وثمانون موضوعاً بدأ بالحديث عن الملك بلدوين الرابع وانتهى بموت الامبراطور الألمانى هنرى السادس ورحيل قوات الحملة الصليبية الألمانية عن بلاد الشام فى عام ١١٩٧م.

وقد تناولت بقية فصول الكتاب أحداثا فى غاية الأهمية تتعلق بالصراع الإسلامى الصليبى وإن كانت بعض الموضوعات الخارجة عن هذا الصراع مثل اغتيال توماس بكت رئيس اساقفة كانتربرى فى انجلترا عام ١١٧٠م.

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن كافة الموضوعات ولكنه يمكن القول أنها تناولت بعض الأحوال الداخلية للصليبيين، ثم استنفار صلاح الدين للقوات الإسلامية واضطراب المعسكر الصليبى ومعركة حطين وسقوط بعض مدن الساحل الصليبية فى يد المسلمين واستبسال مدينة صور، واسترداد صلاح الدين لبيت المقدس ورحمة صلاح الدين بالنساء الصليبيات، وقدوم الإمبراطور فريدريك برا عبر الأراضى البيزنطية إلى آسيا الصغرى ثم غرقه، وصدى استرداد القدس عند الغرب الأوربى، والإرهاصات التى سبقت قيام الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب أوغسطين ملك فرنسا، وكيف تعامل ريتشارد مع حاكم جزيرة قبرص، وسقوط مدينة عكا فى يد قوات الحملة الثالثة، ومصرع كونراد دى مونتفرات على يد الحشيشية، والمعارك الحربية ضد صلاح الدين، وعودة فيليب أوغسطس إلى بلاده وتوتر العلاقات بين الملك الإنجليزى والفرنسى، وجانباً من مفاوضات الملك ريتشارد مع صلاح الدين، وعودة ريتشارد إلى بلاده بعد توقيع الهدنة مع صلاح الدين، ووقوعه فى الأسر، وأخيراً بعض الأحداث التى وقعت فى بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين، واسترداد المسلمين لمدينة يافا، والحملة الألمانية.

وقبل أن أختم الحديث عن هذا الكتاب أود أن أتوجه بعظيم الشكر والتقدير وأقر بالعرفان بالجميل للعالم الكبير المرحوم الأستاذ الدكتور حسن حبشى أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة عين شمس على الجهد الكبير الذى بذله فى ترجمة هذا المصدر الهام إلى اللغة العربية والذى صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب فى عام ٢٠٠٢م فى السلسلة القيمة لتاريخ المصريين التى يشرف برئاسة مجلس إدارتها الأستاذ الدكتور سمير سرحان، ورئاسة تحرير الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان، وإدارة تحرير الأستاذ محمود الجزار.

- إرنول :

ويواكب هذا الذيل ذيلان آخران. أولهما يمتد من حيث انتهى وليم الصورى فى عام ١١٨٤م حتى عام ١١٩٨م وهو فيما يبدو التاريخ المفقود الذى ألفه إرنول Ernoul أو برنارد متولى الخزانة Bernad The Treasuer الذى ينتهى عند عام ١٢٢٩م.

أما المصدر الثانى أو الذيل الثانى فهو تاريخ هرقل Estoire d'Eracles، وهناك نسخ لهذا المخطوط تتفق مع تاريخ إرنول ولكن هناك نسخ أخرى تنتهى عند ١٢٤٨، وأخرى حتى عام ١٢٦٦م وثالثة حتى عام ١٢٧٥م، والأخيرة حتى عام ١٢٧٧م.

وقد تكلم إرنول فى بداية كتابه عن موت الملك جودفرى أول حاكم لمملكة بيت المقدس وحكم خليفته بلدوين الأول ثم بلدوين الثانى، وعن الداوية فى عام ١١١٨م وموت بلدوين الثانى (١١٣١- ١١٤٤م)، ثم حكم فولك أف أنجو ١١٤٤ - ١١٦٢م، وتولية عمورى الأول ومحاولاته غزو مصر وعلاقاته مع بيزنطة والحملة الصليبية البيزنطية على دمياط، وفيليب كونت فلاندرز وصلاح الدين الأيوبى ورينو دى شاتيو (أرناط) أمير الكرك، كما تكلم عن بلدوين الرابع ١١٧٣ - ١١٨٥م، وجاى لوزنيان ١١٨٦ -

١١٩٢م، وحالة الصليبيين فى الشرق، وقد ورد كل ذلك فى أشارت تكاد موجزة.

كما تكلم إرنول بتوسع عن الأحداث المتعلقة بمقدمات معركة حطين والمعركة نفسها وأسر الملك جاى لوزينان ومصرع أرناط وحصار مدينة القدس واسترداد صلاح الدين للمدينة، وإطلاق سراح الملك، وعن كونراد أف مونتفرات واستبساله فى مدينة صور، وقد ورد ذلك بتوسع شديد وملأ حوالى مائة صفحة من الكتاب.

وأورد المؤرخ استعداد ملكى فرنسا فيليب أرغسطس، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا للحملة الصليبية الثالثة وبقية أحداث الحملة فى ايجاز، كما كتب عن جزيرة قبرص بين الداوية وجاى لوزينان وهنرى كونت شامبانى ملكة بيت المقدس ١١٩٢ - ١١٩٧م، وبعض المعلومات عن فريدريك وأسر ريتشارد قلب الأسد عند عودته إلى بلاده من بلاد الشام، ومقدمات الحملة الصليبية الرابعة وأحداثها. والاستعداد للحملة الصليبية الخامسة، والحديث عن المعظم ملك دمشق، وأحداث الحملة ذاتها فى ايجاز وهزيمتها ورحيلها.

وفى الجزء الأخير تحدث عن رحيل الملك الصليبى جان دى برين ومقابلته للإمبراطور فريدريك وزواجه من ابنه الملك الصليبى، ثم بعض أحداث الحملة السادسة والخلاف بين الكامل ملك مصر وأخيه المعظم ملك دمشق، وقرار الحرمان الذى أصدره البابا ضد الإمبراطور، والمفاوضات بين الملك الكامل والامبراطور فريدريك واستلامه لمدينة القدس، وأخيراً تكلم عن أحوال اللاتين فى القسطنطينية وزواج جان دى برين من ماريا وريثة العرش، حتى أصبح قيماً للامبراطور اللاتينى بلدوين الثانى ١٢٢٨ - ١٢٦١.

- تاريخ هرقل:

وإذا كان تاريخ هرقل يتطابق إلى حد كبير مع تاريخ إرنول فلا داعى للبداية من تاريخ هرقل بل من الأفضل ولعدم التكرار يحسن أن نبدأ من حوالى ما انتهى إرنول.

وعلى هذا الأساس نبدأ بأحداث عام ١٢٢٩م حيث كتب هرقل عن ادعاء اليس Alice ملكة قبرص لعرش مملكة بيت المقدس، وبعض الأحداث المتعلقة بحصار الصليبيين لمدينة كيرينيا Kyrenia فى قبرص فى عام ١٢٣٣ وقد توسع المؤرخ فيها، وتحدث عن زواج إيزابيلا الابنة الكبرى للملك القبرصى هنرى بن يوحنا إبلين، وأحداث عن بوهمند الرابع (ت١٢٣٣م) أمير أنطاكية وطرابلس وبوهمند الخامس، وقيام جيش إسلامى من حلب بحصار قلعة بغراس Baghras فى عام ١٢٣٧م، وحملة تيبالد كونت شامبانى Tibald of Champagne، وحملة ريتشارد أف كورنويل Richard of Cornwall فى عام ١٢٤٠ - ١٢٤١م، وبعض المشاكل الداخلية للصليبيين، والخوارزمية والأراضى المقدسة واسترداد القدس عام ١٢٤٤م، والحرب عند مدينة عسقلان عام ١٢٤٧م.

يضاف إلى ذلك أن المؤرخ كتب جانباً عن حملة لويس التاسع وهى المعروفة بالحملة السابعة وفشل هذه الحملة، وسجل الحروب التي دارت بين الجنويه والبنادقة حول عكا فى عام ١٢٥٦م وهى المعروفة بحرب القديس سابا St. Sabas، وتحالف الداوية والاستبارية فى عام ١٢٦٤م لمهاجمة مدينة بيسان، وهجوم الظاهر بيبرس على قيليقية الأرمينية فى عام ١٢٦٦م، وسقوط أنطاكية فى عام ١٢٦٨م. وحملة ولدى ملك أراجون جيمس الأول فى عام ١٢٦٩م على بلاد الشام، وأشارات إلى حملة لويس التاسع على تونس عام ١٢٧٠م.

كما كتب عن هجمات مغولية على شمال الشام، وسقوط حصن الأكراد في يد المسلمين عام ١٢٧١م، ووصول حملة الأمير الإنجليزي إدوارد إلى بلاد الشام في العام نفسه، وبعض الأعمال العسكرية للملك هيو حاكم قبرص وتراجعه إلى بلاده في عام ١٢٧٦م، وبيع ماريا الأنطاكية حقوقها إلى شارل أنجو Chales of Anjou ملك صقلية وجنوب إيطاليا، وأخيراً صراع بوهمند السابع أمير طرابلس ١٢٧٥-١٢٨٧م مع الداوية وهزيمة بوهمند. ويلاحظ أنه يوجد مجموعة أخرى من المصادر الصليبية تعاصر هذه الفترة يجب التعامل معها طبقاً للمنهج التاريخي للوصول إلى الحقيقة أو أقرب ما يكون منها.

- روتلان:

وهناك تكملة أخرى للمؤرخ وليم الصوري لمؤرخ مجهول وينسب إلى اسم روتلان Rotehlin وهو يسجل الأحداث من عام ١٢٢٩م حتى عام ١٢٦١م، ويرى البعض أن الكاتب الأصلي لهذه الحولية هو شخصية أوربية وليست صليبية عاشت في القرن السابع عشر الميلادي، وأن روتلان هنا قام بجمع بعض الكتابات لمؤرخين مجهولين ظهرت في الصورة المعروفة لدينا باسم روتلان. وأود هنا أن أشير إلى الجهد الكبير الذي بذله الأستاذ الدكتور أسامة زكي أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة طنطا الذي ترجم هذا الكتاب من اللغة الفرنسية القديمة إلى اللغة العربية في عام ١٩٨٩م وعلق عليه وقدم عنه دراسة تحليلية هامة وأعاد ترتيب أحداثه.

وقد ورد في بداية تاريخ روتلان بعض الأحداث الموجزة جداً عن المسلمين وعن حملة الامبراطور فريدريك الثاني، لذلك سوف أبدأ بعد هذه الأحداث حيث ذكر المؤلف بعض أحداث حملتي تيبالد كونت شامباني وريتشارد كورنوبل في عام ١١٣٩م وبعض عملياتها العسكرية خاصة حول مدينة عسقلان ثم تراجع الصليبيين إلى عكا، وأخيراً عقد الصلح مع المسلمين، وقد توسع المؤرخ في هذا الجانب.

كما تكلم المؤرخ عن المغول والخوارزمية في أحداث عام ١٢٤٤م، وكيف انهزمت القوات الصليبية واسترداد المسلمين لمدينة القدس، وقيام لويس التاسع ملك فرنسا بحملته المعروفة بالسابعة على مصر في عام ١٢٤٨م، وسقوط مدينة دمياط في يد القوات الصليبية، واتصالات الملك لويس بحكام المغول، وكيف هزمت الحملة السابعة عند المنصورة ووقوع الملك لويس في أسر المسلمين، والهدنة التي وقعها الملك مع سلطان مصر، وخروج الحملة من مصر متوجة إلى عكا.

كما سجل بعض الأحداث عن أعمال لويس في بلاد الشام، واطلاق سراح بعض الأسرى الصليبيين، وبعض الأحداث المتعلقة بالصراع الداخلي بين حكام مصر وأمراء الشام المسلمين، والهدنة التي وقعت بين الملك لويس وسلطان حلب، وتخوف سلطان مصر من ذلك وعودة لويس إلى فرنسا وعدم تنفيذ الهدنة، ثم قيام مصر والشام بعقد الهدنة مع الصليبيين بعد سماع أخبار الزحف المغولي إلى البلاد الإسلامية.

وسجل المؤرخ بعض الأحداث التي وقعت في عامي ١٢٥٦ - ١٢٥٧م بين البنادقة والبيازنة من جانب والجنوية من جانب آخر وموقف أمير أنطاكية الصليبي من ذلك، وبعض الاشتباكات بين الصليبيين والمغول بعد دخولهم بغداد وتوجههم إلى بلاد الشام، وهزيمة المغول في معركة عين جالوت ١٢٦٠م، وانتهى الكتاب بذكر مقتل السلطان قطز.

- أمبرواز:

ومن مصادر الحملة الثالثة ما كتبه الشاعر النورماندي أمبراوز Ambroise، وهذا الكتاب عرف في بداية الأمر باسم تاريخ الحرب المقدسة L'Estoire la de Guerre Saint، وهو يصف في أدبيات شعرية في مذكرات يومية مغامرات ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا في الحملة الصليبية الثالثة. وقد عرف هذا العمل للمؤرخين عن طريق مخطوط وحيد موجود بالفاتيكان.

وقد رافق أمبرواز الملك الإنجليزى، ولم يكن محارباً فى صفوف الحملة أو مسئولاً فى بلاط الملك.

لقد تكلم كشاهد عيان عن الأحداث التى قام بها الملك الإنجليزى فى صقلية أثناء قدومه إلى بلاد الشام، وحصار مدينة عكا وسقوطها. ومن الملاحظ أن أمبرواز لم يكمل هذا العمل التاريخى قبل عام ١١٩٥م وقد يلاحظ ذلك من الملاحظات التى سجلها عن رحلته، ولكنه سجل ما شاهده وسمعه بكل وضوح يلفت النظر. لقد أظهر عداء للمسلمين والفرنسيين وكل ما هو معاد للملك الإنجليزى. كما أنه أعتبر كاتباً لسيرة ذاتية للملك الأنجليزى أكثر منه مؤرخاً للحملة. ورغم هذا فإنه يعتبر المؤلف الرئيسى للأحداث الواقعة بين أعوام ١١٩٠ - ١١٩٢م فى الأراضى المقدسة.

- ريتشارد أف ديفيزس:

يعتبر ريتشارد أف ديفيزس Richard of Devizes من مؤرخى الحملة الصليبية الثالثة، ولا يعرف شيئاً عن هذا المؤرخ سوى ما أبلغنا به فى مقدمة كتابه، ومن ذلك يظهر أنه كان راهباً فى شبابه فى دير القديس سوثين St. Swithin فى مدينة ونشستر Winchester. ويعتبر كتابه عن الحملة الصليبية الثالثة التى اشترك فيها ريتشارد قلب الأسد عظيم القيمة خاصة ما رواه عن أحداث فى الأراضى المقدسة. والحولية صغيرة إلى حد ما فهى تقع فى حوالى ستين صفحة وتضم تسعة وتسعين عنواناً.

لقد بدأ المؤرخ حوليته بالحديث عن تتويج الملك ريتشارد فى عام ١١٨٩م وانه أول ملك انجليزى حمل الصليب وتوجه إلى الأراضى المقدسة وأن الملك عبر القناة الإنجليزية إلى أوربا عام ١١٩٠م، كما أن الأسطول الانجليزى اتخذ طريقه إلى بلاد الشام عبر مضيق أفريقيا (مضيق هرقل - جبل طارق) وسوف يقابله الملك فى مدينة مسينا بجزيرة صقلية، ولقد تم عقد مؤتمر بين الملك الانجليزى والملك الفرنسى فيليب أوغسطس فى مدينة تور ثم فى مدينة فيزلاى Vezelay

لترتيب معاهدة بينهما لإزالة الخلاف، وأن الأسطول الانجليزى بلغ عدده حوالى مائة وأربع عشرة سفينة، وعلاقات الملك ريتشارد مع ملك صقلية وإبحار ملك فرنسا إلى بلاد الشام.

وابتعد المؤرخ عن الحملة وقدم لنا بعض الأحداث عن الاحوال الداخلية فى إنجلترا، ثم عاد وتكلم عن تقدم الأسطول الانجليزى، وأن عاصفة دفعت سفينتين إلى شاطئ جزيرة قبرص سفينتين والصراع الذى دار فى قبرص مع الملك الإنجليزى وسيطرة الملك على الجزيرة، ووصول ملك مملكة بيت المقدس الإسمية إلى قبرص ليقابل الملك ريتشارد ويقدم له التحية، ووصول الأسطول الانجليزى إلى سواحل عكا والقاء الحصار على المدينة بمساعدة فيليب أوغسطس ودوق النمسا.

كما تحدث عن كونراد أف مونتفرات وسيطرته على مدينة صور وموقف جاى لوزنيان ملك مملكة بيت المقدس الإسمية، ثم عودة الملك الفرنسى إلى بلاده، تاركاً قواته تحت قيادة الملك الإنجليزى، ثم بعض نشاط الملكة اليانور الوصية على عرش إنجلترا فى انجلترا والممتلكات الإنجليزية فى فرنسا، ثم عاد وتكلم عن أخبار الحملة وعملياتها العسكرية وعرض الملك ريتشارد للصلح، وتكلم عن الملك العادل سيف الدين شقيق صلاح الدين ومقابلته مع الملك الانجليزى، ومرض الملك، ومشكلة قبرص والصلح الذى عقده الملك مع صلاح الدين بواسطة الملك العادل وهو ثلاث سنوات وثلاثة شهور وثلاثة أيام وثلاث ساعات، ثم عقد الملك لاجتماع فى مدينة يافا تقرر فيه أن يحكم هنرى كونت شامبانى مملكة بيت المقدس الاسمية، كما تكلم عن أسر الملك فى ألمانيا وهو فى طريق عودته إلى بلاده.

- جوفرى أف فينزوف:

ويعتبر ما كتبه جوفرى أف فينزوف Geoffery of Vinsauf أو فينوسالفو Vinosalvo تاريخاً لحملة ريتشارد قلب الأسد، ولا يعرف شيئاً عن هذا المؤرخ، وقد أخذ البعض من كنيه مدخلاً للتعريف به، فقال البعض أن نبيذ الدير كان تحت رعايته، أو أنه كان يشرف على عصير النبيذ، ويرى البعض أنه كان إنجليزياً من أصل نورماندى. لقد كتب مؤرخنا الكثير من الأشعار، ولكن أعظم أعماله ما كتبه عن الحملة الثالثة تحت قيادة ريتشارد قلب الأسد وفيليب أوغسطس باعتباره شاهد عيان على عديد من المعارك العسكرية التى وقعت خلال الحملة. لقد عاش هذا المؤرخ حتى موت الملك ريتشارد وتولية الملك يوحنا عرش إنجلترا. والحقيقة أن حولية هذا المؤرخ تقع فى حوالى مائتين وخمس وسبعون صفحة، فإذا قورنت بما كتبه أمبرواز أو ريتشارد أف ديفيزس تعتبر أكبر بكثير فى الحجم والتفاصيل.

والكتاب الذى تركه لنا المؤرخ يؤرخ للأحداث التى وقعت منذ عام ١١٨٧م أى منذ معركة حطين وقيام الحملة الصليبية الثالثة حتى عودة ريتشارد قلب الأسد إلى بلاده فى عام ١١٩٢ ووقوعه فى الأسر. والكتاب ينقسم إلى ستة فصول رئيسة ويضم كل فصل مجموعة كبيرة من الموضوعات التى ربما تضم صفحة واحدة أو أقل أو أكثر.

ويبدأ الفصل الأول بالحديث عن علم البابا أوربان الثالث ١١٨٥ - ١١٨٧م فى أواخر أيامه بالأحداث التى وقعت فى الأراضى المقدسة، وتكلم عن انتصارات صلاح الدين فى فلسطين وأسر الملك جاى لوزنيان، وكيف تحصن الماركيز كونراد بمدينة صور. وحصار صلاح الدين للمدينة، واستعداد الإمبراطور فريدريك بارباروسا للحملة الثالثة، وخطاب الإمبراطور إلى صلاح الدين يحذره مما حدث لفرعون مصر ويطالبه بعدم المساس بالقدس ورد صلاح الدين على الإمبراطور، وخط سير الإمبراطور عبر هنغاريا وعبوره نهر الدانوب، والصلح الذى عقد بين الإمبراطور والإمبراطور البيزنطى، وتقدم الإمبراطور فريدريك

وعلاقته بسلاجقة الروم حتى وصوله إلى أرمينية وغرقه فى نهر سالف، وتولى فريدريك أف سوابيا قيادة الجيش الألمانى، وحصار الصليبيين لمدينة عكا وتحرر الملك الصليبى جاى لوزنيان من قسمه لصلاح الدين بعدم محاربته، ووصول ريتشارد إلى صور ورفض كونراد استقباله، وتقدم الملك مع البيازنة إلى عكا حيث يقوم الصليبيون بمحاصرة المدينة. وسجل المؤرخ المزيد عن حصار المدينة والمعارك البرية والبحرية واستخدام النار الإغريقية والمجاعة التى ألمت بالقوات الصليبية، وانتهى الفصل الأول على هذا الحال بعد أن أفرد المؤرخ لأحداث عكا حوالى خمسين صفحة.

ويبدأ الفصل الثانى بالحديث عن وصول الملك الفرنسى فيليب أوغسطس والملك الانجليزى ريتشارد بعده بقليل. ثم عاد المؤرخ بالأحداث ليتكلم عن اتفاق جيزورس Gisors الذى عقد فى أوائل عام ١١٨٨م بين الملك الإنجليزى السابق هنرى الثانى وفيليب أوغسطس، ثم موت الملك هنرى الثانى وتولية ريتشارد قلب الأسد، وكيف طلب من الأسطول الإنجليزى الإتجاه إلى الأراضى المقدسة عبر مضيق جبل طارق وأنه سوف ينتظره فى مدينة مسينا بجزيرة صقلية، وتوقيع الملك فيليب والملك ريتشارد اتفاق فيزلاى Vezalai، والمشاكل التى وقعت فى جزيرة صقلية والملك تانكرد وشعب صقلية الذى أطلق عليه المؤرخ اسم اللمبارد من جانب والملك الانجليزى ريتشارد من جانب آخر، وأخيراً الصلح الذى وقع بينهما مقابل أربعين ألف أونصة من الذهب قدمها الملك تانكرد، وكيف هاجم البنادقة والجنوية مؤخرة الأسطول الإنجليزى، ورحيل الملك ريتشارد والملك فيليب إلى الأراضى المقدسة، والمشاكل التى نتجت عن جنوح بعض السفن الإنجليزية إلى جزيرة قبرص وانتهاء الأمر باستيلاء الملك ريتشارد على الجزيرة، ووصول الملك الصليبى جاى لوزنيان إلى قبرص، وتابع ذلك بأحداث قبرص، وإبحار الحملة إلى عكا، واستيلاء الملك ريتشارد على سفينة كبيرة للمسلمين.

ويبدأ الفصل الثالث بالحديث عن وصول الملك الإنجليزى بحراً إلى عكا

واستقباله بالأغاني، وبعض المعارك ومرض الملك ريتشارد والملك فيليب وهجمات على المدينة واستخدام المسلمين للنار الإغريقية والقتال على أبراج المدينة، وهروب بعض المسلمين من عكا، والاتفاق على تسليم المدينة وتقديم رهائن صليبية لاستلام صليب الصلبوت وإخلاء المسلمين لمدينة عكا ودخول القوات الصليبية إليها واقتسام الغنائم بين الملكين والخلاف الذي نشب بينهما حول قضية عرش المملكة بين جاى لوزنيان وكونراد أف مونتفرات، ثم رحيل ملك فرنسا إلى بلاده، وقسمه للملك الإنجليزي بالمحافظة على السلام بين الدولتين في أوربا، وانتهى الفصل بالحديث ببقاء العديد من القوات الفرنسية تحت قيادة الملك ريتشارد.

ويبدأ الفصل الرابع الحديث عن مكافأة الملك ريتشارد لرجاله وإصلاح أسوار مدينة عكا، ومراسلات الملك ريتشارد مع كونراد في مدينة صور، وكيف أمر الملك ريتشارد بذبح الرهائن من المسلمين، وأوامره بالسير إلى مدينة عسقلان براً وبحراً، وطلبه القوات الفرنسية بالخروج من عكا، ودور كونت متفاريا في إجبار بعض القوات الإسلامية على الفرار ووصول بعض القوات الصليبية إلى مدينة حيفا، وهجمات إسلامية على القوات الصليبية أثناء تقدمها إلى مدينة أرسوف، والمعارك التي دارت على المدينة وضربات إسلامية ضد القوات الصليبية، وانتصار القوات الصليبية، وكيف وبخ صلاح الدين رجاله، وتخريبه لبعض القلاع، وهجمات إسلامية على الصليبيين في أرسوف، وقيادة ريتشارد لبعض الصليبيين إلى يافا، وانتصارات للملك ريتشارد، وعرض صلح بين صلاح الدين وريتشارد.

أما الفصل الخامس فقد بدأه المؤرخ بالحديث عن تخلي الملك ريتشارد عن السير إلى القدس بناء على نصيحة فرسان الداوية وذلك في منتصف مايو ١١٩٢م والعودة إلى مدينة الرملة، وترك بعض الفرنسيين الصفوف الصليبية بسبب ما يحيط بهم من خطر، وحالة الطقس، ومعاناة الصليبيين من المناخ في تلال، وأوامر صلاح الدين براحة القوات الإسلامية وعودتها للتجمع في شهر

مايو، وقيام ريتشارد بتحرير إثنى عشر من الصليبيين عند مدينة الداروم كانوا في طريقهم إلى مصر، وعدم إطاعة كونراد لبعض تعليمات الملك الإنجليزي، وعودة دوق برجانديا إلى عكا وتخليه عن الملك ريتشارد لعدم تلقيه الأموال، وحروب بين البيازنة والجنيوية في عكا، ولقاء بين ريتشارد وكونراد، وكيف منح الملك ريتشارد ابن الملك العادل لقب فارس، وعودة الملك الإنجليزي إلى عسقلان، وإعادة إعمار المدينة، وانغماس القوات الفرنسية في الفساد، وعملية اختيار ملك للمملكة الصليبية، واستقرار الرأي على اختيار كونراد، ثم اغتياله على يد الحشيشية، واختيار هنري كونت شامباني بدلاً من كونراد، وزواج هنري من أرملة كونراد، ومنح جاي لوزنيان جزيرة قبرص، ووصول أخبار سيئة من إنجلترا، واستيلاء القوات الإنجليزية فقط بقيادة ريتشارد على الداروم ومنحها للملك هنري، وتفكير الملك ريتشارد في العودة إلى بلاده، وتحرك ريتشارد وقواته إلى القدس وإقامة معسكره في بيت نوبا.

والفصل السادس والأخير بدأ بتحمس القوات الفرنسية للسير إلى القدس وعدم موافقة ريتشارد على ذلك إلا بعد استشارة فرسان الداوية والاسبتارية، وأخبار عن وصول إمدادات عسكرية إسلامية من مصر، ومهاجمة ريتشارد لهذه الإمدادات والحصول على الغنائم وفيها جمال وأغنام، وعودة القوات الصليبية إلى يافا وعلم صلاح الدين بذلك، وإرسال ريتشارد لطلب الهدنة، وتقدم جيش إسلامي إلى يافا، وغارات صلاح الدين على المدينة، وفكرة عودة الملك ريتشارد إلى بلاده، ومعارك ضارية على مدينة يافا، وإصلاح أسوار المدينة، وعودة الملك الصليبي هنري كونت شامباني إلى يافا قادماً من قيسارية، وبعض المعارك ورسالة الملك الانجليزي، وكتب المؤرخ عن أن الملك ريتشارد كان على وشك الوقوع في أسر المسلمين، وطلب ريتشارد الهدنة لمدة ثلاث سنوات من صلاح الدين، وتبادل الرسائل بين الحاكمين، وتوقيع الهدنة، وقيام بعض الصليبيين بالحج إلى بيت المقدس في أكثر من رحلة، وعودة ريتشارد إلى بلاده ووقوعه أسيراً في النمسا.

ويحتوى الحولية أحد وعشرين موضوعاً أو فصلاً، وجاء عنوان الفصل الأول عن تجميع الحملة الرابعة وتناول الأحداث من ١١٩٩ - ١٢٠١م، بدأها بالحديث عن فولك دى نويللى، وهو رجل له صفات القديسين وكان قسيساً لابرشية نويللى الذى تولى فكرة الحملة، وانتهى الفصل بوصول السفارة السادسة إلى مدينة البندقية للاتفاق على نقل الحملة. وتناول الفصل الثانى المعاهدة التى عقدها الصليبيون مع دوج البندقية إنريكو داندلو Enrico Dandolo، ومنها إعداد السفن اللازمة لنقل أربعة آلاف وخمسمائة حصان، ومثل هذا العدد من الفرسان، وعشرين ألفاً من المشاة وشروط الدفع وغير ذلك مقابل مبلغ خمسة وثمانين ألف مارك. وجاء الفصل الثالث بعنوان «البحث عن قائد» ويتضمن هذا الفصل الأحداث من مايو إلى سبتمبر عام ١٢٠١م، وقد سجل فى هذا الفصل موت ثيوبالد قائد الحملة والأحداث اللاحقة حتى تم اختيار بونيفاس دى مونتفرات.

وفيما يتعلق بالفصل الرابع وعنوانه تأخير الحملة وخيبة أملها، فقد اشتمل على الأحداث من يونيه إلى سبتمبر ١٢٠٢م والمشاكل التى حاقت بالحملة من جراء عدم دفع المبلغ المتفق عليه. والفصل الخامس يتناول حصار مدينة زارا، وتضمن هذا الفصل المدة من أكتوبر ونوفمبر فى عام ١٢٠٢م، وسقوط مدينة دارا فى الحادى عشر من نوفمبر، والخسائر التى تكبدها الجانبان المتحاربان. وجاء الفصل السادس بعنوان «اضطراب الحملة» وتناول هذا الفصل الجدل الذى ثار بين الصليبيين عن أنهم لم يخرجوا مع الحملة لمحاربة المسيحيين، وقال البعض بالاتجاه إلى بلاد الشام، بينما رأى البعض الاتجاه إلى القسطنطينية والأخر إلى مصر وفى هذه المرحلة وصل الأمير البيزنطى الكسيوس والاتفاق على الإبحار إلى القسطنطينية.

وسجلت أحداث الفصل السابع تحت عنوان «الابحار إلى سكوتارى» Scutari وهى ضاحية مقابلة للقسطنطينية تقع على الشاطئ الأسيوى، والمجالس العسكرية التى عقدها الصليبيون لتنظيم عملية الهجوم على

القسطنطينية. أما الفصل الثامن فيتعلق بالاستعداد العسكرى لمهاجمة المدينة، والفصل التاسع تحدث عن الحصار الأول للمدينة، والعاشر عن موافقة الإمبراطور على شروط الحملة، والحادى عشر عن الأحتكام للسلاح، والثانى عشر عن الحصار الثانى للعاصمة البيزنطية، والثالث عشر عن انتخاب الإمبراطور بلدوين إمبراطوراً للإمبراطورية الصليبية اللاتينية، والرابع عشر تناول الفترة من مايو إلى سبتمبر عام ١٢٠٤م ويتناول توتر العلاقات بين الإمبراطور بلدوين والإمبراطور البيزنطى الكسيوس الرابع، وتناول الفصل الخامس عشر الحرب ضد البيزنطيين وتناول الفترة من أكتوبر عام ١٢٠٥ إلى مارس ١٢٠٥م. كما سجل فى الفصل السادس عشر أحداث حصار مدينة أدرنه فى الفترة من مارس إلى أبريل ١٢٠٥ التى كانت حصـ[illegible] للغاية ودور ملك ولاشيا والبلغار فى الدفاع عن المدينة.

وتضمن الفصل السابع عشر أحداث المرحلة من أبريل إلى يونيه عام ١٢٠٥م وهى المرحلة التى تكرس فيها حكم هنرى أمير الفلاندز وصياً على الإمبراطورية الصليبية بعد مصرع أخيه الإمبراطور بلدوين وقيام الروس بحصار مدينة أدرنه. وجاء الفصل الثامن عشر عن أحداث الفترة من يونيه ١٢٠٥ حتى يونيه ١٢٠٦م، وفيها كان اجتياح يوحنا ملك ولاشيا والبلغار لأراضى الإمبراطورية اللاتينية، وانتهى هذا الفصل بوصول القوات الصليبية بقيادة هنرى أمير الفلاندرز إلى مدينة أدرنه وحصارها، وخروج أهالى المدينة للترحيب بالقوات الصليبية الفرنسية. أما الفصل التاسع عشر فقد جاء عنوانه «الهجوم والهجوم المضاد» واشتمل على الفترة من التاسع والعشرين من يونيه عام ١٢٠٦ حتى الرابع من فبراير عام ١٢٠٧ ودارت أحداث هذا الفصل حول القتال على مدينة أدرنه وتخللها تتويج هنرى إمبراطوراً خلفاً لأخيه الراحل بلدوين، وبعض المعارك العسكرية ضد الإمبراطورية البيزنطية فى منفاها نيقية. وسجل الفصل العشرون أحداث قتال الصليبيين ضد الجبهة البلغارية والبيزنطية واشتمل على الفترة من مارس إلى مايو ١٢٠٧م. أما الفصل الحادى

والحقيقة أن هذا الكتاب رغم ما به من تقديم وتأخير إلا أنه تكلم عن تفاصيل كثيرة للحملة الثالثة قلما نجدها فى كتاب واحد، وعلى ذلك تعتبر هذه الحولية من أهم الحوليات التى لابد أن يرجع لها من أراد الكتابة عن الحملة الثالثة أو عن جزء من الحملة الثالثة، لأن ما ورد فيها أكثر من أن تتحمله رسالة واحدة.

– ريجورد:

ولد ريجورد Rigord فى إقليم لانجدوك Languedoc فى جنوب شرق فرنسا وربما فى مدينة نيمس Nimes حوالى ١١٤٥ - ١١٥٠م، وكان يعمل طبيباً محترفاً وظل يمارس هذه المهنة فى الجنوب الشرقى من فرنسا حتى بدأ فى الكتابة، وفى عام ١١٨٩م أصبح راهباً فى أرجنتيو Argenteuil ثم انتقل إلى دير القديس دنيس بالقرب من باريس وتوفى فى عام ١٢٠٩م.

وفى عام ١١٩٦م قدم النسخة الأولى من كتابه «الأعمال» The Deeds إلى الملك الفرنسى فيليب أوغسطس، وفى عام ١٢٠٠م قدم نسخة مختصرة للأمير لويس. كما كان يوجد نسخة مبدئية عن تاريخ أعمال ملوك الفرنجة، وقد أعدت الأخيرة لمساعدة الزوار الذين يفدون على مقبرة القديس دنيس، ولكن الجزء الأخير منها قد فقد. ولكن شهرة ريجورد ترجع إلى كتابه «الأعمال»، وهو الكتاب الذى يظن أنه مر بمراحل تعديل كثيرة واستكمل فى عام ١٢٠٩م وهو العام الذى مات فيه المؤلف.

وواقع الحال أن الكتاب يتضمن أعمالاً صادقة بشهادة شهود عيان، يضاف إلى ذلك أنه أطلع على المجلدات الموجودة بالدير، وكل ما يفيد فى الكتابة مثل الوثائق والمراسيم والخطابات المتعلقة بالملك الفرنسى فيليب أوغسطس ومن الحوليات التى أطلع عليها ما كتبه المؤرخ الإنجليزى جوفرى أف مونموث Geoffrey of Monmouth تاريخ فرسان بريطانيا، وواقع الحال أن للمؤرخ ريجورد مقدرة نقدية يقدرها المؤرخون.

لقد بدأ كتابه بالمديح الشخصى وأعطى لنفسه لقب المؤرخ الإخبارى Chronicler أى الذى يؤرخ للأحداث طبقاً للتسلسل الزمنى، أى مؤرخ الملك الفرنسى مثله فى ذلك مثل معاصريه الذين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب خاصة المؤرخون الانجليز. ويمكن للباحثين أن يراجعوا ذلك بأنفسهم بعد قراءة كتابه، كما أن المؤرخ وليم لبريتون Guillaume Le Breton الذى أكمل حولية ريجورد قدم لنا موجزاً مختصراً له وقال أن عمله قليل. وأن هذا العمل لم يقدم الكثير.

وقد بدأ مؤرخنا بالحديث عن مولد الملك الفرنسى فيليب أوغسطس فى عام ١١٦٥م ثم زواجه من أدلا أف بلوا Adela of Blois، وفى عام ١١٧٩م تنازل والده لويس التاسع بسبب مرضه عن العرش لإبنه فيليب وكيف أنه قضى على المشاكل التى واجهته فى بداية عهده. وفى عام ١١٨٠م تحدث المؤرخ عن موت لويس التاسع، وكيف طرد الملك اليهود من مملكته وتكلم عن الملك الفارسى نبوخذ نصر وغير ذلك من تاريخ اليهود وتوسع فى الحديث عن اليهود وعلاقتهم بالملك فى تلك المرحلة، كما تكلم عن السلام الذى استتب بين ريموند كونت مدينة القديس جيل Gille وبين ملك أراجون. وتكلم المؤرخ عن أحداث عام ١١٨٥م وتدخله فى بعض النظم المتعلقة بكنيسة القديس دنيس وموقف رجال الكنيسة والرهبان من الملك، ثم تكلم عن رسالة من ملك هنغاريا (المجر) إلى الملك الفرنسى، ثم تكلم عن بعض الأحوال الداخلية للمملكة، وقيام الملك بتخصيص بعض الملابس للفقراء، ثم أورد لنا ثلاثة خطابات صادرة من الملك، وفى حديث عن تخريب بغداد والقاهرة بالرياح الترابية وجانب عن صقلية، وانتقل إلى الحرب التى دارت بين فيليب أوغسطس وهنرى الثالث ملك انجلترا، ثم عاد إلى الحديث عن أحداث عام ١١٨٧م، ثم انتقل إلى الجانب الهام لنا فى هذا الموضع وهو وصول الرسل الذين أرسلهم سكان القدس إلى الملك وهو الأمر المتعلق بالحروب الصليبية، وذكر أن صلاح الدين هاجم المسيحيين بسبب خطاياهم وقد قتل عدة آلاف والعديد من فرسان الداوية والاسبتارية

والأساقفة والبارونات، ثم عاد وتكلم عن ميلاد الأمير لويس بن فيليب في عام ١١٨٧م، وتكلم عن وفاة البابا أوربان الثالث، وتولية البابا جريجوري الثامن، وكيف أعلن الملك فيليب والملك الإنجليزي هنري الثاني عزمهما على حمل الصليب والتوجه في حملة صليبية إلى الأراضي المقدسة، وأفراد جانباً خاصاً لما يعرف باسم الضرائب التي فرضت لمحاربة صلاح الدين تحت إسم عشور صلاح الدين، ثم انتقل للحديث عن الهدنة التي عقدت بين الملكية الإنجليزي والفرنسي وعن معجزة تدفق المياه في منطقة كان الماء فيها قليلاً عقب الأمطار ولكنه تدفق بشكل كبير في هذه المرحلة، وانتقل إلى قيام الأمير الإنجليزي ريتشارد كونت بواتو Poitou بتقديم فروض الولاء للملك الفرنسي.

وفي أحداث السنة التاسعة من حكم الملك فيليب وهي عام ١١٨٩م تكلم المؤرخ عن بعض الأحداث التاريخية الداخلية في فرنسا، ثم وفاة الملك الإنجليزي هنري الثالث، ووفاة الملكة الفرنسية، واتفاق فيزلاى Vezelay ورحيل الملك الفرنسي على رأس الحملة الصليبية إلى جنوة، ووصول الملك الإنجليزي ريتشارد إلى صقلية، ثم عاد وتكلم عن قيام الملك فيليب بتنظيم أمور دولته قبل الرحيل، ثم ذكر رحيل الحملتين، وعن موقف الملك الانجليزي من جزيرة قبرص، وبعض المعارك الحربية مع الأسطول الإسلامي، وموت الإمبراطور فريدريك بارباروسا في آسيا الصغرى، وموت البابا كلمنت الثالث وتعيين البابا سلستين خلفاً له، وتكلم عن مهاجمة مدينة عكا، ومرض الملك فيليب وعودته إلى بلاده، وكيف باع ريتشارد جزيرة قبرص للداوية، والقتال على مدينة عسقلان، وكيف أنزل الملك ريتشارد راية دوق النمسا، وعاد وتكلم عن عودة الملك فيليب أوغسطس إلى بلاده، وذكر أنه لم يكتب تاريخ ملك إنجلترا، لذلك تكلم عن احتفال الملك الفرنسي بعيد الميلاد بعد عودته إلى بلاده، وانهى هذا الجانب بأن المؤرخ تكلم عن بعض أحداث عام ١١٩٢م.

كما ورد في الحولية جانب عن الحرب على إقليم نورماندي في الفترة من ١٢٠١- ١٢٠٤م، وبدأ بالحديث عن استدعاء الملك الفرنسي للملك يوحنا ملك

إنجلترا باعتباره إقطاعياً يتولى أمر بعض الاقطاعيات في فرنسا وهي بواتو وأنجو وأكويتين، وطلب منه الحضور خلال أسبوعين بعد عيد القيامة ليجيب على الاتهامات الموجه إليه من قبل الملك الفرنسي، وما تلى ذلك من أحداث وقيام الملك الفرنسي بغزو إقليم نورماندي، واستمرار الحرب حتى عام ١٢٠٤ وانتهت بعودة أقليم نورماندي إلى فرنسا بعد أن انسلخ عنها منذ عام ١٠٦٦م.

- خطاب عن الحملة الألمانية عام ١١٩٧م:

وهذا الخطاب يظهر انتصارات الحملة الألمانية في الأراضي المقدسة قبل أن تصدم بأخبار موت الإمبراطور الألماني هنري السادس. وهذا المصدر هو عبارة عن خطاب صادر من دوق اللورين الذى كان يتولى أمر قيادة القوات الألمانية في الأراضي المقدسة، والخطاب موجه إلى رئيس أساقفة مدينة كلونى، ويذكر دوق اللورين أنه تم اختياره رئيساً للقوات الألمانية ورئيساً لبارونات وفرسان مملكة بيت المقدس الصليبية. وذكر في خطابه بعض الأحداث العسكرية التي تمت في الأراضي المقدسة وأنه يتقدم من نصر إلى آخر.

وذكر من الأعمال العسكرية أنه اتخذ طريقه إلى مدينة بيروت، وأنه في المنطقة التي تقع بين صور وصيدا قام العادل ملك مصر ودمشق مع عدد كبير من قواته بالظهور على جوانب الجبال وحاصروا مؤخرة القوات الألمانية وتلى ذلك عدة هجمات على القوات الألمانية، وكان الغرض من ذلك هو إظهار القوة العسكرية للجيش الإسلامي. ولكن نظراً لشجاعة القوات الألمانية لم تتمكن القوات الإسلامية من مهاجمة الألمان. وفي اليوم التالي نصب الألمان الخيام، وعندما ظهرت السفن الألمانية أصاب الرعب سكان هذه المناطق، وبذلك سيطر الجيش الألماني على هذه المناطق وما فيها من قلاع حصينة، وقد وجد الألمان في هذه القلاع الكثير من المؤن التي تكفى لحوالى خمسمائة رجل لمدة سبع سنهن (مبالغة شديدة جداً). وبعد عشرين يوماً من بقاء القوات الألمانية في هذه

المنطقة لم تتجرأ القوات الإسلامية فى القلاع المجاورة على مهاجمتها. وبعد ذلك قامت القوات الألمانية بالتوجه إلى مدينة صيدا واجتاحتها من جميع الجهات، ويذكر كاتب هذا الخطاب أن الأمل هو الاستيلاء على مدينة القدس بعد قليل.

- روبرت كلارى:

يعتبر روبرت كلارى Robert Clari أحد مشاهير من أرخوا للحملة الصليبية الرابعة، وليس لدينا معلومات كافية عن هذا المؤرخ لأنه كان من الطبقة الشعبية وغير معروف ولم يهتم به أحد إلا بعد أن تم الاطلاع على كتابه المعروف تحت عنوان «فتح القسطنطينية على يد الصليبيين»، وهى الأحداث المعروفة بالحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م. وينسب روبرت إلى ناحية كلارى ليرنوا Clery- Les- Pernois الفرنسية ولذلك نعت باسم كلارى رأنه أطلق هذا اللقب على نفسه فى مذكراته، وكانت البلدة الصغيرة التى ولد فيها روبرت كلارى إقطاعية صغيرة تحت إدارة أبيه جيلو Gilo، كما أن المؤرخ كان فصلاً إقطاعياً عند بطرس دى أميان Pierre d'Amiens وهو منسوب إلى مدينة أميان الفرنسية. وقد عايش هذا المؤرخ أحداث الحملة الصليبية الرابعة وشارك فى أعمالها العسكرية وقاتل عند أسوار مدينة القسطنطينية فى يوليو عام ١٢٠٣م.

والكتاب مكتوب أصلاً باللغة الفرنسية الخاصة بالعصور الوسطى، وأن النسخة الأصلية التى كتبها المؤرخ أو أملاها على شخص ما غير موجودة، ولكنه حدث فى عام ١٣٠٠ أن عهد دير كوربى - الموجود به النص - إلى أحد النساخ بنسخ بعض المخطوطات فتم نسخها مع بعض المخطوطات الأخرى، والأخيرة هى الموجودة لدينا. والحقيقة أن هذه الحولية تعتبر مصدراً تاريخياً هاماً عن الحملة الصليبية الرابعة. ويتضح من الحولية أن كاتبها قد ألم بأحداثها منذ البداية حتى معركة أدرنه التى وقعت فى أبريل عام ١٢٠٥م ضد

قبائل الكومان حيث هزم الإمبراطور بلدوين (١٢٠٤ - ١٢٠٥م)، وهو أول إمبراطور تولى حكم الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية. والكتاب يبدأ بأحداث الحملة منذ عام ١٢٠٢م حتى ١٣٠٥م، وهناك بضع صفحات قليلة تكلمت عن أحداث الفترة ١٢٠٥ - ١٢١٦. وقد ترجم العلامة المرحوم الأستاذ الدكتور حسن حبشى فى شبابه هذا الكتاب إلى اللغة العربية فى عام ١٩٦٤، فله عظيم الشكر والتقدير على هذا الجهد الكبير الذى خدم الباحثين فى حقل الحروب الصليبية.

والكتاب ليس كبيراً ولكنه احتوى على أحداث الحملة بداية ممن اشتركوا فى الحملة من كبار الشخصيات والقادة حتى نهايتها، ومذيل بعد الحملة ببعض الأحداث. والنص مقسم إلى فقرات صغيرة وصلت إلى حوالى مائتين وخمسون فقرة، ليس لى أن أتناولها كلها على هذه الصفحات بل أكتفى بذكر أهمها، ومن ذلك بعض أسماء المشتركين فى الحملة، والاستعدادا لها والاتفاق مع البنادقة لنقل قوات الحملة إلى مصر ثم إتجاه الحملة إلى مدينة زارا Zara والاستيلاء عليها ثم التفكير فى مهاجمة الإمبراطورية البيزنطية وهو ما يعرف تاريخياً بانحراف الحملة عن هدفها، وموقف السلطة البيزنطية من هذا الغزو وتحصين مدينة القسطنطينية. وتعيين مرزفلس وهو ألكسيوس الرابع أمبراطوراً ١٢٠٤م، ثم الانقلاب عليه وهزيمته، ومعارك عسكرية انتهت بقتل الإمبراطور. كما قدم لنا المؤلف جانباً هاماً عن الأسلاب وعن بعض القصور والكنائس خاصة كنيسة أيا صوفيا وبعض التماثيل التى وصفها المؤرخ بأنها ابداع لأيادي ماهرة حتى لا يستطيع الإنسان أن يفرق بين التمثال وبين الحقيقة. واختيار بلدوين إمبراطوراً، وحفل التتويج وتوزيع الأسلاب، وبعض النزاعات الداخلية بين الصليبيين وجانباً من الأحداث الأخرى.

- جوفري دي فيلهاردوين:

ولد جوفري دي فيلهاردوين Geoffroi de Villehardouin بين عامي ١١٥٠ - ١١٥٤م، وكان والده أحد نبلاء إقليم شامباني Champagne وكانت له بعض المقاطعات في أقليم بروفانس Province في جنوب فرنسا، ولم يكن هو الابن الأكبر، ولكنه نظراً لإسم عائلته وأصهاره أصبح مارشالا لأقليم شامباني في عام ١١٨٥ أو ١١٩٠. والحقيقة أن ما يعرف عنه بعد ذلك جاء من بعض المراسيم ومما كتبه عن تاريخ الحملة الصليبية الرابعة. ففي عام ١١٩٩م عزم على التوجه لحملة صليبية، لذلك أرسله ثيبود الثالث Thibaud III كونت شامباني بمرافقة البارونات اللذين ذكروا في الحملة الصليبية المعروفة بالرابعة في سفارة إلى البندقية للاتفاق على نقل قوات الحملة إلى مصر. وعندما مات تيبود الثالث قبل استعداد الحملة ساعد فيلهاردوين على ترشيح بونيفاس دي مونتفرات Boniface de Montferrat لتولى قيادة الحملة في عام ١٢٠١م. وقد عاد مؤرخنا إلى البندقية مرة أخرى وعمل على الاستعداد لرحيل الحملة من البندقية. وهناك صمت فيما كتبه عن دوره في تحويل مسار الحملة إلى القسطنطينية، وعندما وصلت الحملة إلى مدينة زارا Zara عارض الآراء التي نادت باتجاه الحملة إلى فلسطين وعندما اتجهت بحراً إلى القسطنطينية كان مؤرخنا من الذين قادوا الهجمة الخامسة على المدينة مع ماثيو دي مونتمورنسي Matthieu de Montmorency، كما أنه كان أحد ممثلي قادة الحملة الذين أجلسوا الإمبراطور إسحق أنجلوس Isaac Angelus على العرش (١٢٠٣ - ١٢٠٤م)، كما أنه أرسل في سفارة أخرى إلى خلفه الكسيوس الرابع (١٢٠٤) لمطالبته بالوفاء بشروط المعاهدة التي عقدت معه ومع قادة الحملة الرابعة. وبعد عزل الأخير وقيام الامبراطورية الصليبية اللاتينية مقام الإمبراطورية البيزنطية عين مارشالا للقوات الصليبية، كما أنه لعب دوراً في استقرار الأوضاع بين بونيفاس دي مونتفرات والإمبراطور الصليبي بلدوين أمير الفلاندر (١٢٠٤ - ١٢٠٥م). يضاف إلى ذلك أنه لعب

دوراً في الحرب التي قامت بين الصليبيين والبلغار في عام ١٢٠٥م، وبعد هزيمة القوات الصليبية في أبريل عام ١٢٠٥م عند مدينة أدرنه واختفاء الإمبراطور بلدوين جمع مؤرخنا القوات الصليبية وعاد منسحباً بها إلى القسطنطينية بشجاعة تامة. وأثناء حكم الإمبراطور اللاتيني الصليبي هنري الثاني (١٢٠٦ - ١٢١٦م) قاد بعض الهجمات ضد ثيودور لاسكاريس Theodore Lascaris الإمبراطور البيزنطي في منفاه في مدينة نيقية (١٢٠٤ - ١٢٢٢م). وبعد وفاة بونيفاس دي مونتفرات في عام ١٢٠٧م لم يكن لمؤرخنا دوراً يذكر، ومات في مدينة موسينوبولس Mosynopolis وهي مدينة ساحلية في شمال بحر إيجه عام ١٢١٤م.

ويقال أن الحولية التي تركها هذا المؤرخ قد كتبت بعد عام ١٢٠٧م، وقد سجل فيها المؤرخ كل الأحداث المتعلقة بسقوط القسطنطينية خاصة ما شارك فيها وكان شاهد عيان عليها. لقد بدأ حوليته بالحديث عن التبشير بالحملة التي تولاها فولك دي نويلي Foulque de Neuilly وانتهت فجأة بموت بونيفاس دي مونتفرات، وهناك تكملة لهذه الحولية سجلها هنري دي فالنسيين Hlenri de Valenciennes وذكر فيها جانباً من حكم الإمبراطور هنري.

وللحولية فلهاردوين أهمية خاصة لأنها كتبت في شكل قصيدة نثرية باللغة الفرنسية، وأنها تمثل واقع فرسان الغرب في تلك المرحلة الذين يتطلعون للشرق والحضارة البيزنطية الرائعة، ورغم هذا فأنها لم تكن كافية لتقدم فكرة حقيقية عن أعمال الحملة في العاصمة البيزنطية، لقد قدم مؤرخنا للأجيال التالية ما يرغب فيه، فقدم لنا تفاصيل المفاوضات التي شارك فيها، والمعلومات اللازمة لفهم فكرة تحويل الحملة إلى القسطنطينية. لقد كان إخلاصه لهذا العمل واضحاً وهو لا يقل عن جميع البارونات الآخرين. ولا ننسى هنا ما كتبه روبرت كلارى الذي مثل طبقة الفرسان.

عشر والأخير فقد سجل أحداث الفترة من يوليو إلى سبتمبر عام ١٢٠٧، وجاء فيها أنه بعد إقرار الهدنة بين الإمبراطور اللاتيني هنري والإمبراطور البيزنطي وعودة هنري إلى القسطنطينية بدأ الاستعداد لمنازلة الجبهة البلغارية، والنزاع التي حدث بين الإمبراطور والمركيز بونيفاس. وانتهى الكتاب بمصرع الماركيز على الجبهة البلغارية وسرور الملك يوحنا لهذا الحدث بينما حزن الإمبراطور وكل الرجال من الفرنسيين والبنادقة لهذا الحادث المأسوي.

– خطاب من البابا أنوسنت الثالث:

ومن مصادر الحملة الصليبية أيضاً خطاباً هاماً صادر من البابا إنوسنت الثالث يأنب فيه الكاردينال بطرس المندوب البابوي للحملة، وأن البابا لم يعد بوسعه أن يفعل شيئاً بعد انحراف الحملة وتوجهها إلى القسطنطينية. ويتبين من هذا الخطاب أن هناك خطابات متبادلة بين الطرفين حول الموضوعات التي وردت في هذا الخطاب.

وقد ذكر البابا في خطابه أنه يقدر للمندوب البابوي خوفه الشديد من الاخطار التي تلاقيها الأراضي المقدسة رغم ذهاب القوات الصليبية إلى القسطنطينية الذي أصبح جزء من الماضي، وأن البابا يتطلع إلى مساعدة الأراضي المقدسة. ويقول البابا أن الصليبيين الذين توجهوا إلى القسطنطينية قد جذبوا بعملهم هذا جانباً من الصليبيين في الأراضي المقدسة للحاق بهم، وبذلك حرمت الأراضي المقدسة من القوات التي كانت تدافع عنها. ويقول البابا أن عليك باعتبارك المندوب البابوي أن تعطي الأهمية للأراضي المقدسة والدفاع عنها وليس إلى الإستيلاء على القسطنطينية، خاصة عندما علمنا من خطاباتك السابقة أنك قد أحللت الصليبيين من قسمهم الصليبي، وأن عليهم البقاء للدفاع عن القسطنطينية، وأن البابا يقدر للمندوب البابوي جهوده في تحويل تبعية كنيسة القسطنطينية إلى الكنيسة البطرسية في روما، ولكن لا تنس الأراضي المقدسة وما يتعرض له الصليبيين من القتل.

– مصدر عن حملتي الأطفال عام ١٢١٢م:

وهذا المصدر هو جزء من الحولية الكلونية Chronica Regiae Coloniensis عن حملتي الصبيان في عام ١٢١٢م. وتوضح هذه الحملة مدى الروح الصليبية في بداية القرن الثالث عشر. وحقيقة الأمر أن ذلك لا يعتبر حملة صليبية، ولكنها حركة جذبت آلاف الأطفال في فرنسا وألمانيا. وقد تمت الدعوة في فرنسا من صبي فلاح يدعي ستيفن من قرية فندوم Vendome، وفي ألمانيا بمعرفة صبي يدعى نيقولاس في مدينة كلوني. وقد ورد في الحولية أنه في وقت عيد القيامة ظهرت الدعوة بين الأولاد لإعداد حملة صليبية دون الانتظار لموافقة الأباء. وقد تجمعت مجموعات من حوالي عشرين أو خمسين أو مائة ووضعوا الأعلام وبدأوا رحلتهم إلى الأراضي المقدسة. وعندما سألهم الناس عن هدفهم قالوا إن العديد من الحملات قد ذهبت إلى الأراضي المقدسة ولكنها لم تنجز شيئاً يذكر، وأن بوسعهم أن يحققوا الكثير وأنهم يعملون طبقاً لإرادة الله. وقد عاد بعض هؤلاء الصبيان من مدينة ميتز والآخر من مدينة بياكنزا أو روما، بينما ذهب من تبقى إلى مرسليا ولا يعرف شيئاً عن مصير من أبحر أو لم يبحر، ولكن الواضح أن القليل منهم قد عاد إلى بلاده.

– مصادر الحملة الخامسة:

لقد جاءت مصادر الحملة الخامسة عديدة ومتنوعة؛ ويمكن تصنيف هذه المصادر إلى مجموعات، وجاءت المجموعة الأولى منها خاصة بشهود العيان لأحداث الحملة، والثانية تتعلق بالمعاصرين من غير شهود العيان. والثالثة هي المصادر المتأخرة زمنياً وأرخت للحملة أو جانباً منها.

– أوليفر أف بادنبورن:

وعلى رأس المجموعة الأولى الخاصة بشهود العيان ما كتبه المؤرخ الألماني أوليفر أف بادنبورن Oliver of Padenborn وتاريخ مولده وكذلك مسقط

رأسه ليس معروفاً لدينا ويعرف أيضاً باسم أوليفر المعلم (سكولاستك) Scolastique وقد بدأ أسمه فى الظهور عام ١١٩٦م عندما كان يعمل شماساً فى كنيسة بادنبورن بالمانيا. وفى عام ١٢٠٠م عين مدرساً فى مدرسة الكنيسة نفسها وفى العام التالى أصبح مدرساً فى مدينة كلونى Cologne وفى عام ١٢٠٧م رحل إلى فرنسا وقضى بها بعض الوقت ثم عاد إلى كلونى مرة أخرى. وساعد أوليفر فى أعمال مجلس اللاتيران الكنسى Lateran Council الذى عقد فى روما عام ١٢١٥م وهو المجلس الذى دعى فيه للحملة الصليبية الخامسة. وتوجه أوليفر بعد انتهاء أعمال المجلس إلى المانيا حيث وعظ وبشر للحملة. وفى عام ١٢١٧م أبحر من مرسيليا مع بعض قوات الحملة فى طريقه إلى الشام حيث وصلها فى يوليو أو أغسطس. وفى العام التالى أبحر مع الحملة إلى دمياط وظل مع الحملة حتى هزيمتها ورحيلها فى خريف ١٢٢١م ثم نزل فى مدينة عكا وبقى بالامارات الصليبية بعض الوقت حتى إبحر إلى كلونى التى وصلها فى عام ١٢٢٢م حيث عين أسقف لكنيسة بادنبورن فى الفترة من ١٢٢٤ - ١٢٢٥م وأسقف كنيسة سابينا Sabini بإيطاليا فى الفترة من ١٢٢٥ - ١٢٢٧م. كما تولى أيضاً منصب الكاردينالية فى أواخر أيام حياته، ومات أوليفر فى عام ١٢٢٧ بالتحديد فى الفترة من أغسطس حتى التاسع من سبتمبر ودفن فى أيطاليا. وأثناء تواجد الحملة فى مصر عمل أوليفر كاتباً للمندوب البابوى لحملة الكاردينال بلاجيوس Pelagius - لذلك فانه فضلاً عن كونه من شهود العيان. فقد كان ملتصقاً بقيادة الحملة ومن هنا تتضح أهمية ما تركه لنا أوليفر من مادة تاريخية تتعلق بأحداث الحملة. والواقع أن أوليفر لم يكتب للحملة فقط فله كتابات تاريخية أخرى. وما يهمنا ونحن بصدد التأريخ للحملة خطابين صادرين من أوليفر وهو فى دمياط وكتابه المعروف باسم تاريخ دمياط Hiotoria Damiatina والخطاب الأول موجه من أوليفر إلى إنجلبرت Engelbert رئيس اساقفة مدينة كلونى. وقد كتب هذا الخطاب بعد سقوط مدينة دمياط فى يد الصليبيين (٥ نوفمبر ١٢١٩م/ ٢٥ شعبان ٦١٦م).

واحتوى هذا الكتاب على معلومات تتعلق بغرق المعسكر الصليبى الذى أقيم فى جزيرة دمياط (٢٩ نوفمبر ١٢١٨/ ٩ رمضان ٦١٥هـ) ومحاولات الاستيلاء على برج السلسلة، كما تضمن وصفاً لمدينة دمياط وحالة سكانها عندما استولى عليها الصليبيون. هذا بالإضافة إلى واقعة قيام المعظم عيسى ملك دمشق (٦١٥- ٦٢٥هـ - ١٢١٨ - ١٢٢٧م) بهدم أسوار مدينة بيت المقدس وأبراجها، ومعركة الثالث من مارس عام ١٢١٩/ ١٤ ذو الحجة ٦١٥هـ) ورحيل وقدوم بعض القوات الصليبية من وإلى دمياط وأخيراً معركة أكتوبر من نفس العام (جمادى الثانى ٦١٦هـ).

والخطاب الثانى أرسله أوليفر إلى الكامل محمد ملك مصر (٦١٥ - ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ - ١٢٣٨)م بعد هزيمة الصليبيين (٦١٨هـ - ١٢٢١م). ويشهد هذا الخطاب بالمعاملة الإنسانية التى عامل بها الملك الكامل الرهائن الصليبية، فقد كان أوليفر نفسه ضمن الرهائن، هذا بالإضافة إلى حسن معاملة الكامل لكافة جنود الحملة الصليبية بعد هزيمتها. أما كتاب أوليفر «تاريخ دمياط» فقد إشتمل على أحداث الحملة منذ قدوم الحملة الهنغارية إلى عكا فى سبتمبر عام ١٢١٧م وحتى نهاية وقائع أحداث الحملة الصليبية الخامسة وتسليم مدينة دمياط للمسلمين، وقد سجل أوليفر عرضاً طيباً عن أحداث الحملة الهنغارية التى دارت وقائعها فى الشام وأغارة الصليبيين على حصن الطور. وأهم ما قدمه أوليفر الأحداث الخاصة بتجميع الصليبيين فى قلعة الحجاج ثم إبحارهم إلى مصر حيث رست قواتهم فى جيزة دمياط. وأضاف إلى ذلك كافة الأحداث المتعلقة بالمحاولات المتعددة من جانب الصليبيين للاستيلاء على برج السلسلة والمناوشات التى وقعت بين المسلمين والصليبيين، كما تناول أوليفر المؤامرة التى وقعت فى المعسكر الإسلامى المقام فى العادلية جنوبى دمياط وهروب الجيش الإسلامى وكيف إنتهز الصليبيون الفرصة وعبروا إلى الضفة الشرقية للنيل. وسجل لنا أيضاً المعارك العسكرية التى وقعت بين المسلمين والصليبيين فى الفترة الواقعة بين عبور القوات

الصليبية وحتى سقوط مدينة دمياط بما فيها عروض الصلح التى تقدم بها الملك الكامل.

كما وصف لنا الحالة السيئة التى كانت عليها مدينة دمياط عندما دخلها الصليبيون ثم كان من تحويل جامع المدينة إلى كنيسة كاثوليكية للسيدة مريم وتعميد الأسرى خاصة الأطفال منهم. وقدم لنا أوليفر كذلك وصفاً ممتازاً عن تحصينات مدينة دمياط وأسوارها وأبراجها وسراديبها وهو ما لم تسجله المصادر العربية، كما صور لنا أحوال الصليبيين أثناء تواجدهم فى المدينة وحتى الزحف صوب القاهرة. وعرض لنا فى هذه الفترة الفساد الذى إنغمست فيه القوات الصليبية وأحداث سقوط مدينة تنيس والقيمة الاقتصادية لهذه المدينة بالنسبة لإيرادات مصر فى العصور الوسطى. وعرض لنا النشاط العسكرى الذى قام به الملك المعظم ضد بعض القلاع الصليبية فى الشام بغرض التخفيف من الضغط العسكرى على مصر ومغادرة الملك جان دى برين مدينة دمياط إلى عكا ثم إغارة الصليبيين على مدينة البرلس وغير ذلك من الأحداث الهامة الخاصة بالحملة.

أما الفترة التى تبدأ بالتفكير فى الزحف صوب القاهرة وحتى هزيمة الحملة وفشلها فقد قدم أوليفر عرضاً حياً لكافة الأحداث المتعلقة بهذه الفترة واستعداد الجيش الصليبي للتقدم جنوباً إلى المنصورة والبطولات الرائعة التى قام بها المسلمون لوقف تقدم الصليبين، كما قدم لنا الأخطاء التى وقعت فيها القوات الصليبية أثناء زحفهم إلى القاهرة، ولعل أهمها إهمال مصب نهر المحلة وعدم الاهتمام بحراسته بقوات صليبية الأمر الذى سهل للقوات الإسلامية تطويق الجيش الصليبى من الخلف، ثم ما كان من أمر فيضان النيل وكسر المسلمين لبعض جسور النيل التى أغرقت المعسكر الصليبى، وأختتم هذه الأحداث بهزيمة الصليبيين وطلبهم الجلاء عن مصر دون قيد أو شرط.

والحق أن أوليفر قدم لنا مادة تاريخية وافية عن أحداث الحملة ضنت بالكثير منها المصادر العربية. ورغم هذا فان ما كتبه أوليفر يظهر فيه التعصب الدينى بشكل واضح، كما أنها لا تخلو أيضاً من الأساطير. ومما يؤخذ على أوليفر كمؤرخ الاستطراد فى بعض الأحيان وتقديم أو تأخير بعض الأحداث وتكرارها. وأخيراً نقول أن ما كتبه أوليفر بالنسبة لمعاصريه يتسم بالموضوعية إلى حد كبير.

- جاك دى فترى:

وإلى جانب أوليفر توجد رسائل الكاردينال جاك دى فترى Jacques de Vitry وقد ولد جاك حوالى عام ١١٨٠م وتلقى تعليماً دينياً، وتقلد فى شبابه العديد من المناصب الدينية، وسرعان ما أصبح أحد رجال الدين المرموقين وكان تأثيره على الحركة الصليبية في بدايات القرن الثالث عشر الميلادي لا يقل عن تأثير بطرس الناسك Peter the Hermit فى زمانه، وكان أيضاً من الداعين للحملة الإليبجنسية التى قامت فى جنوب فرنسا، كما بشر ووعظ ودعا فى فرنسا للحملة الصليبية الخامسة، وكرس حياته لإعادة تعزيز الوجود الصليبي فى الأرض المقدسة.

وقد حضر إجتماعات مجلس اللاتيران الكنسي شأنه في ذلك شأن زميله أوليفر، وفى عام ١٢١٦م عين أسقفاً لمدينة عكا، وصاحب الحملة الهنغارية فى هجومها على ممتلكات المسلمين بالشام عام ١٢١٧م، وصاحب جاك الحملة الصليبية من بدايتها حتى نهايتها عام ١٢٢١م، ثم عاد إلى عكا وظل مقيماً بها حتى عام ١٢٢٧م ثم عاد إلى روما. وشغل جاك بعد ذلك عديداً من المناصب الدينية منها وظيفة الكاردينالية وممثلاً للبابا فى كل من فرنسا وألمانيا، وأخيراً عين بطريقاً (اسمياً) لمدينة بيت المقدس ولكنه توفى فى نهاية أول مايو عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم مقاليد هذا المنصب.

وفضلاً عن كون جاك دي فتري من شهود العيان، فقد كان أيضاً رجل الدين الثاني وثاني مندوب البابوي في الحملة، وكان يرسل التقارير من دمياط تباعاً إلى البابا هونوريوس الثالث Honorius III (١٢١٦ - ١٢٢٧م). ويبلغ مجموع هذه التقارير سبع رسائل خمس منها كانت أثناء تواجد الحملة في مصر فقد كانت الرسالة الأولى مؤرخه في أوائل أكتوبر ١٢١٦م، والثانية في ربيع ١٢١٧م، والثالثة في أغسطس ١٢١٨، والرابعة في سبتمبر ١٢١٨م، والخامسة في سبتمبر ١٢١٩م، والسادسة في ربيع ١٢٢٠م، والسابعة في الثامن عشر من ابريل ١٢٢١م، ولا زال هناك دراسات حول التحديد الدقيق لتواريخ هذه الرسائل التي نشرت أخيراً بلغتها الأصلية وهي اللاتينية في عام ١٩٦٠م.

وتتمتع هذه الرسائل بأهمية بالغة، ذلك أن كاتبها حضر الاجتماعات الرسمية الخاصة بالحملة قبل وصولها إلى مصر، كما أن هذه الوثائق تحمل في طياتها صفة الوثائق الرسمية لكونها تقارير كانت ترسل تباعاً من شخصية رسمية إلى البابوية في روما. وتعتبر هذه الرسائل ثقة في تاريخ الحملة نظراً للمعلومات القيمة التي وردت بها واشتملت على العديد من تفاصيل وأحداث الحملة منذ قدومها إلى مصر ورسوها في جيزة دمياط، وتفاصيل الغارات المتتالية التي شنها الصليبيون حتى سقوط برج السلسلة وعبور الصليبيين للضفة الغربية للنيل. كما تناولت أيضاً الأحداث التي وقعت بعد ذلك خاصة حادثة الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٢١٩م (١٥ جماد ٦١٦هـ) ثم تفاصيل سقوط مدينة دمياط وما تلاها من وقائع كتحويل جامع دمياط إلى كنيسة كاثوليكية وتعميد الأطفال وتوزيع الغنائم وسقوط قلعة مدينة تنيس، وربطها بطرانية دمياط. كما عالجت موضوع رحيل الملك جان دي برين وبعض الصليبيين من دمياط والأسباب الكامنة وراء هذا التصرف، والنتائج التي ترتب على ذلك، وكذلك الفساد التي تردت فيه القوات الصليبية أثناء تواجد الحملة داخل المدينة، والتحصينات التي أقامها الصليبيون شرقي وغربي دمياط. كما أنه تناول في خطاباته إقامة الملك الكامل وعساكره في المنصورة

والكمائن التي كان ينصبها المسلمون للصليبيين وجهود الكامل المعظم في إغلاق مضايق الفرنج بمصر والشام. وتعرض جاك دي فتري لموضوع ظهور المغول وقتذاك وما له من أثر على موقف كل من المسلمين والصليبيين. ويؤخذ على هذه الرسائل أنها غير مسلسلة الحوادث ففيها تقديم وتأخير وتكرار في بعض الأحيان. كما أنها لم تتناول المراحل الأخيرة من الحملة التي تبدأ بالزحف صوب القاهرة حتى هزيمتها والاستسلام. ويتضح من هذه الرسائل أن كاتبها كان متعصباً لديانته ومذهبه فقد كان من الذين نادوا بكثلكة الشرق الأدنى الإسلامي.

وبالإضافة إلى رسائل الكاردينال جاك دي فتري الذي أمدنا بمادة دسمة في موضوع الحملة مؤلفه المعروف باسم «تاريخ الشرق» Hostoria Orientales الذي تناول فيه أحوال الشرق بصفة عامة مع الإشارة إلى مدنه وموانيه والطرق التجارية وأهمية المدن المصرية من هذه الناحية. وقد إستفاد الباحث مما ورد فيه عن دمياط إذ تعرض لبعض أحداث الحملة خاصة وصف برج السلسلة وأسوار مدينة دمياط وحالة المدينة بعد سقوطها في أيدي الصليبيين.

- بطرس أف مونتاجو:

وإذا كان ما كتبه جاك دي فتري يصل بأحداث الحملة إلى نقطة تقدم القوات الصليبية من دمياط فكان على الباحث أن يبحث عن شاهد عيان آخر يستكمل من كتابته بقية أحداث الحملة حتى يمكن مقارنتها بما كتبه أوليفر وحتى لا يعتمد الباحث في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ مصر القومي على وجهة نظر أوليفر فقط، وقد عثر الباحث على ضالته المنشودة في خطابين يتميزان بأهمية بالغة لانهما ينتسبان إلى بطرس أف مونتاجو Peter of Montagu رئيس جماعة فرسان الداوية ١٢٢٠م - ١٢٢٩م وأحد شهود العيان، وكان أيضاً ضمن الرهائن الصليبية لدى الملك الكامل في المرحلة الأخيرة من الحملة.

والخطاب الذى أرسله بطرس عقب إطلاق سراحه مباشرة فقد أرخ فى سبتمبر عام ١٢٢٢م وهذا الخطاب مرسل إلى أسقف اليمونيوم Elimenum وعنوانه « أحوال الأراضى المقدسة بعد سقوط دمياط» وأهمية هذا الخطاب يرجع إلى أن بطرس كان فى دمياط وغادرها إلى عكا مصاحباً للملك جان دى برين، وظل بها فترة من الوقت تبدأ من التاسع والعشرون من مارس ١٢٢٠م. وتناول بطرس فى هذا الخطاب أخبار سقوط دمياط وتنيس، والإمدادات الصليبية فى حوض البحر المتوسط والضائقة المالية التى عانتها الحملة، وقيام الملك المعظم بالهجوم على الممتلكات الصليبية فى الشام وأمل الصليبيين فى وصول الإمبراطور الألمانى فريدريك الثانى Frederick II (١٢١٢- ١٢٥٠م) للحاق بالحملة لقيادتها.

أما الخطاب الثانى فقد أرسله بطرس إلى أحد رفاقه ويدعى مارتل Martel وعنوان هذا الخطاب «ضياع دمياط»، واشتمل على أحداث مجلس الحرب الذى عقده المندوب البابوى وبعض القادة الصليبيين الذى تقرر فيه الزحف على القاهرة. كما تضمن أيضاً عودة الملك جان دى برين من عكا إلى دمياط، وتقدم القوات الصليبية وإقامتها قبالة المنصورة وبحر أشمون يفصل بينهم وبين المعسكر الإسلامى، وسجل فيه كذلك تمرد بعض الصليبيين أثناء الزحف وعودتهم إلى دمياط ثم قيام المسلمين بكسر الجسور وإغراق المعسكر الصليبى ووصول هنرى Henry كونت مالطة إلى دمياط وانضمامه إلى رفاقه الصليبيين الذين رفضوا الإستسلام للمسلمين، وقد ذيل هذا الخطاب بالمعاملة الإنسانية التى عامل بها الملك الكامل القوات الصليبية بعد هزيمتها، وعقد الهدنة بين الطرفين فقد كان هو الآخر ضمن الرهائن الصليبية. وأخيراً جلاء القوات الصليبية عن دمياط.

وفى ختام المجموعة الخاصة بشهود العيان ترد الخطابات الأربعة الصادرة من بعض رجال الدين وقادة الحملة أثناء تواجدهم فى دمياط للبابا هونوريوس الثالث وإلى بعض الشخصيات الأوربية والخطاب الأول منها مؤرخ فى الخامس

عشر من يونيو عام ١٢١٨م أى بعد رسو الحملة فى جيزة دمياط بأسبوعين تقريباً، والثانى والثالث والرابع مؤرخة فى العاشر والحادى عشر والثانى عشر على التوالى من شهر نوفمبر عام ١٢١٩م، أى أن الثانى مؤرخ بعد خمسة أيام فقط من تاريخ سقوط دمياط فى أيدى الصليبيين. وتناولت هذه الخطابات رسو الحملة فى جيزة دمياط وعرض الصلح الذى تقدم به الملك الكامل وبعض الأحداث التى سبقت سقوط مدينة دمياط ثم سقوط المدينة فى أيدى الصليبيين وحالتها عند إستيلاء الحملة عليها، هذا بالإضافة إلى طلب النجدات من البابا وحثه على إرسال الإمبراطور فريدريك للحاق بالحملة فى دمياط، ثم أخبار تخريب أسوار مدينة بيت المقدس. ولهذه الخطابات أهمية تاريخية عظيمة لما حوته من معلومات عن الحملة رغم إنطباعها بالطابع الدينى، كما أنها تزيد بعض الأحداث التى رواها شهود العيان الآخرين.

- فيليب أف البنى :

أما المجموعة الثانية من المصادر الأجنبية فهى الخاصة بالمعاصرين من غير شهود العيان فيتصدرها الخطاب الذى أرسله فيليب أف البنى Philip of Albeney إلى رالف إيرل شيستر Ralph Earl of Chester. وفيليب هذا هو أحد الفرسان الإنجليز والمعلم المخلص للملك هنرى الثالث (١٢١٦- ١٢٧٢م)- واستقى المعلومات التاريخية التى وردت فى خطابه أثناء إبحاره فى البحر المتوسط بالقرب من دمياط وهو فى طريقه إلى الأراضى المقدسة عندما شاهد سفناً عديدة تغادر ميناء دمياط وتحدث مع أحد البحارة واستقى منه بعض المعلومات التى تتعلق بزحف الصليبيين من دمياط صوب القاهرة وهزيمتهم وعقد الهدنة وتبادل الرهائن وتسليم دمياط. ولما كانت هذه المعلومات مسجلة بعد الهزيمة مباشرة لذلك تتضح أهميتها التاريخية والتى ترقى إلى حد كبير إلى ما دونه شهود العيان.

- تاريخ بطاركة القدس وغيره:

وإلى جانب ذلك يوجد تاريخ بطارقة بيت المقدس الذى تضمن بعض المعلومات عن رجال الدين الذين اشتركوا فى أعمال مجلس اللاتيران الكنسى وفى الحملة نفسها. وكذلك تاريخ الأرشيف الاثينى لقبرص وتاريخ البطارقة اللاتين لأنطاكية، وكلها تضمنت بعض المعلومات الهامة عن نشاط الأساقفة فى الإعداد للحملة، ثم حوليات الأراضى المقدسة التى تعتبر مصنفاً مختصراً لتذيلات وليم الصورى.

يضاف إلى هذه المجموعة أيضاً النصوص الخاصة بقرارات مجلس اللاتيران الكنسى والخطاب الذى أرسله البابا انوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) فى سنة ١١٩٨م إلى شعب البندقية بغرض تحريم الاتجار مع المسلمين، والخطاب الذى صدر منه أيضاً إلى البارونات الإنجليز فى عام ١٢١٦م يطالبهم فيه ببذل الولاء والطاعة للملك الإنجليزى حنا. وكذلك التقرير الذى أرسله بطريق بيت المقدس إلى البابا انوسنت الثالث عام ١٢١٤م الذى تناول فيه بعض المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية عن مصر وخطاب نيقولا الأول بطريق الروم الكاثوليك بالاسكندرية إلى البابا هونوريوس الثالث فى عام ١٢٢٢م يطالبه فيه بإرسال الإمبراطور فريدريك الثانى لغزو مصر عن طريق فرع رشيد، والوعد الذى قطعه فريدريك على نفسه بازلاً فيه الولاء للبابا انوسنت الثالث. وتنتهى هذه المجموعة بما كتبه بول ويجار Paul Wiegler باسم «الامبراطور المهرطق» "The Infidel Imperer" وقد تناول فيه موقف الإمبراطور من الحملة ومعاقبته لهنرى كونت مالطه الذى وصل إلى دمياط عقب استسلام الصليبيين على سوء تصرفه.

- مصادر الحملة السادسة:

لم يهتم أحد بالحملة الصليبية السادسة التى تولى أمرها الإمبراطور الألمانى فريدريك الثانى مثلما أهتم المؤرخون بالحملات السابقة واللاحقة، ولعل ذلك يرجع إلى ما أحاط الحملة من مواقف البابا المعادية للإمبراطور، ورغم هذا فقد وردت أخبار الحملة متناثرة هنا وهناك فى بعض الكتابات أو الوثائق أو الرسائل، وعلى ذلك يمكن تقسيم هذه المصادر إلى عدد من المجموعات.

وهناك تصنيف يرجع إلى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، ويعرف باسم مأثر القبارصة Gestes des Chiprois، وهو يبدأ بموجز عن الأراضى المقدسة فى الفترة من ١١٣١ - ١٢٢٢م. ويتناول القسم الثانى من الكتاب الحروب التى نشبت بين أنصار أسرة إبلين الصليبية وأنصار الإمبراطور. وقد علق على ذلك فيليب دي نوفار Philip de Novare، وهو إيطالى عاش فى جزيرة قبرص وكتب بالفرنسية، وتتميز كتاباته بالحيوية والرشاقة، وأدخل فى كتاباته قصائد شعرية. ولقد قدم لنا فيليب مادة تاريخية قليلة عن أحداث الحملة السادسة، فتكلم عن بعض الأحداث التى وقعت فى قبرص أولاً وبدأها بأن الإمبراطور وبناء على أوامر البابا جريجورى التاسع رغم أنه كان محروماً من رحمة الكنيسة، قد أبحر من صقلية إلى جزيرة قبرص وانه بعد عبور البحر رسا بأسطوله فى جزيرة قبرص ومنها إتجه إلى مدينة عكا. ثم تكلم عن العلاقات السيئة التى سادت بين الإمبراطور وبين يوحنا أبلين حاكم بيروت ١١٩٧-١٢٢٦م، ثم عاد المؤرخ ليتكلم عن توجه الإمبراطور إلى بلاد الشام بكامل قواته البحرية، وفى عكا أجتمعت قوات الامبراطور مع القوات الصليبية المحلية واتجهوا إلى يافا حيث عقدت الهدنة مع الملك الكامل، وأن دمشق كانت تحكم تحت حكم الناصر داوود الذى يسيطر على القدس وضواحيها، وأن الهدنة أسفرت عن عودة القدس والناصرة واللد إلى الامبراطور فريدريك، كما ذكر أن

الإمبراطور ذهب إلى القدس ثم إلى عكا حيث قوبل مقابلة سيئة من قبل أهل المدينة وقذفوه بالقاذورات.

وتوجد أيضاً مجموعة من مصادر الحملة وهى الرسائل المتبادلة، ومن هذه الرسائل الرسالة التى بعث بها جيرولد أف لوسان Gerold of Lausanne بطريرك القدس (١٢٢٥- ١٢٣٩م)، إلى البابا جريجورى التاسع بتاريخ الثامن عشر من فبراير ١٢٢٩م، والتى تضمنت معظم نقاط اتفاقية الصلح التى نتجت عن الحملة، وتعليقات البطريرك عليها، ووجه الأهمية فى هذه الرسالة أن كاتبها كان ألد أعداء الامبراطور خلال وجوده فى بلاد الشام، مما جعل اهتمامه باظهار النواحى السلبية من الاتفاق لا يخدم الحقيقة التاريخية، موضحاً بعض النقاط المبهمة فيه والتى اختلف عليها المؤرخون مثل موقف الاتفاقية من إعادة تحصين القدس.

ويلى ذلك فى الأهمية الرسالة التى بعث بها هيرمان أف سالزا "Hermann of Salza"، رئيس هيئة الفرسان التيوتون Teutonic (١٢١٠ - ١٢٣٩م) إلى البابا جريجورى التاسع بتاريخ الحادى والعشرين من مارس ١٢٢٩، والتى عمل من خلالها على تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التى شاعت فى ذلك الوقت، وتبرئة ساحة فريدريك الثانى أمام البابا. كما وصف مراسم الاحتفالات التى جرت خلال وجود الإمبراطور فى بيت المقدس، وعملية تتويجه فى كنيسة القيامة.

ومن مصادر الحملة أيضاً الرسالة التى بعث بها فريدريك الثانى إلى هنرى الثالث ملك انجلترا (١٢١٦ - ١١٧٢م) فى ١٨ مارس ١٢٢٩ يصف له فيها منجزات الحملة، وهى تعطينا وجهة نظر قائدها فى النتيجة التى حصل عليها، مع الحرص الذى وجب علينا أن نتوخاه فى معالجة هذه الوثيقة. لأن فريدريك كان يرمى إلى إظهار الاتفاقية على إنها انتصار كبير لم يكن ليتحقق بغير مساندة الإرادة الإلهية له، وذلك كى يستغل هذا الاتفاق فى صراعه مع البابوية فى روما.

وفيما يتعلق بالأحداث الأخرى، مثل الخطط الحربية التى وضعت وبدء تنفيذها قبل وصول الإمبراطور إلى الشرق، فأهم الرسائل التى تحدثت عنها رسالة جيرولد بطريرك القدس، إلى البابا جريجورى التاسع أواخر عام ١٢٢٧، وقد جاء فيها وصفاً لحالة القوات الصليبية فى الشرق ولإجتماع يافا الذى تقرر فيه العمل على تحصين يافا وقيسارية تمهيداً لوصول الإمبراطور فريدريك الثانى.

وبالنسبة لتطور العلاقات بين الإمبراطور والبابوية، هناك الرسالة التى بعث بها فريدريك الثانى إلى البابا إنوسنت الثالث بتاريخ الثانى عشر من يوليو ١٢١٣م والتى تعرف «بوعد إيجرا الذهبى» The Golden of E[illegible] فهى تتضمن العديد من التنازلات التى قدمها فريدريك، الذى كان يسعى فى ذلك الوقت لاعتلاء عرش الإمبراطورية. وهناك مرسوم حرمان الامبراطور من رحمة الكنيسة الذى أصدره البابا جريجورى التاسع فى التاسع والعشرين من سبتمبر ١٢٢٧م، وموقف فريدريك من هذا القرار، كما ظهر من خلال خطابه لملك انجلترا بتاريخ ٦ ديسمبر ١٢٢٧، ومن خلال منشور إلى حكام وأمراء الغرب فى مطلع الشهر نفسه.

أما بالنسبة لتطور الصراع العسكرى بين القوات الإمبراطورية فى ايطاليا والقوات البابوية خلال وجود فريدريك الثانى فى الشرق على رأس الحملة الصليبية فلدينا رسالتان إلى فريدريك الثانى، الأولى من توما الأكوينى Thomas of Aquine خلال شهر فبراير ١٢٢٩، والثانية من رينالدو أف سبوليتو Raynald of Spoleto، فى مارس من السنة نفسها، وقد شرحا له الوضع العسكرى السئ لقواته هناك، واشتداد ضغط القوات البابوية عليهم، تحت قيادة حنا أف بريين.

وفيما يتعلق بتطور الأحداث نتيجة للحملة السادسة لدينا رسالة من البابا جريجورى التاسع إلى فريدريك الثانى فى الخامس عشر من أكتوبر

١٢٣٠م تؤكد على المصالحة التى تمت بين البابوية والامبراطورية، وكذلك رسالة أخرى من البابا إلى فريدريك الثانى، بصفته ملك بيت المقدس، خلال شهر أغسطس ١٢٣١م، وأهمية هذه الرسالة فى أن البابا استعمل فيها لقب ملك بيت المقدس للإشارة إلى فريدريك الثانى للمرة الأولى منذ اتخاذه هذا اللقب، أى منذ عام ١٢٢٥م. وهناك بالنسبة للنقطة نفسها، رسالة جريجورى التاسع إلى جيرولد بطريرك القدس فى يناير ١٢٣١م، والتى يأمره فيها البابا باحترام الاتفاق الذى جرى إبرامه بين الإمبراطور والسلطان الكامل.

أما فيما يتعلق بتغيير وجهة الحملة إلى مصر بدلاً من بلاد الشام فلدينا خطاب البطريرك نقولا الأول، بطريرك الروم الكاثوليك فى الاسكندرية، الذى كتبه للبابا هونوريوس الثالث عام ١٢٢٢م، أى بعد انتهاء الحملة الخامسة، يخبره أنه في انتظار قدوم فريدريك الثانى إلى مصر، ويشرح له الطريق عبر فرع رشيد الذى يجب عليه أن يتبعه كى يتجنب المأزق الذى وقعت فيه الحملة الخامسة.

بالإضافة إلى هذه الرسائل، هناك وثيقة أصلية لا تقل عنها أهمية، وهى تتعلق بخط سير الحملة الإمبراطورية، وأهمية هذه الوثيقة فى كون كاتبها رافق حملة فريدريك الثانى الصليبية منذ انطلاقها من ميناء برنديزى فى جنوب إيطاليا، وحتى توقفها فى ميناء ليماسول Limassol فى مملكة قبرص اللاتينية، ثم منذ متابعة طريقها من ميناء فاماجوستا Famagouste فى الجزيرة نفسها، وحتى وصولها إلى ميناء عكا. وقد نشرت هذه الوثيقة ضمن مجموعة هويلارد بريهول Huillard - Breholles التى عرفت بـ «تاريخ فريدريك الثانى الدبلوماسى» "Historia diplomatica Friderici Secundi" وضمت معظم الوثائق الأصلية المتعلقة بالامبراطور، من رسائل وخطب ومنشورات.

- استرداد القدس عام ١٢٤٤م:

ويوجد خطاب هام أرسله وليم شاتونيف William of Chateauneuf مقدم هيئة فرسان الاسبتارية فى بيت المقدس (١٢٤٣- ١٢٥٨م)، أرسله إلى أحد رفاقه ويدعى ملاى Melaye فى مدينة نيوكاسل عام ١٢٤٤م بعد أحداث استرداد المسلمين للقدس ومعركة غزة عام ١٢٤٤م. كما يوجد خطاب آخر مرسل من أرماند بريجورد Armand of Perigord مقدم هيئة فرسان الداوية (١٢٣٣ - ١٢٤٤م) قبل أن يلقى مصرعه فى هذه الأحداث، ويوجد كذلك خطاب أرسله الإمبراطور فريدريك الثانى إلى عدة شخصيات فى الأراضى المقدسة وأوربا يذكر فيه الظروف التى أحاطت باسترداد المسلمين للقدس والأحداث اللاحقة لها.

وسوف أركز فى هذا الموضع على الخطاب الذى أرسله وليم أف شاتونيف مقدم هيئة الفرسان الاسبتارية باعتباره شاهد عيان وكان أسيراً فى أيدى المسلمين بعد أحداث استرداد القدس حسبما ذكر بنفسه فى خطابه، ويفهم من خطابه هنا أن هناك رسائل أخرى سابقة سبق إرسالها إلى رفيقه ملاى، وأنه كان هناك تحالف بين الصليبيين وحاكم دمشق ضد سلطان مصر، وأنه بموجب هذا التحالف تمت معاهدة كان على الصليبيين استعادة كل الأراضى الخاصة بمملكة بيت المقدس. كما ورد فى الخطاب رغبة بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبى فى زيارة مدينة القدس، وعند هذه المرحلة جاءت الأخبار بأن عدداً كبيراً من البرابرة يدعون الخوارزمية وبناء على أوامر من سلطان مصر قد استولوا على الأراضى المجاورة لمدينة القدس وقتلوا من بها.

وعلى إثر هذه الأحداث عقد الصليبيون القاطنون فى القدس مجلساً، ورأوا أنه ليس لديهم القوات الكافية لمقاومة القوات الخوارزمية فقرروا التوجه إلى مدينة يافا تحت حراسة الفرسان الصليبيين باعتبارها مدينة آمنه، وبعد أن ساروا لمسافة قصيرة رفع بعض الصليبيين أعلامهم على أسوار القدس كعلامة

على انتصارهم على المهاجمين وأ... بانترن بالمدينة لذلك عاد المغادرون إلى المدينة، وخلال عودتهم انقض الخوارزميون عليهم وقتلوا ما يقرب من سبعة آلاف، كما ذكر أن القوات الخوارزميه كانت فى مجموعها حوالى خمسة آلاف فارس وأن هذه القوات كانت تعادل عشرة أمثال القوات الصليبية، وأن القادة من هيئتى الاستبارية والداوية قد لقوا مصرعهم، وأنه لم يهرب من الداوية غير ثمانية عشر، وستة عشر من الاستبارية، وأن وليم شاتونيف تمسه وقع فى الأسر.

– جوانفيل والحملة السابعة:

يعتبر يوحنا حاكم جوانفيل Jean, Sirede Joinville، وشهرته جوانفيل من أهم مصادر الحملة السابعة التى قادها رليم التاسع على مصر، وكذلك عن الأحداث التى وقعت فى بلاد الشام أثناء وجود لويس بها عقب فك أسره فى مصر، وكذلك عن أحداث حملته على تونس عام ١٢٧٠م.

وقد ولد جوانفيل فى عام ١٢٢٥م، ومات فى مدينة جوانفيل عام ١٣١٧م وينتمى جوانفيل إلى أسرة نبيلة لعبت دوراً كبيراً فى مدينة شامبانى الفرنسية فى القرن الحادى عشر، وكان والده سيمون يعمل منشالاً فى مقاطعة شامبانى، وتولى أمر الدفاع عن مدينة تروى فى عام ١٢٣٠م ضد هجمات الكونت ثيوبوت الرابع، وعندما توفى والده فى عام ١٢٣٣ تولت والدته بيتركس Beatrix ابنه كونت برجانديا أمر تعليمه، فتعلم الفروسية، وتعلم القراءة والكتابة وقليل من اللغة اللاتينية.

وكان ظهور جوانفيل فى البلاط الفرنسى عام ١٢٤١م فى احتفال تنصيب الفونسو أف بواتيه – أخ لويس التاسع – فارساً. ثم ذهب للحج إلى قبر القديس يعقوب فى كومبستلا فى شمال غرب الاندلس. وفى عام ١٢٤٨ حمل الصليب للذهاب مع الحملة السابعة إلى مصر مثله فى ذلك مثل لويس الملك، ولكنه رفض أن يقسم أن يكون تابعاً للملك وتحمل نفقات عشر فرسان، واتجه

ومن معه بالقوارب فى نهر الساؤون ثم الرون جنوباً، ثم وصلوا بعد ذلك إلى مدينة مرسليا فى ايطاليا وابحروا منها فى أغسطس عام ١٢٤٨م ثم وصلوا بعد ثلاثة أسابيع إلى مدينة ليماسول فى قبرص حيث كان الملك الفرنسى لويس هناك وقد رحب به الملك وضمه إلى قواته.

ولقد لعب جوانفيل دوراً فى الحملة على مصر، وتعرض لاخطار كثيرة فى معركة المنصورة التى وقعت فى فبراير عام ١٢٥٠م، ثم سقط مريضاً ولزم خيمته ثم أسر مع الملك لويس وحرر فى مايو ١٢٥٠م، وتبع الملك بعد تحريره إلى مدينة عكا رغم نصيحة البعض له بأن يظل فى فلسطين حتى يتم تحرير الأسرى الصليبيين، ولقد أعجب به الملك وقربه إليه واعطاه قيادة خمسين فارساً. وفى عام ١٢٥٣م منحه الملك أقطاعية مقابل مائتى جنيه.

ولقد سجل جوانفيل مذكراته فى مدينة عكا بين عامى ١٢٥٠ – ١٢٥١م وتضمن ما كتبه كل الأحداث المتعلقة بالملك لويس، ثم كان هناك معلومات أخرى تتعلق بحملة لويس على تونس عام ١٢٧٠م. ولقد اختلف المؤرخون حول الأزمنة التى سجل فيها جوانفيل مذكراته، لكن المتفق عليه أن جوانفيل كان شاهد عيان على معظم الأحداث أو شارك فيها أو أثر عليها أو سمعها من ثقاة، وأن ما كتبه يتسم بالموضوعية وأقرب إلى الواقع فى كثير من الأحيان.

ويقع كتاب جوانفيل «حياة القديس لويس» The Life of Saint Louis فى اثنين وعشرين فصلاً فى جزئين، والجزء الأول وبه فصلان، صغير للغاية، وتكلم فيه المؤرخ عن الملك لويس كخادم لله وخادم للشعب الفرنسى، أما الجزء الثانى فيبدأ بالحديث عن تمرد البارونات ثم الاستعداد للحملة ويستمر حتى منح لقب القداسة للملك لويس. ويمكن تقسيم هذا الجزء بداية من الاستعداد للحملة حتى الفصل العاشر وهو التفاوض مع المسلمين فى مصر. ومرحلة أخرى هى بقاء لويس فى بلاد الشام حتى عودته إلى فرنسا، ثم التنظيم الإدارى للمملكة الفرنسية وأخيراً قداسة الملك لويس.

وما يهمنا في هذا المقام الاستعداد للحملة الصليبية والتي تضمنت المرحلة من ١٢٤٤ وحتى ١٢٤٨م، وفي هذا الجانب سجل جوانفيل حمل الملك للصليب ومعه أخوته روبرت كونت أرتوا، والفونسو كونت بواتيه، وشارل كونت أنجو، والرحلة إلى قبرص في جانب من عام ١٢٤٨م وأثناء وجوده بقبرص وصل إليه مبعوثون من قبل المغول، وبعض المعلومات عن الإمبراطورية البيزنطية، وسلاجقة الروم في قونيه، ومعلومات عن معرفة سلطان مصر بتوقع وصول الحملة إلى مصر. وفي الفصل الرابع وعنوانه الرسو في مصر في بداية شهر مارس ١٢٤٩، وفيه ذكر المؤلف أن المسلمين أرسلوا الحمام الزاجل إلى السلطان يخبرونه برسو الملك الفرنسي ولكنهم لم يتلقوا رداً من الملك فاعتقدوا أنه مات، لذلك تركوا مراقعهم وعادوا إلى دمياط دون أن يحطموا جسر القوارب المقام على نهر النيل.

وجاء الفصل الخامس بعنوان السيطرة على دمياط في جزء من عام ١٢٤٩م، وفي هذا الفصل تكلم المؤرخ عن بعض العمليات العسكرية، كما تكلم عن سقوط مدينة دمياط في يد الصليبيين وتحويل جامع المدينة إلى كنيسة.

أما الفصل السادس فجاء عنوانه العمليات العسكرية في الفترة من نوفمبر ١٢٤٩ إلى فبراير ١٢٥٠م، وجاء فيه زحف الصليبيين تجاه القاهرة. وتكلم المؤرخ عن نهر النيل وفروعه، ومحاولة إقامة الصليبيين جسراً على النيل والمقاومة الإسلامية واستخدام المسلمين للنار الإغريقية والأبراج المتحركة، وقيام أحد البدو باخبار الصليبيين عن مخاضة للعبور منها مقابل خمسمائة بيزانط، وانتهى الفصل بصرع روبرت كونت أرتوا.

وفي الفصل السابع تناول أحداث معركة المنصورة في الثامن من فبراير عام ١٢٥٠م، وجاء في هذا الفصل أن المؤرخ جوانفيل قد جرح في بعض المعارك وأن شارل كونت أنجو قد أنقذ، وهجمات متبادلة بين القوات الإسلامية

والصليبية والقتال داخل مدينة المنصورة، ومحاصرة المسلمين للملك لويس، وقيام جوانفيل بالدفاع عن الجسر وعودة القوات الصليبية مهزومة من المسلمين، ثم هزيمة الصليبيين لبعض القوات الإسلامية، ثم تكلم عن البدو، ومهاجمة المسلمين للقوات الصليبية بعد فرارها من المنصورة.

وتكلم المؤرخ في الفصل الثامن عن الأحداث اللاحقة في الفترة من فبراير إلى أبريل ١٢٥٠م، وذكر الهجوم الشامل الذي قام به المسلمين على الصليبيين، ونظام الجيش الإسلامي وجند الحلقة، والمؤامرة على السلطان الجديد والمقصود به تورانشاه، ومعاناة الصليبيين من المرض والمجاعة ومعاودة عبور الصليبيين لنهر النيل في اتجاه دمياط، وعرض الصليبيين للصلح ورفض المسلمين له.

وجاء الفصل التاسع بعنوان أسر الصليبيين، وبدأ المؤرخ بأوامر الملك بالعودة إلى دمياط، ثم أسر الملك لويس وسجنه، وقيام أحد الجنود الصليبيين الخونة بالصياح مطالباً بالاستسلام بناء على أوامر الملك فاستسلم الصليبيون، وكذلك استسلام المؤرخ جوانفيل بعدما نجده أحد المسلمين باعتباره قريباً للامبراطور فريدريك الثاني صديق المسلمين.

وفي الفصل العاشر الذي شمل أحداث شهري أبريل ومايو عام ١٢٥٠ جاء عنوانه المفاوضات مع المسلمين. وذكر المؤرخ أنها كانت مفاوضات صعبة كما تكلم عن شروط الاتفاق، كما ذكر اغتيال تورانشاه، ثم تكلم عن الفدية المالية وكيفية عددها بالوزن، وعن وفاء الملك لويس بتنفيذ الاتفاق، ووضع الملكة الفرنسية طفلاً سموه يوحنا ونعتوه بالحزين، وتأهب الحملة لمغادرة دمياط.

وتضمن الفصل الحادي عشر أحداث الفترة من مايو ١٢٥٠م إلى مارس ١٢٥١م، وجاء عنوانه الملك لويس في عكا. وجاء فيه أن الرحلة استغرقت ستة أيام في البحر من دمياط إلى عكا، والفرح الذي استقبل به في عكا،

ومتاعب ومرض المؤرخ جوانفيل، وفكرة عودة الملك إلى بلاده أم البقاء في عكا وانتصار الرأي الثاني، وعودة أخوي الملك إلى فرنسا، وبعض الأحداث الأخرى.

أما الفصل الثاني عشر فعنوانه «شيخ الجبل» والمقصود بذلك شيخ طائفة الاسماعيلية في بلاد الشام، والرسل المتبادلة بينه وبين الملك لويس.

وتكلم في الفصل الثالث عشر عن المغول وذكرهم باسم التتار وذكر عاداتهم وأن أحد أمرائهم قد اعتنق المسيحية. وفي الفصل الرابع عشر تناول أحداث الفترة من مارس ١٢٥١ – مايو ١٢٥٢م، وجاء عنوانه «الملك لويس في قيصارية»، وفيه ذكر المؤرخ وصول بعض الفرسان الصليبيين من النرويج وبعض رحلات الصيد، وعادات قبائل الكومان في سياق الحديث عن الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، كما تكلم المؤرخ عن حياته فيما وراء البحار، وبعض الأحكام التي أصدرها الملك في قيصارية.

وتكلم المؤرخ عن الفصل الخامس عشر تحت عنوان «الحملة إلى يافا» التي تضمنت الأحداث من مايو ١٢٥٢ إلى يونيه ١٢٥٣م أي ما يقرب من عام، وذكر المؤرخ في هذا الفصل عودة رسل الصليبيين الذين قد ذهبوا إلى الجانب الإسلامي، وفيه جانب من المفاوضات بين الصليبيين والمسلمين، وحديث عن بوهمند السادس أمير أنطاكية وكونت طرابلس، وبعض العمليات العسكرية بين الجانب الإسلامي والصليبي، والصلح بين سلطان دمشق وأمراء مصر، وختم الفصل بتقوية يافا والرحيل إلى صيدا.

وجاء عنوان الفصل السادس عشر «الحملة إلى صيدا» وضم أحداث الفترة من يوليو ١٢٥٣ إلى فبراير ١٢٥٤م، وبدأ المؤرخ أن الملك حصن مدينة يافا واعتزم الذهاب لإعادة تحصين مدينة صيدا مارا بمدينة صور واعتزام الملك مهاجمة مدينة نابلس، ومقابلة الملك لبعض الحجاج الأرمن وهم في طريقهم إلى القدس، ثم تفاصيل الحملة على بانياس وأن للمدينة ثلاثة أسوار وصعوبة

الاستيلاء عليها، وبعض العمليات العسكرية من الجانب الإسلامي ضد الصليبيين، وتكلم عن قلعة المدينة، وقتل الصليبيين وعودتهم إلى صيدا، ثم تكلم عن استيلاء المغول على بغداد، ووصول رسل حاكم طرابيزون وكذلك ملكة مملكة بيت المقدس، وذهاب المؤرخ جوانفيل إلى طرابلس، ووصول خبر موت الملكة الأم بلانش إلى الملك لويس وهو في صيدا وحزنه الشديد.

وتحدث المؤرخ في الفصل السابع عشر عن عودة الملك إلى فرنسا مارا بجزيرتي قبرص وصقلية وبعض أخبار الرحلة ومخاطرها، وبعض الأمور الداخلية بفرنسا، وفي الفصل الثامن عشر تكلم المؤرخ عن التنظيم الإداري لمملكة فرنسا واصلاح المنشآت، وإصدار بعض القوانين، والصدقات، والمؤسسات الدينية. وفي التاسع عشر تكلم عن حملة لويس التاسع على تونس عام ١٢٧٠م ومرض الملك أثناء الرحلة إلى تونس، ثم وفاته وحمل جثمانه ودفنه في كنيسة القديس دنيس في ضواحي باريس، وفي الفصل العشرين والأخير تكلم جوانفيل عن منح الملك الشرفي لقب قديس.

ومن مصادر الحملة الصليبية السابعة أيضا خطاب كتبه أحد فرسان الحملة ويدعي جي Guy، ويتضح من الخطاب أنه كتب في مدينة دمياط بعد الثامن والعشرين من يونيه عام ١٢٤٩م لأنه تكلم عن بعض الأحداث بعد عيد القديس يوحنا المعمدان الذي يصادف هذا التاريخ.

وجاء في هذا الخطاب بعض المعلومات الهامة، منها أن خطة الحملة كانت تقضي بمهاجمة مدينة الاسكندرية بعد الإبحار من قبرص، وأن بعض الجواسيس أبلغوا سلطان مصر بأخبار الحملة وأن السلطان حصن القاهرة وبابليون ودمياط والاسكندرية، وتحدث أيضا عن حديث تشجيعي من الملك لجنوده وذكر أنه إذا هزمت الحملة فيكون الصليبيون شهداء، وإذا تم النصر فيكون ذلك من أجل مجد الله وكل فرنسا.

وذكر أن عدد سفن الحملة التى وصلت إلى الشاطئ بلغ ألف وخمسمائة بالإضافة إلى مائة وخمسين لم تصل بعد، وأن أهل دمياط اندهشوا لوصول الحملة، وأن السلطان أرسل أربع شوانى مزودين بالبحارة المهرة للاستطلاع، وتكلم عن بعض فنون الحرب والقتال، وأن المسلمين انسحبوا إلى داخل المدينة، وأن الصليبيين حاصروا المدينة يوم جمعة، ودخلوها اليوم التالى وهو السبت، وهروب أهل دمياط من بعض البوابات الصغيرة وأن دخول المدينة كان فى الساعة الثالثة بعد ظهر السبت، وأن المسلمين استخدموا النار الأغريقية.

كما تكلم عن وصول بعض القوات الصليبية من الإمبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية وبعض قوات الاسبتارية والداوية، وذكر بعض المعجزات ومنها أن النار الأغريقية التى أطلقها المسلمون عادت وارتدت وسقطت عليهم، وأن نفس هذه المعجزة حدثت من قبل فى أنطاكية، وأن هناك بعض المسلمون اعتنقوا المسيحية، وانهم يخدمون فى صفوف الحملة بدمياط، وأنه تم الاستيلاء على جامع مدينة دمياط وتم تحويله إلى كنيسة باسم السيدة العذراء. كما أنه أشار إلى المغول باسم التتار وأن الصليبيين لا يعرفون عنهم شيئاً محدداً.

- قرارات مجمع ليون الثانى ١٢٧٤م:

ومن مصادر الحروب الصليبية قرارات مجمع ليون الثاني الذى عقد فى الفترة من السابع من مايو إلى السابع عشر من يوليو عام ١٢٧٤م. ومن المعروف أن فى هذا المجمع حضر أكبر عدد من رجال الدين، فقد ظهر خمسمائة من الاساقفة وستون من رؤساء الأديرة وأكثر من ألف من رجال الدين وأن البابا جريجورى العاشر ١٢٧١ - ١٢٧٦م كان له دوراً كبيراً فى هذا المجلس. ولقد بدأ المجلس أعماله فى السابع من مايو ١٢٧٤م فى كنيسة القديس يوحنا فى مدينة ليون الفرنسية، وأن أعمال المجلس انقسمت إلى خمس جلسات. وقد حضر هذا المجلس جيمس الأول ملك أراجون (١٢١٣-١٢٧٦م) وسفراء عن ملك فرنسا وملك انجلترا والامبراطور البيزنطى ميخائيل باليولوجس، ورجال

الدين البيزنطيون، وسفراء عن خان المغول. وقد دارت أعمال المجلس كلها حول الأراضي المقدسة والحروب الصليبية ووحدة الكنيسة الشرقية والغربية.

وما يهمنا فى هذا الموضع هو الحروب الصليبية، وقد تمت الموافقة على جمع ضرائب تعادل عشر الدخل من أجل حملة صليبية جديدة وعلى البابا تجميع هذه الأموال لهذا الغرض لمدة ست سنوات، ولكن الملك جيمس الأول كان يرى أن تقوم الحملة بأسرع وقت ممكن، وقد عارض ممثلو فرسان الداوية هذا الرأى لذلك تأجلت فكرة الحملة. وجاء فى أعمال المجلس أن سفراء خان المغول وصلوا إلى ليون فى الرابع من يوليو ١٢٧٤م للتفاوض مع البابا الذى كان يرغب أن يترك المغول الصليبيين فى سلام أثناء قتالهم مع المسلمين، وجاء أيضاً أن اثنين من سفراء الخان قد تنصرا فى السادس عشر من الشهر نفسه.

- ليودولف أف سوكيم:

ومن المصادر الخاصة بمملكة بيت المقدس ونهايتها وسقوط عاصمتها عكا فى عام ١٢٩٢م ما كتبه الرحالة الألماني ليودولف أف سركيم Ludolph of Suchem فى عام ١٣٥٠م، وهذا الرحالة كان قسيساً فى كنيسة سوكيم التابعة لاسقفية مدينة بادنبورن بالمانيا، وقد زار الأراضى المقدسة لفترة من الزمن انتهت عام ١٢٤١م وسجل رحلته فى عام ١٣٥٠م.

وبعد أن تكلم الرحالة عن عظمة وجمال مدينة عكا يقول سوف أسجل باختصار كيف سقطت وخربت هذه المدينة، وانه سجل هذه المعلومات من رجال ثقاة بحق. ويقول أن البداية ترجع إلى الصراع الذى دار فى أقليم لمباردبا بإيطاليا بين الجولف والجبلين وما كان له من آثار سيئة على الصليبيين، ولقد أخذ اللمبارد الذين يسكنون فى مدينة عكا جانباً فى هذا الصراع خاصة بين البيازية والجنيوية وكان لكل منهما مساندة قوية فى المدينة. ولقد كان للجانبين معاهدات وهدن مع المسلمين واشتد الخلاف بينهما حتى وصل إلى حد القتال.

وعندما علم البابا بذلك حزن حزناً شديداً وأرسل اثنتا عشر الف من المرتزقة لمساعدة الأراضي المقدسة. وعندما وصلت هذه القوات إلى عكا لم يتصرفوا بشكل جيد بل ترددوا على الحانات وأماكن الرذيلة ونهبوا التجار والحجاج في الشوارع العامة وخرقوا الهدن. وعندما علم سلطان مصر بذلك وكان رجلاً عاقلاً جمع جيشاً كبيراً واتجه إلى عكا فوجد تخريباً كبيراً طال أشجار الفاكهة والبساتين. وعندما رأى مقدم الداوية وليم أف بوجيه William of Beaujeu ذلك، وكان رجلاً عاقلاً أدرك أن المدينة أصبحت على وشك السقوط.

وقد تشاور مقدم الداوية مع إخوته وقرر مقابلة السلطان لإعادة السلام خاصة أنه كان صديقاً للسلطان وعرض عليه ما يمكن عمله لإعادة الهدنة، فطلب السلطان أن يدفع كل رجل في عكا «بنس» Penny بندقي، وسر مقدم الداوية لهذا العرض، ولكن أهل عكا اعتبروه خائناً ويستحق الموت، فقام السلطان بالاستعداد لاقتحام المدينة.

وتكلم ليودولف عن القتال داخل المدينة من شارع إلى شارع، وكيف هرب الرجال والنساء والأطفال عبر البحر إلى قبرص والمتاعب التى تعرضوا لها، وكيف سيقت الأسرى إلى القاهرة، وأن المدينة ظلت خالية حتى يوم أن زارها الرحالة. وقدم أعداد المقاتلين والقتلى، ومدد حصار المدينة من الخارج، والقتال داخلها، وحصار قلعة الداوية، وأن أهل الشرق الفرنجى ارتدوا السواد لسنوات عديدة. وهكذا كان الصراع بين المسلمين مدخلاً للحروب الصليبية، كما أن الصراع بين الصليبيين ووحدة المسلمين كان سبباً فى طرد الصليبيين من بلاد الشام. وهكذا طويت صفحة مريرة من الصراع بين الشرق والغرب وهى المعروفة باسم الحروب الصليبية فى الشرق.

الفصل الخامس

المصادر البيزنطية

* يوحنا مالالاس
* أجاثياس
* يوحنا الأنطاكى
* ثيوفانس
* صلة ثيوفانس
* جوزيف جنسيوس
* يوحنا كامينياتس
* نيقولا مستيقوس
* جورج الراهب – موناخوس – همرتولوس
* سيمون المستشار
* قسطنطين بروفيروجنيتوس
* ليو الشماس
* يوحنا سكلتيزس
* جورج سدرنوس
* ميخائيل بسلوس

- يوحنا مالالاس :

يوحنا مالالاس John Malalas هو مؤرخ بيزنطى فى القرن السادس الميلادى ولد فى أنطاكية حيث قضى معظم حياته. وقد عاصر المؤرخ الأباطرة أناستاسيوس الأول Anastasius I (٤٩١ - ٥١٨م) وحتى الإمبراطور جستين الثانى Justin II (٥٦٥ - ٥٧٨م). وتعتبر حوليته تاريخاً لأنطاكية، ثم توسع فيها وشمل تاريخ العالم حتى أواخر جستنيان (٥٦٥م). وتنقسم الحولية إلى ثمانية فصول. وقد جاء الفصل الأخير منها بخاصة عن تاريخ القسطنطينية. وهذا الجزء الأخير لا ينسب إلى المؤرخ لأنه يرتبط بكاتب أرثوذكسى فى حين أن مؤرخنا كان مونوفيزيا. وقد ابتعد هذا المؤرخ عن اتباع الطرق التقليدية فى الكتابة واتبع طريقة بيزنطية جديدة، فهو لم يكتب عن الطبقة المثقفة بل كتب عن العامة والرهبان، ولعل ذلك ما جعله محبوباً من الناس. ويلاحظ على المؤرخ أنه مولع بذكر الأسماء.. ولعل ذلك مرجعه إلى ما وجده فى دور المخطوطات بمدينة أنطاكية. ولقد سار المؤرخ على طريقة من سبقوه من المؤرخين مثل جوليوس الإفريقى Julius Africanus.

وقد اعتمد المؤرخون الذين أعقبوه على هذه الحولية وأعطوها أهمية كبيرة وقلدوا المؤرخ فى طريقة كتابته، حتى أن الحولية قد ترجمت إلى اللغة السلافية فى زمنها، ثم دخلت فى الحوليات السلافية نفسها وكذلك إلى اللغة الجورجية (الكرجية).

- أجاثياس :

ولد أجاثياس Agathias فى ميرينا Myrina فى آسيا الصغرى عام ٥٣٦م وتوفى فى القسطنطينية بين عامى ٥٨٢ - ٥٩٤م، وهو مؤرخ بيزنطى وخطيب وشاعر، ويعتبر أجاثياس مؤرخ أساسى لعهد الإمبراطور جستنيان Justinian (٥٢٧ - ٥٦٥م)، وعادة ما يقتبس منه المؤرخون الدينيون. ويبدو أنه تعلم فى العاصمة البيزنطية، وأنه قضى بعض الوقت فى مدينة الاسكندرية

- نقفور بريليوس
- ميخائيل أتالياتس
- يوحنا زوناراس
- أنا كومنينا
- يوحنا كيناموس
- نيكتاس خونياتس
- يوحنا كانتاكوزين
- ميخائيل كريتوفولس
- جورج سفرانتزس
- نيقولا باربارو

الأعمال القانونية وأصبح محامياً ناجحاً. وكان للمؤرخ كتابات متنوعة ولكنه تحول إلى الكتابة التاريخية فى سن الثلاثين من عمره وقد سجل كتاباته عن الأحداث من ٥٥٢ - ٥٥٨م فى خمسة فصول فى عمل يعرف باسم «من عصر جستنيان» On The Reign of Justinian، وفى هذا الكتاب وصف الحروب التى وقعت بين الإمبراطورية البيزنطية والقوط والوندال والفرنجة والفرس والهون. ويعتبر هذا المؤرخ مكملاً لأعمال بروكوبيوس الذى كان رجلاً عسكرياً ورجل دولة، بينما يدخل مؤرخنا هذا فى طائفة الشعراء والبلغاء. وقد جمع أجاثياس مادته من شهود العيان ووصف العادات والتقاليد وديانات الشعوب الأخرى التى تكلم عنها، كما أنه تكلم عن الزلازل والأمراض والمجاعات فى عصره، كما تكلم عن المدن والقلاع والأنهار والقادة العسكريين المساعدين بالإضافة إلى الفلاسفة، ولذلك نرى فى كتابات هذا المؤرخ ما لم نجده عند غيره من المؤرخين. وهناك شكوك تدور حول هذا المؤرخ بأنه كان وثنياً وليس مسيحياً.

- يوحنا الأنطاكى:

يوجد أربعة من المشاهير يحملان اسم يوحنا الانطاكى John of An. الأول هو بطريك أنطاكية ٢٢٨ - ٢٤١م، والثانى بطريرك القسطنطينية ٥٦٥ - ٥٧٧م، والثالث هو البطريرك الأرثوذكسي الذى عاصر الإمبراطور الكسيوس كومنين ١٠٨١ - ١١١٨م. والرابع هو يوحنا الأنطاكى المؤرخ الذى عاصر الإمبراطور هرقل Heraclius (٦١٠ - ٦٤١م). وهو مؤرخ فى القرن السابع، وعاش راهباً. وله حولية جاءت تحت إسم "Historia Chronike" وتبدأ الحولية منذ آدم حتى نهاية عهد الإمبراطور فوقاس Phokas ٦١٠م. وقد استعان هذا المؤرخ ببعض المؤرخين السابقين مثل سكتوس، وجوليوس الأفريقى، ويوسيبوس وأصيليوس ماسيلينوس وآخرين. ولم يبق من كتابه هذا سوى بعض المقتطفات.

- ثيوفانس:

هو ثيوفانس المعترف Theophanes The Confessor أو القديس ثيوفانس وهو غير ثيوفانس البيزنطى الذى عاش فى القرن السادس الميلادى. وقد ولد ثيوفانس المعترف فى عصر صراع عبادة الأيقونات. ويرى البعض أنه ولد فى الفترة من ٧٥٢ - ٧٦٠م، بينما يرى الآخرون أنه ولد فى عام ٧٥٨، ومات منفياً فى جزيرة ساموثراك Samothrake فى شمال بحر إيجه عام ٨١٨م. وقد ولد لأبوين من الطبقة العليا الغنية المتدينة، فوالده يدعى إسحق وأمه تسمى ثيودورا، وقد أصبحت هذه الأسرة مرتبطة بالأسرة المقدونية التى حكمت الإمبراطورية البيزنطية لمدة قرنين من الزمان فى عظمة الإمبراطورية (٨٦٧ - ١٠٦٥م). وبعد وفاة والديه تولى تعليمه وتربيته الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٧٥م). وخلال عهد ابنه الإمبراطور ليو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠م) حمل ثيوفانس لقباً رفيعاً داخل الإمبراطورية. ويقال أنه تزوج أو ربما خطب وهو فى سن الحادية عشر ابنه أحد المسئولين البيزنطين وتدعى ميجالو Megalo، ولكنه لم يكن زواجاً فعلياً. وقد إنفصلا بعد وفاة والد الفتاة، وسلكت الفتاة الرهبانية فى أحد الجزر قرب القسطنطينية، بينما سلك ثيوفانس الرهبانية بالقرب من مدينة فيزقوس Cyzicus، ثم بنى ديرا عرف باسم الأرض العظيمة وتولى رئاسته. وقد حضر مجمع نيقية الثانى (٧٨٧م) ووقف موقفاً مسانداً لعبادة الايقونات ووقع على المراسيم الخاصة بذلك. وعندما قام الإمبراطور ليو الخامس ٨١٣ - ٨٢٠م بتولى حكم الإمبراطورية أمر بإحضار ثيوفانس إلى القسطنطينية، وحاول ضمه إلى جانبه فى محاربة الأيقونيين ولكن دون جدوى فسجنه لمدة عامين ذاق خلالها صنوف العذاب، ثم نفاه إلى جزيرة ساموثراك حيث مات بعد سبعة عشر يوماً عام ٨١٨م. وقد منحته الكنيسة البيزنطية لقب المعترف. وتروى الكثير من المعجزات بعد وفاته.

وحولية ثيوفانس The Chronicle of Theophanes تعتبر حولية غير عادية، ومثيرة للجدل في عدة جوانب لا أستطيع الدخول فى تفاصيلها على هذه الصفحات، ولكننى سوف اكتفى بالإشارة إلى ما هو ضرورى منها. والحولية تبدأ من عام ٢٨٤ - ٨١٣م أى منذ تولية الإمبراطور دقلديانوس وتنتهى تقريباً بالإمبراطور ليو الخامس. ويرجع ذلك إلى أن الحولية هى تكملة لأعمال جورج سينكلوس Syncellus وهو زميل للمؤرخ فى الرهبانية كتب حولية منذ خلق سيدنا آدم، وعندما توفى جورج هذا فى عام ٨١٠م أو ربما فى العام الذى يليه كان قد وصل بالحولية إلى العام الذى مات فيه. وقد تعهد ثيوفانس بإكمال الحولية وسجل المرحلة التالية حتى عام ٨١٣م، وأن كان هناك داخل الحولية بعض الإشارات التى وقعت فى عام ٨١٥م.

وواقع الحال أن المعلومات التى وردت فى حولية ثيوفانس عن القرون الثلاثة الأولى تعتبر عديمة القيمة تاريخياً. أما الفترة من ٢٨٤ - ٦٠٢م فهى الأخرى قليلة القيمة إذا قورنت بالمصادر المعاصرة لهذه الفترة وما ورد بها من معلومات تاريخية. أما الفترة من ٦٠٢ حتى ٨١٣ فإن المعلومات الواردة فيها فهى هامة خاصة أن المصادر التى نقلت منها هذه المادة قد فقدت، وبذلك ظل ما كتبه ثيوفانس هو المصدر الرئيسى لهذه المرحلة خاصة أنه لا توجد مصادر أخرى ذات قيمة.

والحقيقة أن هذا أمر يدعو للغرابة خاصة أن القرن السابع يعتبر فترة حروب بها أحداث كثيرة. ولعل ذلك يرجع إلى أن هناك من سجلوا الأحداث ولكنهم كانوا من اللاأيقونين ولذلك دمرت كتاباتهم بعد أنتصار الأيقونيين. ويلاحظ أنه بعد اغتيال المؤرخ ثيوفلاكت أف سيموكاتا Theophylakt of Simokatta فى عام ٦٠٢م بإيعاز من الإمبراطور موريس، لا يوجد عمل تاريخى لمدة قرنين من الزمان، وكان على ثيوفانس أو من كتب الحولية قبله أن يتعامل وينقل من المتاح له وهو قليل. لقد نقل بعض مادته التاريخية من الشاعر جورج أف بسيديا George of Pisidia عن عهد الإمبراطور هرقل الذي

دافع عن الإمبراطورية البيزنطية ضد الإمبراطورية الفارسية، واستعان بما كتب عن حياة القديس مكسيموس المعترف St. Maximus The Confessor فيما يتعلق بالموحدين. أما فيما يختص بالجزء الأخير من القرن السابع الميلادى والجزء الأول من القرن الثامن الميلادى فلعله استعان بما كتبه تراجان Trajan الذى كان يحمل لقب بطريق وكتب عن قسطنطين الخامس. كما أستفاد من هؤلاء المؤرخين المؤرخ نقفور. ولعل ثيوفانيس قد استفاد من بعض المصادر السريانية التى استفاد منها ميشيل السرياني وابن العبرى.

وعلى أية حال فلدينا الآن الحولية المنشورة باللغة الإنجليزية فى الفترة من التاريخ العالمى ٦٠٩٥ - ٦٣٠٥ وهى تعادل السنة الميلادية ٦٠٢ - ٨١٣م، وهى مؤرخة على طريقة السنوات. وقد سجل المؤلف التاريخ البيزنطي وعلاقة الإمبراطورية بالدول المجاورة خاصة الشرقية. وقد أعتاد المؤرخ تقريباً أن يسجل فى بداية كل عام إسم الإمبراطور البيزنطى ويليه إسم الإمبراطور الفارسى، ثم أسقف القسطنطينية، فإسم أسقف القدس وأخيراً إسم أسقف الاسكندرية. ومنذ عام ٦٣٠م بدأ المؤرخ بحذف إسم الإمبراطور الفارسى ويضع إسم الحاكم العربى الإسلامى بداية من سيدنا محمد ويليه سيدنا عمر بن الخطاب وهكذا مع الدولة الأموية والعباسية مع بعض الاستثناءات.

وقد نشرت الحولية باللغة الإنجليزية بداية من عام ٦٠٢م وهى تقع فى مائة واحدى وثمانين صفحة لتغطى أحداث حوالى مائتى عام لذلك جاءت المعلومات التاريخية مختصرة للغاية. وقد تضمنت الحولية أحداثاً عن الشرق والغرب، ومما تناولته عن الشرق العرب الذين ورد إسمهم أيضاً تحت إسم الشرقيين Saracens أو الهاجريين Agarens نسبة إلى السيدة هاجر، والمقصود بذلك أيضاً المسلمين. كما ورد ذكر الأتراك وتحركاتهم عند بحر قزوين، والإيبرين نسبة إلى إيبريا Iberia وهى المنطقة التى تقع بين بحر قزوين والبحر الأسود وهى غير ايبريا أى أسبانيا والبرتغال حديثاً والاندلس قديماً. ومن الدول مثل مصر واليمن وأثيوبيا. ومن المدن العديد مثل القسطنطينية

والاسكندرية ودمشق وعمورية وأنطاكية والرها والقدس، ومن الجزر مثل قبرص وصقلية ورودس وأرواد المقابلة لمدينة طرابلس وأطلق عليها اسم أرادوس Arados، ومن الأسماء. أسماء الحكام المسلمين والبيزنطيين وبعض الشخصيات والقادة مثل عبد الله بن الزبير والحجاج بن يوسف الثقفي، وعبد الرحمن الداخل، وأبو مسلم الخراساني، وفي البلاد الأوربية ذكرها باسم رومانيا، وأرض الفرنجة، كما تكلم عن الآفار والهون والبلغار ومهاجمتهم لإقليم تراقيا، وأسبانيا وشارلمان وعلاقته بالبابوية والإمبراطورية البيزنطية وبعض أحوال صقلية.

وقد ورد في الحولية حملة مسلمة على القسطنطينية ودفاع الإمبراطور ليو الأيسوري (٧١٧ - ٧٤١م) عنها في عام ٧١٧م. والعلاقات بين المسلمين والامبراطور جستنيان الثاني والسفارات المتبادلة واتفاقية السلام وانسحاب المردة من لبنان. كما ذكر المؤرخ العلاقات الحربية والسلمية بين هارون الرشيد والامبراطورة إيرين Irene (٧٩٧ - ٨٠٢م) والجزية التي تحملتها الإمبراطورة البيزنطية، والإمبراطور نقفور البيزنطي نقفور الأول (٨٠٢ - ٨١١م) وعدم دفع الجزية للمسلمين وما تبع ذلك من حروب وهزيمته أمام قوات هارون الرشيد والعودة إلى دفع الجزية مرة أخرى.

وهناك العديد من الأخطاء في الأسماء وبعض الأحداث، ومن ذلك عندما تكلم عن معركة تور أو بواتيه وأن الملك الفرنجي «بين» هزم المسلمين عام ٧٣٢م، والصواب أن الذي قاد المعركة هو شارل مارتل. وعلى أية حال فالحولية لا غنى عنها لعدم وجود مصادر بيزنطية معاصرة لها تقريباً. وعلى الباحث أن يقرأها بعناية فائقة حتى يصل إلى نتائج طيبة.

- صلة ثيوفانس:

وصلة ثيوفانس Theophanes Continatuo، هي اصطلاح متفق عليه بين المؤرخين ينطبق على مجموعة من المصادر محفوظة في مخطوط واحد ينتمي إلى القرن الحادي عشر. وهذا المخطوط يتكون من أربعة أجزاء منفصلة تغطي أحداث الفترة من ٨١٣ - ٩٦١م. ويضم الجزء الأول المرحلة من ٨١٣ - ٨٦٧م، وهو يختلف في أسلوبه عن أسلوب ثيوفانس المعترف. والجزء الثاني يتناول الفترة من ٨٦٧ حتى ٨٨٦م وهو يتحدث عن الإمبراطور بازيل الأول Basil I (٨٦٧ - ٨٨٦م) ويطلق عليه أعمال بازيل Vita Basilii. والثالث اختص بالمرحلة من ٨٨٦ حتى ٩٤٨م وهو يقارب إلى حد كبير ما كتبه المؤرخ سيمون المستشار Symeon Logothete، وفيه تناول الكاتب جانباً كبيراً من عهد الإمبراطور رومانوس ليكابينوس Romanus Lekapenos ٩١٩ - ٩٤٤م. أما الرابع والأخير فقد سجل أحداث الفترة من ٩٤٨ - ٩٦١م، وينسبه البعض إلى المؤرخ ثيودور دافنوباتس Theoder Daphnopates الذي تولى منصب رئيس المحكمة الإمبراطورية في عهد رومانوس ليكابينوس.

وقد كُتب الجزء الأول بتكليف من الإمبراطور قسطنطين السابع برفيرجنيتوس ٩١٣ - ٩٥٩م ليسجل أعمال الأسرة المقدونية (٨٦٧ - ١٠٥٧م) بصورة رائعة. والعمل الثاني هو مديح للامبراطور بازيل الأول. أما العمل الثالث ففيه إضافات لتزيد من قيمة الأسرة المقدونية، والأخير يتناول العلاقات المتقلبة التي سادت بين الإمبراطور قسطنطين السابع والوصي عليه الإمبراطور رومانوس ليكابينوس. ومن أهم الأحداث التي وردت في صلة ثيوفانيس نذكر منها إعتلاء قسطنطين السابع العرش، وتتويج سيمون ملك البلغار في عام ٩١٣م، ومهاجمة الإمبراطورية البيزنطية للبلغار عام ٩١٧م، والسلام الذي عقد بين الإمبراطورية والبلغار في عام ٩٢٤م، وزواج بطرس قيصر بلغاريا من الأميرة البيزنطية ماريا ليكابينا Maria Lekapena.

- جوزيف جنسيوس:

وأود فى هذه المرحلة أن أذكر المؤرخ جوزيف جنسيوس Joseph Genesios (٩١٢ - ٩٥٩م) والذى تكلم عن الفترة الثانية عن الصراع الأيقونى وذكر الاحداث التاريخية حتى عام ٨٨٦م، ولعل أهم ما قدمه بعض المعلومات عن الإمبراطور ميخائيل الثالث ٨٤٢ - ٨٦٧م، والإمبراطور بازيل الأول ٨٦٧ - ٨٨٦م.

- يوحنا كامينياتس:

يعتبر يوحنا كامينياتس John Kaminiates من أفضل من كتبوا عن الغارة التى شنها القائد الاسلامى ليو الطرابلسى على مدينة سالونيك فى عام ٩٠٤م، وجاء عنوان ما كتبه فى المصادر البيزنطية تحت اسم The Capture of Thessaloniki، فقد وقع هذا المؤرخ فى أسر المسلمين وكتب وهو فى الأسر فى عام ٩٠٥م خطاباً إلى جريجورى أف قبادوقيا Gregory of Kappadokia فى شهر سبتمبر يصف فيه المدينة وتحصيناتها، وكيف هاجمها الأسطول الإسلامى بحوالى أربع وخمسين شانيه بعد أن تحول عن مهاجمة القسطنطينية إلى مهاجمة سالونيك، وكيف استعد أهالى المدينة على وجه السرعة للدفاع عن المدينة خاصة الميناء، والنجدات التى أرسلها الإمبراطور ليو السادس (٨٨٦ - ٩١٢م).

لقد ذكر يوحنا أن الأسطول الإسلامى هاجم المدينة فى فجر يوم الأحد التاسع والعشرين من يوليو فى عام ٦٤١٢ من السنة العالمية وتعادل عام ٩٠٤م وتكلم عن خليج المدينة وحالة البحر وكيف أختار ليو الطرابلسى الموضع الذى سيتم منه الهجوم على المدينة، والسلسلة الحديدية التى كانت تسد مدخل الميناء والعوائق التى تعترض المدخل من كتل حجرية وبعض هياكل السفن الغارقة وأسوار المدينة وبوابتها المصفحة، وكيف استعمل المسلمون السلالم الخشبية لإعتلاء السور، وكيف دافع أهل المدينة بكل ما لديهم من إمكانات، وأنه كانت هناك بوابة للمدينة تسمى بوابة روما Rome Gate وهى قريبة من البحر،

وكيف استعمل المسلمون القوارب الصغيرة فى مهاجمة المدينة، وكيف هرب أهل المدينة إلى الجبال وغير ذلك. وأهم ما قدمه المؤرخ هو فن الحرب والقتال على المدينة بالإضافة إلى تحصينات المدينة. ويلاحظ أن المؤرخ قد ذكر المسلمين بأنهم البرابرة وأن القائد البحرى ليو الطرابلسى كان مسيحياً ثم دخل الإسلام.

- نيقولا مستيقوس (كاتم الأسرار):

ولد نيقولا مستيقوس Nicholas Mysticus حوالى عام ٨٥٢م، ومن المرجح أنه يرجع إلى أصل ايطالى، وقد تعلم على يد فوتيوس Photius بطريك القسطنطينية ٨٥٨ - ٨٦٧م، ٨٧٧ - ٨٨٦م، وقد تأثر نيقولا باستاذه كثيراً وسار على نهجه خاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين المسلمين والبلغار. وعندما عزل فوتيوس فى المرة الثانية خاف نيقولا ولجأ إلى دير القديس تريفون St. Tryphon قرب خلقدونية. ويبدو أن الإمبراطور ليو السادس Leo VI ٨٨٦ - ٩١٢م قد شعر بما ارتكبه من خطأ فدعا نيقولا إلى قصره وعينه سكرتيراً خاصاً أو كاتم أسراره. وفى عام ٩٠١م عين الإمبراطور نيقولا بطريركاً للإمبراطورية ٩٠١ - ٩٠٧م، وعندما توترت العلاقات بين الإمبراطور والبطريق بسبب الزواج الرابع للامبراطور عُزل نيقولا من منصبه، ولكن الامبراطور أعاده مرة أخرى ٩١٢ - ٩٢٥م وهو على فراش المرض. وعندما توفى ليو تولى أخوه الإسكندر عرش الإمبراطورية (٩١٢ - ٩١٣م) الذى استدعى نيقولا فى أواخر أيامه وعينه فى مجلس الوصاية على الإمبراطور القاصر قسطنطين السابع، وظل كذلك حتى عام ٩١٨م عندما تزوجت الإمبراطورة زوى Zeo من القائد رومانوس ليكابينوس وأصبح إمبراطوراً.

وقد ظل نيقولا فى منصب البطريركية حتى وفاته فى عام ٩٢٥م، ومن الواضح أن نيقولا قد امتلك خبرة واسعة فى الشئون الدينية والسياسية وأنه أطلع على خبايا الإمبراطورية الداخلية، وكذلك فى السياسة الخارجية خاصة مع

المسلمين والبلغار. وحقيقة الأمر أن نيقولا لم يكن مؤرخاً ولكن أهميته ترجع إلى مجموعة من الرسائل بلغ عددها حوالى مائة وتسعين رسالة نشرت باللغة الإنجليزية في عام ١٩٧٣م، وهذه الرسائل هي وثائق صادرة من مسئول في الإمبراطورية إلى العديد من رجال الدين والحكام المسلمين والبلغار شملت السياسة الداخلية والخارجية، ولعل أهم هذه الرسائل ما أرسل إلى الأمير العربي أمير كريت وإلى سيمون حاكم بلغاريا ٨٩٣ - ٩٢٧م. وفي الرسائل الأخيرة الكثير من المعلومات السياسية والعسكرية الصادر من مسئول وشاهد عيان على الأحداث.

- جورج الراهب أو موناخوس أو همرتولوس:

يعرف جورج الراهب أيضاً باسم جورج موناخوس Monachus أو همرتولوس Hamartolus. وكان هذا المؤرخ راهباً في القسطنطينية في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢ - ٨٦٧م)، وكلمة همرتولس ليس اسمه، ولكنه لقب أضافه المؤرخ كلقب لأعماله، ولا يعرف عن هذا المؤرخ شيئاً سوى أنه كان راهباً حسبما أشار في حوليته وأنه كان معادياً لعبادة الايقونات. والحقيقة أن ما قدمه هذا المؤرخ يعتبر هاماً في التاريخ الحضاري البيزنطي لأنه يناقش الكثير من القضايا الديرية في عصره والعقيدة الإسلامية. وقد شكلت الطريقة التي كتب جورج الراهب حوليته قاعدة رئيسية لكتابة التاريخ العالمي خاصة بعد تطبيقه فوتيوس Photius تقريباً. كما أنه ترك آثاراً كبيرة على الكتاب السلافيين الأدباء، كما أنه أثر كثيراً على الحوليات الروسية التي تتطابق مع حولية جورج الراهب. وتعتبر حوليته الوحيدة التي تتناول أحداث الفترة من ٨١٣ حتى ٨٤٢م بعد أن فقدت أو أتلفت الحوليات الأخرى. والحقيقة أن حولية جورج الراهب تتعامل مع الأحداث من وجهة نظر ديرية ضيقة، وقد استقى هذا المؤرخ معلوماته التاريخية من أفواه معاصريه ومن ملاحظاته الشخصية، كما دخل العديد من الأحداث على الحولية الأصلية، كما أضيف إليها معلومات في مرحلة تالية حتى وصلت إلى عام ٩٤٨م.

وتتكون حولية جورج الراهب من أربعة أقسام. ويسجل القسم الأول الأحداث التاريخية من عهد آدم حتى الاسكندر الأكبر، ويتعلق القسم الثاني بالتاريخ الوارد في التوراة. أما الثالث فهو عن التاريخ الروماني منذ عهد يوليوس قيصر حتى الإمبراطور قسطنطين الكبير. وجاء الرابع ليستمر في الأحداث حتى عصره. وكما هو معروف لدى المؤرخين أنهم يتعاملون مع الأحداث المعاصرة للمؤرخ. وبذلك يكون المؤرخ يكون قد استخدم المصادر السابقة ولكنه قدمها بصورة منقحة وعالج الأحداث وقدمها بصورة حقيقية قدر استطاعته ومن وجهة نظره بدلاً من ترك القارئ ليقوم بهذا العمل بنفسه.

- سيمون المستشار:

إن حولية سيمون The Chronicle of Symeon Logothere قد حفظت في ثلاثة أشكال. وأن الأصل قد كتب ليمجد أعمال الإمبراطور رومانوس ليكابينوس وتعتبر مكملة لصورة مصغرة للمؤرخ جورج الراهب George The Monk، أو كما يقولون حولية بسيودو - سيمون Pseudo-Symeon، وهي محفوظة في ترجمة سلافية، وأن هذا العمل محفوظ في أكثر من ثلاثين مخطوطة منفصلة. ويعتقد أن سيمون كان مؤرخاً محبوباً. وأن التاريخ المعادل له والمعروف باسم صلة ثيوفانيس محفوظ في مخطوط مستقل. وتغطي هذه الحولية أحداث الفترة من ٨٤٢ - ٩٤٨م، وهي تتكون من ثلاثة أجزاء تختلف في الأسلوب. ويتكون الجزء الثالث الفترة من ٩١٣ - ٩٤٨م، وهي الفترة التي تبدأ من اعتلاء قسطنطين السابع العرش حتى وفاة رومانوس ليكابينوس.

والحقيقة أن معلوماتنا عن هذا المؤرخ قليلة للغاية، وقد دار جدل كثير حول شخصية هذا المؤلف، انما يمكن القول أنه كان مؤرخاً رسمياً في عهد الإمبراطور رومانوس ليكابينوس، وأنه قدم تاريخ الأسرة المقدونية في أفضل صورة. ومما قدمه المؤرخ الهجوم البيزنطي على بلغاريا عام ٩١٧م، والصلح

الذى تم بين روماتوس ليكابينوس والقيصر سيمون البلغارى فى عام ٩٢٤م، وزواج القيصر البلغارى بطرس من الأميرة البيزنطية ماريا ليكابينا عام ٩٢٧م.

- قسطنطين بورفيروجنيتوس:

هو الإمبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩١٩م) تحت الوصاية ثم اغتصب روماتوس الأول ليكابينوس العرش منه (٩١٩ - ٩٤٤م)، ثم عاد إلى عرشه حتى مماته فى عام ٩٥٩، ويعرف قسطنطين باسم بورفيروجنيتوس Porphgrogenitus أى المولود فى غرفة الزوجية الإمبراطورية لأن هناك شك فى شرعيته، لذلك أضفى على نفسه هذا اللقب. ولقد ورث قسطنطين عن أبيه الإمبراطور ليو السادس حب المعرفة، وزاد هذا الحب بالعزلة التى فرضت عليه، لذلك كرس جهده بحماس لا يعرف الكلل لدقائق الأقسام الإدارية والمراسم الامبراطورية، كما أهتم بالفنون والآداب والتاريخ والآثار.

والواقع أنه يصعب مقارنة الإمبراطور قسطنطين بأباطرة عصره من حيث عمق الثقافة واهتمامه بجمع المعلومات. فقد أعد عدا كتب وانشأ مكتبات أكتسب منها خلفاؤه معارفهم، وفضلاً عن ذلك فقد بلغت الإمبراطورية فى عهده مجداً عسكرياً إلى جانب المجد الثقافى.

ومؤلفات هذا الإمبراطور المؤرخ والكاتب متعددة وفى موضوعات مختلفة: منها كتاب عن مراسيم البلاد البيزنطى De Cerimoniis Aulae Byzantinae، وكتابه إدارة الإمبراطورية De Adminstrado Imperio، وكتاب حياة بازيل Vita Basili ليكون تاريخاً لجده الإمبراطور بازيل وهو الذى أشرنا إليه فى صلة ثيوفانيس، وكتاب آخر عن الثيمات De Thematibus، وكتاب عن الآثار الدينية لمدينة الرها Narratio de Imagine Edessenah.

وسوف اكتفى فى هذه الصفحات بالإشارة إلى كتابين أولهما كتاب إدارة الإمبراطورية، وقد ترجمت هذا الكتاب إلى اللغة العربية وعلقت عليه، وهو من

إصدارات دار النهضة العربية - بيروت فى عام ١٩٨٠ وهذا الكتاب يقدمه الإمبراطور قسطنطين السابع إلى إبنه روماتوس. وقد تناول هذا الكتاب موضوعات مختلفة اشتملت على معلومات تاريخية وجغرافية واجتماعية ودينية ودبلوماسية ونظام الحكم والإدارة، بهدف تعليم ولى عهده شئون الحكم وإدراكه بخبايا وشئون الإمبراطورية السابقة والمعاصرة له، وتزويده بخبرات الآخرين للتصرف على ضوئها فى الظروف المماثلة.

والكتاب وإن كان يحتوى على نصائح وخبرات فإنه يقدمه لإبنه كوثيقة سرية لأنه يتضمن الكثير من المبادئ السياسية فى معاملة الشعوب خاصة العناصر التى تقطن شرق وشمال وغرب الإمبراطورية، وإن الإفصاح عنها يجعلها عديمة الفائدة، هذا بالإضافة إلى أسرار صنع النار الأغريقية والزواج من أجنبيات، وأطماع الشعوب فى ثراء الإمبراطورية.

أما الكتاب الثانى وهو كتاب المراسيم، وفى هذا الكتاب ورد كيفية تتويج الإمبراطور، وحفل التتويج وكيفية دخول المدعوين إلى الكنيسة وترتيب دخولهم. ومما ورد أيضاً مخاطبة الملوك والحكام والأمراء وكبار رجال الدين والبابا وصيغة الخطاب والديباجة واللغة والصيغة العامة للمراسلات، وكذلك إرسال السفراء إلى الخارج، واستقبال الإمبراطورية لسفراء الدول الأجنبية والدول الأولى بالرعاية.

- ليو الشماس:

ولد المؤرخ البيزنطى ليو الشماس Leo Diaconus فى كاليو Kaloe الواقعة عند سفح جبل تمولوس Tmolos الواقع جنوب مدينة سارديس Sardes فى غرب أسيا الصغرى فى عام ٩٥٠م، وتاريخ وفاته ليس معروفاً لدينا. وقد قدم فى شبابه إلى القسطنطينية حيث درس بها، وكما يتضح من أسمه فقد تلقى تعليماً دينياً وحصل على لقب الشماس. وفى عام ٩٨٦م اشترك فى الحرب ضد البلغار تحت قيادة الإمبراطور بازيل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥م)

وشارك في حصار مدينة صوفيا Sofia حيث هُزم الجيش الإمبراطوري وقد نجا بحياته بصعوبة بالغة. وقد بدأ كتابه التاريخ البيزنطي بعد عام ٩٩٢م وإن ما تركه من كتابه تاريخية غير مكتمل، ولعل ذلك مرجعه إلى وفاته قبل أن يتم عمله بعد عام ٩٧٥م.

وينقسم كتاب ليو الشماس إلى عشر فصول تغطى أحداث الفترة من ٩٥٩ حتى ٩٧٥ك. وهذه الفترة تتكلم عن حكم الإمبراطور رومانوس الثاني (٩٥٩ - ٩٦٣م)، والإمبراطور نقفور فوكاس Nicephorus Phocas (٩٦٣ - ٩٦٩م)، والإمبراطور يوحنا زيمسكيس John Zimisces (٩٦٩ - ٩٧٦م). ويصف لنا المؤرخ الحرب ضد المسلمين وغزو الإمبراطور نقفور لجزيرة كريت واستعادتها من المسلمين في (٩٦٠ - ٩٦١م) وانتصارات قوات الإمبراطورية في قيليقية، وجزيرة قبرص (٩٦٤ - ٩٦٥م) وكذلك الحرب على مدينة أنطاكية وشمال سوريا ضد المسلمين أيضاً (٩٦٨ - ٩٦٩م)، والحرب على البلغار في عام ٩٦٩م، وانتصارات الإمبراطورية البيزنطية في جنوب روسيا عام ٩٧١م. وفيما يتعلق بالأحوال الداخلية في الإمبراطورية تكلم المؤرخ عن موت الإمبراطور رومانوس الثاني في عام ٩٦٣م، واغتيال الإمبراطور نقفور فوكاس في عام ٩٦٩م.

وفيما يتعلق بعهد الإمبراطور نقفور فوكاس ويوحنا زيمسكيس يعتبر ما كتبه ليو الشماس المصدر الوحيد لهذه المرحلة. ومنه أخذ المؤرخون اللاحقون مادتهم التاريخية، وأنه كان شاهد عيان على ما كتبه أو أنه نقلها عن شهود عيان موثوق بهم.

ويؤخذ على المؤرخ أنه كان متحازاً للامبراطورية البيزنطية، وأنه اقتبس بعض عبارات من المؤرخ اليوناني هومر صاحب الإلياذة والأوديسا، وبروكوبيوس ومن آيات الكتب المقدسة، ورغم هذا كله فلم يكن ما كتبه ليو الشماس مقبولاً بكامله في القرون التالية له.

- يوحنا سكليتزس:

يوحنا سكليتزس Skylitzes صاحب كتاب مختصر التاريخ Synopsis Historiarum، ويقول المؤرخ في مقدمة كتابه أنه شغل منصب نائب الأدميرال البحري، ثم أصبح عميداً للقصر الإمبراطوري، وأخيراً منصباً رفيعاً في الهيئة القضائية. لقد عاش هذا المؤرخ وكتب في نهاية القرن الحادي عشر، ويحتمل أن يكون ذلك في السنوات الأولى لحكم الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين، ويغطي كتابه الأحداث التاريخية من ٨١١ - ١٠٥٨م. ويبدو من عام ٨١١م أنه مكملاً للمؤرخ ثيوفانيس الذي كان بدوره مكملاً للمؤرخ جورج الراهب، وقد مدح المؤرخ سكليتزس كل من المؤرخين السابقين. كما كتب عنه المؤرخ بسلوس وقال أن مختصر التاريخ جاء موجزاً وغير دقيق. ورغم هذا كله يعتبر مختصر التاريخ من أفضل الكتب، ويطابق الحقيقة، ومكملاً للمؤرخ ثيوفانس ومعادلاً له.

ومن النقاط الهامة التي قدمها المؤرخ معركة كليديون Kleidion التي دارت أحداثها في التاسع والعشرين من يوليو عام ١٠١٤م بين القوات البيزنطية بقيادة الإمبراطور بازيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥م)، وصموئيل حاكم البلغار التي قُتل فيها الآلاف من البلغار وأسر فيها خمسة عشر ألفاً. وقد أمر الإمبراطور بتقسيم الأسري إلي مئات، وقد سمل عيون تسعة وتسعون وأبقي عيناً واحدة للجندي الباقي، وطلب من هؤلاء سحب القوات البلغارية إلي حيث يوجد صموئيل الذي هرب من ميدان المعركة،، وعلي أثر هذا المنظر أصيب صموئيل بأزمة قلبية مات بعد يومين منها في السادس من أكتوبر ١٠١٤م.

- جورج سدرنوس:

وأود أن أشير في هذا المكان إلي أهمية هذه الحولية، فان معظم ما كتبه المؤرخ جورج سدرنوس George Cedrenus الذي عاش في القرن الحادي عشر وأنهي ما كتبه في عام ١٠٥٧م - منقول من حولية يوحنا سكليتزس.

- ميخائيل بسلوس:

والإسم الأصلي لهذا المؤرخ هو قسطنطين بسلوس Psellus، وقد غير أسمه إلى ميخائيل بسلوس. وقد ولد هذا المؤرخ في القسطنطينية عام ١٠١٨م ويقع تاريخ وفاته بعد عام ١٠٧٨م، وكان في حياته نشيطاً ذكياً موهوباً، وتربى على أفكار الفيلسوف اليوناني هومر. وقد تولت والدته تعليمه حتى صار في سن المراهقة، ولكن حاجة الأم إلى المال لتزويج أخته جعلها تتوقف عن الصرف عليه، فاضطر للعمل في وظيفة كاتب عند أحد القضاة المحترفين. ولكن نظراً لوفاة أخته المفاجئ جعلت أمه تعيده إلى التعليم في القسطنطينية ويستكمل دراسته على يد مدرس خاص. ولقد رافق المؤرخ أثناء تعليمه مجموعة من الشباب الأذكياء، وظل على علاقة طيبة معهم ومع مدرسيه. ومن هؤلاء يوحنا زفيلينوس Xiphilinus عميد كلية الحقوق في جامعة القسطنطينية وبطريرك القسطنطينية (١٠٦٣ - ١٠٧٥م)، وقسطنطين دوكاس Ducas الذي تولى العرش البيزنطي تحت إسم قسطنطين العاشر (١٠٥٩ - ١٠٦٧م)، وهو الذي استقدمه للعمل في البلاط الإمبراطوري.

ويتضح من كتابات المؤرخ أنه كان يشيد بأهمية مركزه، وأن القصر يعتمد عليه اعتماداً كبيراً، وكيف أنه كان له دوراً كبيراً في تصريف شئون الإمبراطورية، وفي نهاية عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٥م) تعرض لبعض المشاكل داخل القصر، فانسحب لبعض الوقت إلى أحد الأديرة. وعندما أصبحت الأمور مواتية له عاد إلى القصر مرة أخرى. ولقد أشار بسلوس في مقدمة كتابه أو حوليته Chronographia أن البعض كان يدفعه إلى كتابة تاريخ المرحلة التي عاشها، وفي نهاية الأمر وافق على هذه الفكرة، ولعله اقتنع بفكرة صديقه وزميله في الدراسة قسطنطين ليخودس Lichudes الذي تولى منصب بطريرك الإمبراطورية ١٠٥٩ - ١٠٦٣م. ومما لاشك فيه أن حياة بسلوس داخل القصر الإمبراطوري ودخوله الرهبانية لبعض الوقت ومعايشته للمخطوطات داخل الدير والقصر الإمبراطوري جعله على صلة

بكافة المسئولين عن اتخاذ القرار والأحداث الصغيرة والكبيرة الأمر الذي جعل لحوليته أهمية كبيرة جداً.

والحولية تنقسم إلى سبعة أجزاء. تناول الجزء الأول عهد بازيل الثاني (٩٧٦ - ١٠٢٥م)، والثاني قسطنطين الثامن (١٠٢٥ - ١٠٢٨م)، والثالث رومانوس الثالث (١٠٢٨ - ١٠٣٤م)، والرابع ميخائيل الرابع (١٠٣٤ - ١٠٤١م)، والخامس ميخائيل الخامس (١٠٤١ - ١٠٤٢م)، والسادس عهد زوي Zoe وثيودورا (١٠٤٢م)، وقسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٥م) وثيودورا (١٠٥٥ - ١٠٥٦م). أما السابع والأخير فتناول عهود ميخائيل السادس (١٠٥٦ - ١٠٥٧م) حتى ميخائيل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٨م). وقد تناول بسلوس الأحوال الداخلية مثل ثورات برداس فوكاس Parads Phoces، وبرداس سكليروس Sclerus، وإسحق كومنين وأحوال الكنيسة. والأخطار الخارجية في البلقان والأتراك السلاجقة خاصة معركة مانزكرت ١٠٧١م ونتائجها الخطيرة على الشرق والغرب.

- نقفور بريتيوس:

ينحدر نقفور بريتيوس Nicephor Bryennius من عائلة عريقة فقد كان والده حاكم مدينة دراكيوم الواقعة على ساحل دلماشيا، ووالدته تدعى هيلينا وهي من أسرة عريقة أيضاً، وقد لعبت الأسرتان دوراً كبيراً في السياسة الداخلية والخارجية للإمبراطورية البيزنطية. وقد ولد نقفور تقريباً في عام ١٠٧٧م. وكان رجلاً مثقفاً وأديباً ومتحدثاً لبقاً يحب المرء أن يستمع إليه، حاد الذكاء، جميل الصورة، محارباً بطبعه، له خبرة عالية في نواحي الحكم والإدارة وكان يحمل لقب «قيصر»، وبالإضافة إلى ذلك فهو مؤرخ له اسهاماته فيما كتب عن التاريخ البيزنطي.

تزوج نقفور من المؤرخة أنا كومنينا في عام ١٠٩٧ تقريباً، وكان ذلك ضد رغبتها لأنها كان تفضل الحياة بدون زواج، وقد قبلت هذا الزواج لإرضاء

والداها، فقد كان لأسباب هذا الزواج دوافع سياسية، ورغم هذا كله فقد كانت سعيدة في زواجها وأنجبت أربعة أولاد.

وقد حارب نقفور مع قوات الإمبراطورية حتى أواخر أيام حياته، فقد حارب مع قوات الإمبراطورية على عدة جبهات، كان آخرها اشتراكه في الحملة التي قادها الإمبراطور يوحنا كومنين في عام ١١٣٧ على الشام.

وقد كان نقفور مريضاً عندما التحق بالحملة واتجه عبر آسيا الصغرى إلى بلاد الشام، وقد تدهورت حالته الصحية عند عودته طوال رحلة العودة إلى القسطنطينية حيث مات بها عام ١١٣٧م. وقد عملت زوجته «آنا» ابنة الإمبراطور الكسيوس كومنين ومعها والدتها على أن يكون له العرش وبعد وفاة والدها في عام ١١١٨م، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، ورغم ذلك ظلت علاقته بالإمبراطور الجديد يوحنا طيبة، وشارك معه في العديد من العمليات العسكرية.

وهناك رسائل رائعة قدمها المؤرخ والقيصر نقفور، وقد سجلها رغم كل ما انشغل به حروب أو متاعب، وكانت رغبته كذلك أن يسجل تاريخ الإمبراطور الكسيوس كومنين، وقد بدأ هذا العمل منذ عهد الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينس، ولكن هذا الأمر الكبير لم يتحقق ولم يكمل مشروعه وتوقف عند الإمبراطور نقفور بوتانياتس Botaniates الذي اغتصب العرش من سلفه الإمبراطور ميخائيل الرابع دوكاس ١٠٧١ - ١٠٧٨م، وقد ظل هذا المغتصب يحكم من ١٠٧٨ حتى ١٠٨١م أي حتى بداية حكم الإمبراطور الكسيوس كومنين.

ورغم أن الفترة التي كتب عنها ١٠٦٧ - ١٠٨١م هي قصيرة نسبياً إلا أنها كانت مليئة بالصراع الداخلي بين الأسر الإقطاعية العسكرية والمدنية، مع سوء الأحوال في البلقان وإيطاليا، هذا بالإضافة إلى أخطار الأتراك السلاجقة الذين استولوا على مدينة آني Ani في عام ١٠٦٤م وانزلوا هزيمة قاسية

بالإمبراطورية في معركة مانزكرت إلى غير ذلك من الأحداث والصراع الداخلي إلى أن انتهى الأمر باعتلاء الكسيوس كومنين العرش ١٠٨١م.

والكتاب ينقسم إلى أربعة فصول، وقد جاء عنوان الفصل الأول تحت عنوان «بدايات اسحق ويوحنا كومنين»، وهما من القادة الأوائل في أسرة كومنين. أما الفصل الثاني وعنوانه «إعادة تنظيم حكومة الإمبراطورية»، يليه الفصل الثالث وعنوانه «أحوال الإمبراطورية تحت حكم ميخائيل السابع دوكاس» والفصل الأخير جاء عنوانه «الإمبراطور بوتانياتس يبدد أموال خزانة الدولة» ويلاحظ أن هذا المؤرخ لم يقدم عناوين الفصول بأسماء الحكام بل تحت أحوال ونظام الإمبراطورية.

- صلة سكيليتزس:

وتغطي هذه الصلة الأحداث من ١٠٥٧ - ١٠٧٩م، وهي تشابه كثيراً من حيث الأسلوب الكتاب الأصلي، وأن كان هناك بعض الاختلاف في الأسلوب فلعل ذلك يرجع إلى نضج الكاتب نفسه، ويرى البعض أن هذه الصلة هي إعادة لكتاب ميخائيل أتالياتس مع ظهور نزعة استقراطية في الكتابة، ولكن هذه النزعة موجودة في الكتاب الأصلي أيضاً.

- ميخائيل أتالياتس:

يعرف ميخائيل أتالياتس Attaliates بأنه مؤرخ ورجل دولة، وهو من مواطني مدينة أضاليا Attalia الواقعة في أقليم بامفليا Pamphylia الواقع في وسط الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، وقد توجه إلى القسطنطينية في المرحلة من ١٠٣٠ - ١٠٤٠م حيث الثروة والمركز، وقد عاصر عدة أباطرة وعمل في عدة مراكز هامة منها قاضي البلاط الإمبراطوري، ولقد أعد للإمبراطور ميخائيل دوكاس في عام ١٠٧٢م خلاصه عن القانوني البيزنطي. كما أعد قانوناً عن «دير للفقراء»، وهو ما وضع أساسه في القسطنطينية في عام

١٠٧٧م. وهذا العمل له أهمية خاصة فى التاريخ الاجتماعى لأنه يتعلق بحياة وسلوك البيزنطيين فى القرن الحادى عشر.

وحوالى عام ١٠٧٩م أو ١٠٨٠م أعد جانباً عن التاريخ البيزنطى، وهو يمثل الانقلابات والثورات داخل القصر الإمبراطورى فى تلك المرحلة، ويمثل التحول من عظمة الأسرة المقدونية إلى الأسرة الكومنينية، لقد سجل أتالياتس الأحداث باعتباره معاصراً وشاهد عيان. ورغم أنه كان رجل قانون، إلا أنه حاول أن يقلد المؤرخين فى كتاباتهم، ولكنه لم يوفق للوصول إلى سلفه المؤرخ ميخائيل بسلوس وقد شغل كتابه التاريخ "Historia" الفترة من ١٠٣٤ حتى عام ١٠٧٩م.

- يوحنا زوناراس :

عاش يوحنا زوناراس John Zonaras فى الجزء الأخير من القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن الثانى عشر، وفى عهد الإمبراطور يوحنا كومنين صار قائداً للحرس الإمبراطورى الخاص، والسكرتير الأول للمحكمة الإمبراطورية وأخيراً أصبح راهباً فى دير جليكريا العظيمة Hagia Glykeria (أحد جزر الأمراء فى بحر مرمرة وتعرف الآن باسم نيناندرو Niandro. وفى مكانه الأخير كتب ملخصاً للتاريخ تضمن الفترة من بداية الخلق حتى عام ١١١٨م وهو كتاب رائع فى الشكل والمحتوى ويعادل الحوليات البيزنطية الأخرى، وقد استخدم هذا الكتاب على نطاق واسع فى العصور الوسطى. وترجع أهميته أيضاً أنه نقل عن كتاب ديوكاسيوس Dio Cassius المفقود. وبالإضافة إلى كون زوناراس يعتبر من المؤرخين، فقد كان أيضاً عالماً بالقانون الكنسى، لذلك له كتابات أخرى وتعليقات على المجامع الدينية الشرقية، وعلى كتابات رجال الدين فى القرنين الثالث والرابع.

- أنا كومنينا :

سبق الحديث عن المؤرخ البيزنطية أنا كومنينا قبل ذلك عند الحديث عن مؤرخى الحروب الصليبية باعتبارها مسجلة لأحداث الحملة الصليبية الأولى وما بعدها، وعند الحديث عن زوجها المؤرخ نقفور برينيوس. وسوف أركز فى هذه الصفحات على ما لم يرد قبل بعامة ومؤرخه بيزنطية بخاصة. لقد ولدت المؤرخة فى يوم السبت الأول من ديسمبر عام ١٠٨٣م أى بعد تولية والدها الإمبراطور الكسيوس كومنين الحكم بعامين. وفى اليوم الثانى لميلادها عاد والدها من ميدان المعركة منتصراً، وكان فى ذلك فرحة للامبراطور وكذلك والدتها الإمبراطورة إيرين، وكان الأمل أن يكون المولود الأول ذكراً، وكانت المؤرخة أنا الإبنة الكبرى لسبعة أخوة، ومن الملاحظ أن المؤرخة نشأت وهى تكره أخيها يوحنا وهى فى سن الثامنة، ويوحنا هذا كان أكبر الأبناء من الذكور، وبذلك أصبح ولياً للعهد.

لقد تزوجت «أنا» كما ذكرت من المؤرخ نقفور برينيوس، وعندما توفى والدها فى عام ١١١٨م اشتركت فى مؤامرة لتولية زوجها العرش بدلاً من أخيها وعندما فشلت المؤامرة انسحبت مع والدتها إلى أحد الأديرة. ولقد نالت المؤرخة أنا قسطاً وافراً من العلوم اليونانية، كما درست التاريخ والجغرافيا والأساطير والفلسفة. وخلال عزلتها هذه كتبت بعض الأشعار وكتابها الشهير الألكسياد لتكمل أعمال زوجها نقفور، فبدأت من عام ١٠٧٩م حيث انتهى زوجها وانتهت فى عام ١١١٨م حيث وفاة والدها. قد ظلت فى هذا الدير حتى وفاتها فى عام ١١٥٠م. ويعتبر البعض أن كتاب الألكسياد مكملاً لكتاب المؤرخ الشهير ميخائيل بسلوس.

وتعتبر المؤرخة أنا كومنينا جوهرة أو درة الأسرة الكومنينية، ويعتبر كتاب الألكسياد الذى سجلته لتروى فيه أمجاد والدها هام للغاية لعدة أسباب؛ منها أنه المصدر الوحيد البيزنطى لعهد الإمبراطور الكسيوس، كما أن

التعليم العالى الذى تلقته المؤرخة كان له تأثيراً كبيراً على ما سجلته، هذا بالإضافة إلى ملاحظاتها الشخصية واطلاعها على كافة الشئون العامة وجوانب الحكم والإدارة، والسياسة الخارجية والداخلية للإمبراطورية. كما أنها لعبت دوراً كبيراً فى كتابة المراسلات الدبلوماسية، وعلمها بتقارير والدها إلى القادة العسكريين والجنود واطلاعها على دار محفوظات الإمبراطورية. ولقد أثنى عليها النقاد فيما كتبته، ولكنهم أشاروا إلى المديح الزائد الذى أضفته على والدها. وعندما تحدثت عن علاقة النورمان بالامبراطورية خاصة روبرت جويسكارد فمن الواضح أنها اطلعت على بعض المصادر اللاتينية.

لقد نظرت المؤرخة أنا كومنينا إلى الصليبيين فى كتاباتها من وجه نظر بيزنطية، وتلاحظ أيضاً عداءها للاتين بكل وضوح. ويلاحظ على كتاب الالكسياد أن به بعض النواقص، ومن ذلك أن المؤرخة أضفت قدر من العظمة على الأعمال الرسمية للدولة. كما أن هناك جانباً من الهجاء والاقلال من شأن بعض الشخصيات، وأنها تدخلت فى أعماق بعض الشئون مثل الأحوال المالية والشئون العسكرية والقانونية.

ويتضمن كتاب الألكسياد خمسة عشر موضوعاً وهى مرتبة حسب الأحداث الزمنية، وقد تناول الموضوع الأول حياة الإمبراطور الكسيوس منذ صباه حتى الشهور الأخيرة من حكم الإمبراطور نقفور بوتانياتس المغتصب عام ١٠٨١م. أما الموضوع الثانى فتناول ثورة آل كومنين. وجاء الموضوع الثالث بعنوان اعتلاء الكسيوس عرش الإمبراطورية والصراع بين آل دركاس وآل كومنين وذكر الموضوع الرابع بعنوان «الحرب ضد النورمان» فى صقلية وجنوب ايطاليا ١٠٨١ - ١٠٨٢م، أما الخامس فجاء مكملاً للحروب مع النورمان ١٠٨٢ - ١٠٨٣م، والتعامل مع الهراطقة.

أما الموضوع السادس فقد ورد تحت عنوان «هزيمة النورمان وموت روبرت جويسكارد النورمانى، والاتراك» والمقصود بالأتراك هنا الأتراك

السلاجقة فى آسيا الصغرى. وفيما يختص بالموضوع السابع فقد ورد بعنوان «الحرب مع السكيثيون Scyths ١٠٨٧ - ١٠٩٠م»، والمقصود بهم هنا العناصر التى تقطن شمال الدانوب. أما الثامن فقد جاء بعنوان «الحرب مع السكيثيون (١٠٩١م)، انتصار الإمبراطور الكسيوس عند ليفونيوم Levunium (٢٩ أبريل ١٠٩١م المؤامرات ضد الإمبراطور». والفصل التاسع جاء بعنوان «الحرب مع الأتراك السلاجقة وتدخل أهل دلماشيا (١٠٩٢ - ١٠٩٤م)، ومؤامرة نقفور ديوجينيس ضد الإمبراطور». وفى الفصل العاشر ذكرت المؤرخة أنا كومنينا «هرطقة أخرى - الحرب ضد عناصر الكومان، والحملة الصليبية الأولى (١٠٩٤ - ١٠٩٧م)». وخصصت المؤرخة الفصل الحادى عشر للحملة الصليبية الأولى ١٠٩٧ - ١١٠٤م. أما الموضوع الثانى عشر فقد تكلمت المؤرخة عن بعض «المشاكل العائلية والغزو النورماندى الثانى ١١٠٥ - ١١٠٧م لبعض أراضى الامبراطورية». وجاء الموضوع الثالث عشر بعنوان «مؤامرة هارون البلغارى ضد الإمبراطور، ومعاهدة ديفول ١١٠٧ - ١١٠٨م». وهى المعاهدة التى وقعها الأمير الصليبى بوهمند بعد هزيمته. وفيما يتعلق بالموضوع الرابع عشر فقد كتب عن «الأتراك، والفرنجة (الصليبيون) والكومان Cumans وبعض عناصر شمال الدانوب». وتكلم الموضوع الخامس عشر والأخير عن «انتصار الكسيوس على الأتراك السلاجقة والهرطقة البوجوميلية Bogomils، وأخيراً مرض الإمبراطور الكسيوس وموته (١١١٦ - ١١١٨م)».

- يوحنا كيناموس:

وكتاب يوحنا كيناموس John Kinnamos هو مختصر التاريخ Epitome Historiarum، ومعلوماتنا عن هذا المؤرخ قليلة. فمسقط رأسه غير معروف لدينا. وكل ما نعرفه أنه ولد حوالى عام ١١٤٣ أى مع بداية حكم الامبراطور مانويل أو بعد ذلك بقليل، وأنه عمل كذلك حاجباً فى البلاد البيزنطى شأنه فى ذلك شأن زميله نيكتاس Nicetas. وعلى ما يبدو أنه

صاحب الأمبراطور مانويل فى بعض حملاته العسكرية بدليل ما نجده من اسهاب فى شرح تفاصيل بعض المعارك أو أنه كان يعمل فى البلاط فى بعض الشئون العسكرية. وتاريخ وفاته غير معروف والواضح من النصوص التى تركها فى مؤلفه «مختصر التاريخ» أنها كانت فى عهد الأمبراطور الكسيوس الثانى كومينينوس Alexuis II Commenus (١١٨٠ - ١١٨٣م) ابن الأمبراطور مانويل أو بعده بقليل، لأنه أشار فى بداية مؤلفه إلى حكم الكسيوس الثانى.

ويعتبر ما كتبه كيناموس من المصادر الهامة فى التاريخ البيزنطى التى تناولت جانباً من القرن الثانى عشر الميلادى ولا يقل أهمية عن نيكتاس. فقد تناول فى كتابه الأحداث التى تبدأ من عهد الأمبراطور يوحنا، وعهد الأمبراطور مانويل حتى عام ١١٧٦م. ومن المحتمل أن يكون كيناموس قد انتهى من كتابة عهد الأمبراطور مانويل وأضاف إليه عهد أبنه الكسيوس ولكنه فقد ولم يلحق بالكتاب الذى بين أيدينا. ومن الملاحظ أن المؤرخ كيناموس كان معاصراً لزميله نيكتاس، وإذا كان كيناموس قد توفى فى زمن سابق لوفاة نيكتاس فمن الشاهد كذلك أن المؤرخ نيكتاس لم يشر إلى زميله كيناموس. ولعل من أسباب ذلك أن المؤرخ كيناموس لم يكن معروفاً لدى معاصريه كمؤرخ وأن ما دونه من مادة تاريخية لم تعرف إلا بعد وفاة نيكتاس، أو أن الأخير تعمد إغفاله.

وكتاب «مختصر التاريخ» من المصادر التى يعتمد عليها خاصة وأنه المؤرخ الوحيد بعد نيكتاس الذى ألف لعهد الأمبراطور مانويل - وصلت مادته التاريخية إلى أيدينا - يضاف إلى ذلك أن ما تركه لنا هذا المؤرخ يمتاز بالدقة والمعرفة، وعلى ما يبدو أنه لم يسهب إلا فى سرد الأحداث التاريخية التى شاهدها بنفسه بدليل ما نجده من إسهاب فى ذكر بعض الأحداث على العكس من بعض الأحداث الأخرى، وهى التى على ما يبدو قد نقلها عن شهود العيان. لذلك أوردها باختصار وفى غاية التحفظ.

ومن الملاحظ أيضاً على كيناموس أنه كان يحب الأمبراطور مانويل ومعجباً به بشكل واضح، ومن ذلك ما نشاهده من أنه أعطى أعمال الأمبراطور قيمة خاصة وأنه عندما يتكلم عن أعمال مانويل العسكرية يضفى عليه نوعاً من البطولة الأسطورية وكان ذلك على حساب المادة التاريخية للأحداث لأنه فى غمرة حديثه عن بطولات مانويل الفردية ينسى إمدادنا بالمعلومات التاريخية الكافية عن أحداث هذه المعارك.

وينقسم كتاب «مختصر التاريخ» إلى سبعة فصول. يشتمل الفصل الأول منها على حكم الأمبراطور يوحنا. والمعلومات التاريخية التى وردت به موجزة وقد أوردها المؤرخ حسب ترتيبها الزمنى.

أما الفصل الثانى فقد تضمن الأحداث منذ بداية حكم مانويل حتى عام ١١٥٢م، وقد أورد فيه المؤرخ أحداث حروب الأمبراطورية مع السلاجقة وأخبار الحملة الصليبية الثانية وعلاقات الأمبراطور مانويل مع الملك كونراد أثناء عبوره على رأس قواته إلى آسيا الصغرى، وما كتبه المؤرخ فى هذا الفصل عن العلاقات السلجوقية البيزنطية يدل على معرفته الطيبة بالمسائل السلجوقية. والمادة التاريخية وردت حسب ترتيبها الزمنى فى سرد الوقائع.

وتناول الفصل الثالث الفترة التالية الممتدة حتى عام ١١٥٦م، وقد اشتمل على جانب كبير عن علاقة الامبراطورية بالمغرب، والجانب الشرقى الذى أورده المؤرخ يتعلق بصراع الامبراطورية مع الأرمن وهى معلومات ناقصة ولا تتناسب اطلاقاً مع مجريات الأحداث.

ويلي ذلك الفصل الرابع الذي امتدت أحداثه حتي عام ١١٦١م، وتناول فيه المؤرخ حملة الأمبراطور مانويل علي قيليقية والشام وانتهي باحداث هجوم السلاجقة علي الامبراطورية البيزنطية. وقد قدم المؤلف في هذا الفصل معلومات طيبة عن الأحداث المتعلقة بأنطاكية وآسيا الصغري ولكن معلوماته عن أحداث قيليقية قليلة وفي غاية الاختصار.

أما الفصل الخامس فقد شملت مادته التاريخية الفترة التالية حتى عام ١١٦٦م، وتضمن الأحداث الشرقية الخاصة بحروب الامبراطورية مع السلاجقة وعلاقة الامبراطور مانويل بامارة أنطاكية، والأحداث التاريخية واردة حسب ترتيبها الزمنى واشتمل هذا الفصل على جانب كبير من العلاقات البيزنطية الغربية والروسية.

واشتمل الفصل السادس ما يلى من أحداث عام ١١٧٤، وما ورد به من الجانب الشرقى يتركز فى الحملة البيزنطية الصليبية على مصر فى عام ١١٦٩م وزيارة الملك عمورى الأول Amalric I ملك مملكة بيت المقدس (١١٦٢ - ١١٧٣م) وجانباً من الحروب السلجوقية.

أما الفصل السابع والأخير فقد تناول فيه المؤلف الأحداث حتى منتصف عام ١١٧٦م، وقد أورد فيه المؤلف الحروب السلجوقية مع الإمبراطورية فى هذه الفترة والجهود التى قام بها مانويل الأول لضرب السلاجقة، وتنتهى أحداث هذا الفصل بما ذكره المؤلف عن إرسال بعض قطع الأسطول البيزنطى إلى مصر ويتوقف فى الوقت الذى نظم فيه الامبراطور مانويل قواته لضرب السلاجقة التى انتهت طبقاً لما روته لنا المصادر الأخرى بهزيمة القوات البيزنطية فى معركة ميريوكيفالون.

- نيكتاس خونياتس:

ويعرف كتاب نيكتاس خوناتيس Nicetas Choniates باسم التاريخ Historia، وقد ولد هذا المؤرخ فى أواسط القرن الثانى عشر الميلادى فى مدينة خونيه Chonea بآسيا الصغرى ولذلك اقترن أسمه بمسقط رأسه، وعندما بلغ التاسعة من عمره انتقل إلى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية ليتلقى تعليمه تحت اشراف أخيه الأكبر ميخائيل خونياتس Michel Choniates الذى أصبح مطراناً لمدينة أثينه فيما بعد. ولقد تقلد نيكتاس عدداً من الوظائف الهامة كان أولها أنه عمل حاجباً فى البلاط البيزنطى فى

أواخر عهد الأمبراطور مانويل ثم أصبح عضواً فى السناتو Senatus، كما عمل قاضياً وتدرج فى منصبه حتى أصبح كبير الحجاب Paracoemomenus فى عهد الأمبراطور اسحق الثانى انجيلوس Issac II Angelus (١١٨٥ - ١١٩٥م)، ثم عين حاكماً لثيم فيليبوليس Philippolis الواقع فى البلقان. وعندما سقطت القسطنطينية فى يد اللاتين عام ١٢٠٤م/ ٦٠٠ هـ لجأ نيكتاس إلى أقليم بثينيه Bithynia فى آسيا الصغرى ودخل فى خدمة الأمبراطور البيزنطى ثيودور الأول لاسكاريس Theodore I Lascaris (١٢٠٤ - ١٢٢٢م) الذى أقام حكومته فى نيقية حيث انتهت حياة نيكتاس فى تاريخ غير معروف يمكن تحديده فى الفترة الممتدة من عام ١٢١٠ وهى السنة الأخيرة التى انتهت فيها الحوادث التى ذكرها فى مؤلفاته وعام ١٢٢٢م وهى السنة التى مات فيها أخوه وأشار فيما كتبه عن موت أخيه الأصغر نيكتاس.

وكتاب «التاريخ» الذى تركه لنا نيكتاس هو المؤلف البيزنطى الوحيد الذى تناول فيه الفترة الممتدة من عام ١١١٨ - ١٢٠٦م وأرخ فيه للأباطرة البيزنطيين وذيله بملحق صغير تناول فيه المؤلف تماثيل القسطنطينية التى أتلفها اللاتين عام ١٢٠٤م عندما استولوا على العاصمة البيزنطية، وللمؤرخ بعض المؤلفات الأخرى تتعلق بالمجالات الدينية والشعرية والخطابية. والمهم أن كتاب التاريخ يعتبر من أعمدة المصادر التاريخية البيزنطية عن حكم الأمبراطور مانويل الأول. والمتصفح لفقرات هذا الكتاب يمكنه أن يلاحظ بوضوح أن المؤرخ دون الفصول الثلاثة الأولى بعد عهد الامبراطور مانويل وفى عهد الأمبراطور أندرونيق كومينينوس Andronicus Commenus (١١٨٣ - ١١٨٥م) ومما يدل على ذلك أن المؤرخ تحدث عن بعض أخباره كإمبراطور فى الوقت الذى يتحدث فيه عن أخبار الأمبراطور مانويل، أما بقية الفصول فقد كتبها المؤرخ بعد سقوط القسطنطينية لأنه تحدث فيها عن سقوط القسطنطينية وأشاد فيها بحسن سياسة الإمبراطور مانويل التى أتبعها مع اللاتين، وربما يكون قد دون بعضها قبل ذلك.

ولم يشر نيكتاس إلى المصادر التى استقى منها مادته التاريخية، ولكن من الواضح أن المناصب التى تقلدها هذا المؤرخ قد مكنته من الاتصال بكبار الشخصيات الذين كانوا يحركون الأحداث كالقادة العسكريين ورجال البلاط، وعلى ما يبدو أن المؤرخ قد استقى بعض مادته التاريخية من الروايات الشعبية التى تناقلها البعض خاصة فيما يتعلق بعلاقة الأمبراطورية مع الحملة الصليبية الثانية. كما رجع المؤرخ إلى بعض المصادر المكتوبة ويتضح ذلك من تطابق مادته التاريخية التى أوردها عن معركة ميريوكيفالون Myriokephalon إلى حد كبير مع ما كتبه الأمبراطور مانويل فى تقريره الذى أرسله الأمبراطور إلى هنرى الثانى.Henry II ملك انجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩م) فى نوفمبر عام ١١٧٦م.

ويقع كتاب التاريخ في عشر فصول بعضها كبير والآخر صغير، كما أن بعض الفصول ينقسم إلي أجزاء صغيرة. وفي الفصل الأول تناول المؤرخ عهد الإمبراطور يوحنا كومنين ١١١٨ - ١١٤٢م. وقد سجل فيه الأحداث بصورة مختصرة، ورغم ذلك فقد قدم لنا مادة طيبة في بعض جوانبها. وقد بدأ بالحديث عن تأمين الإمبراطور لعرش الإمبراطورية والحرب على الصرب فى عام ١١٢٣م، وعلي هنغاريا في ١١٢٧م ثم الصلح بعد حوالى عام من الحروب، وحروب الإمبراطورية مع الأتراك السلاجقة فى آسيا الصغرى منذ عام ١١٣٤ وما بعدها. كما سجل حملة الإمبراطور يوحنا على قيليقية وأنطاكية في شمال الشام وعودته إلي قيليقية في نهاية سبتمبر عام ١١٤٢ لقضاء فصل الشتاء، ثم وفاته في المنطقة نفسها فى أول أبريل ١١٤٣م.

أما الفصل الثاني فهو يتناول عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣ - ١١٨٠م، ويقع هذا الفصل في سبعة أجزاء. وقد ذكر المؤرخ فى الجزء الأول بداية حكم الإمبراطور وتأمينه للعرش وحروب الإمبراطورية مع سلاجقة الروم وأحداث الحملة الصليبية الثانية واقتراب الملك الألماني بقواته الصليبية من القسطنطينية وعبوره إلى آسيا الصغرى، ثم تلاه الملك لويس السابع بقواته.

وتضمن الجزء الثاني الأحداث من ١١٤٧ - ١١٥٨م، وقد تناول المؤرخ هجوم النورمان في صقلية بقيادة الملك روجر الثاني بعد ما أبحرت القوات من مدينة برنديزي إلي جزيرة كورفو دون مقاومة وبعض المعلومات حول هذا الهجوم حتي انتهي الأمر بالصلح عام ١١٥٨م.

واشتمل الجزء الثالث علي ما يلي ذلك من أحداث حتى عام ١١٦٢م وأورد فيه المؤرخ حملة الامبراطور علي الأرمن في إقليم قيليقية ودخول الامبراطور مدينة أنطاكية وعلاقته بالصليبيين وعودة الإمبراطور إلي عاصمته ووفاة الإمبراطورة إيرين في أواخر عام ١١٥٩م، وزواج الامبراطور من الأميرة الصليبية ماريا. كما تناول جانباً من حروب مانويل مع السلاجقة، وتوسع فى أخبار زيارة السلطان السلجوقي قلج أرسلان (١١١٦ - ١١٥٦م)، وأشار إلي مساندة الإمبراطور للسلطان ضد آل دانشمند.

وفي الجزء الرابع تحدث عن علاقة الامبراطورية بهنغاريا، وما ترتب علي ذلك من أحداث، وكل ما يتعلق بالجانب الشرقي خاصة الحروب مع سلاجقة الروم التي أنتهت أحداثها حوالي عام ١١٧٣م.

وسجل المؤرخ في الجزء الخامس أحداثاً تاريخية امتدت بين عام ١١٦٦م حتى عام ١١٨٠م، وخصص معظمها لأحداث المجر وقصة الصراع بين الإمبراطورية والبنادقة، وفي الجانب الشرقي تناول أحداث الحملة الصليبية البيزنطية علي دمياط عام ١١٦٩م، وهجمات البنادقة علي جزيرة خيوس Chios.

وتضمن الجزء السادس حروب الإمبراطورية مع السلاجقة في آسيا الصغرى، كما خص معركة ميريوكيفالون بعناية خاصة، وهي المعركة التي هزمت فيها القوات البيزنطية هزيمة قاسية في عام ١١٧٦م.

وفي الجزء السابع والأخير من هذا الفصل سجل المؤرخ عجز الإمبراطورية عسكرياً عن مواجهة الدول التي تحيط بها من الشرق والغرب خاصة البندقية

وجنوة وبيزة وأنكونا. كما تكلم عن الإمبراطور الغربي فريدريك بارباروسا وتخريبه مدينة ميلان، وقدوم سفراء من أنكونا إلي البلاط البيزنطي، وأخيراً مرض الإمبراطور ووفاته في عام ١١٨٠م.

وسجل المؤرخ في الفصل الثالث ما يتعلق بحكم الإمبراطور ألكسيوس الثاني ١١٨٠ - ١١٨٣م. وذكر أنه من مواليد عام ١١٦٩ وسلوك أمه السيء والوصاية علي الإمبراطور، ودور أندرونيق Andronicus في هذه المرحلة حتي وصوله إلي السلطة.

وجاء الفصل الرابع عن عهد الإمبراطور أندرونيق الأول كومنين ١١٨٣ - ١١٨٥م وهو يقع في جزئين. وقد جاء في الجزء الأول تولي أندرونيق السلطة وانفصال جزيرة قبرص عن الإمبراطورية البيزنطية، وهجمات النورمان علي مدينة سالونيك في صيف عام ١١٨٥م. أما الجزء الثاني فقد أكمل فيه المؤرخ الأحداث الخاصة بمدينة سالونيك حتي نهاية الأحداث العسكرية وانسحاب الأسطول النورماني.

أما الفصل الخامس فاختص بعهد الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس Isaac II Angelus (١١٨٥ - ١١٩٥م)، وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة أجزاء، وقد ورد في الجزء الأول توليته العرش دون متاعب، والحرب مع المدن الإيطالية والأتراك السلاجقة في آسيا الصغري. أما الثاني فقد سجل فيه المؤرخ حروب الإمبراطورية في البلقان وبعض أحداث الحملة الصليبية الثالثة ومنها مرور الإمبراطور فريدريك الثاني وقواته الألمانية عبر أراضي الامبراطورية وآسيا الصغري وموقف السلاجقة من القوات الألمانية وغرق الإمبراطور في نهر سالف، كما تحدث عن استعادة المسلمين لمدينة بيت المقدس وفيليب أوغسطس ملك فرنسا واستيلاء ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا علي جزيرة قبرص. وفي الجزء الثالث ذكر مصاهرة الإمبراطور لملك صقلية، وحروب الامبراطورية مع البلغار واغتصاب الكسيوس الثالث للعرش البيزنطي بعدما قبض علي أخيه وسمل عينيه وسجنه.

وفيما يتعلق بالفصل السادس فقد تناول أحداث عهد الإمبراطور الكسيوس الثالث أنجيلوس ١١٩٥ - ١٢٠٣م، وقد ورد هذا الفصل في جزئين، وقد جاء في الأول قيام الإمبراطور بإغداق الأموال علي من ساعدوه للوصول إلي العرش، وفشل الامبراطور في الحرب مع البلغار، وادعاء الإمبراطور الألماني هنري السادس لعرش بيزنطة وإرسال مبعوثيه إلي الإمبراطور البيزنطي ثم موت هنري السادس، والعلاقات مع جنوة، ثم عاد المؤرخ ليتكلم عن الحرب في البلقان والهدنة مع سلاجقة الروم ثم خرقها. أما الجزء الثاني فقد أورد توجه الإمبراطور البيزنطي إلي مدينة سالونيك، والحرب مع البلغار والكومان والسلاجقة، وفرار الامبراطور السابق من سجنه، ثم إستيلاء الصليبيين علي مدينة زارا وأخيراً الصراع علي العرش.

واختص الفصل السابع بذكر أحداث عودة الإمبراطور إسحق الثاني أنجيلوس ومعه إبنه الكسيوس لعرش بيزنطة ١٢٠٣ - ١٢٠٤م، وفي هذا الفصل تناول المؤرخ أحداث الحملة الصليبية الرابعة وقيام الصليبيين بزعامة البندقية بحصار مدينة القسطنطينية.

أما الفصل الثامن فذكر حكم الإمبراطور الكسيوس الرابع دوكاس ويعرف أيضاً بإسم مورتزوفلوس Mourtzouphlos (١٢٠٤م)، وفيه أكمل المؤرخ حصار مدينة القسطنطينية حتي سقوطها في يد الصليبيين وقيام الإمبراطورية الصليبية اللاتينية ١٢٠٤ - ١٢٦١م.

وسجل المؤرخ في الفصل التاسع الأحداث التي أعقبت سقوط الإمبراطورية البيزنطية ونهب المدينة وحروب اللاتين في البلقان ومصرع الإمبراطور اللاتيني بلدوين الأول ١٢٠٤ - ١٢٠٥م.

وفي الفصل العاشر وهو الأخير تناول فيه المؤرخ الآثار والنفائس التي استولي عليها الصليبيون من مدينة القسطنطينية ومنها النسر والخيول الأربعة البرونزية وغير ذلك.

ويتضح مما كتبه المؤرخ نيكتاس أنه قدم مادة وفيرة، وتغطي أحداث

حوالي تسعين عاماً، وأنه كشاهد عيان بالإضافة إلي صلته بالمسئولين جعلته يقدم كثيراً من التفاصيل، وأنه عندما يصل إلي نهاية حكم أي إمبراطور يذكر مدة حكمه. ويلاحظ عليه أنه لم يراع التسلسل الزمني للأحداث إلي حد ما، كما أنه كان يميل إلي الاستطراد في بعض الأحيان، كما أنه لم يشر إلي السنة التي وقعت فيها الأحداث وأنه كان يشير في بعض الأحيان إلي الفصل الجغرافي، وأحياناً يذكر السنة العالمية لبعض الأحداث. والمادة التاريخية غزيرة وثرية وتحتاج إلي مهارة عالية للتعامل معها وتتبع أحداثها لغموض بعض الأحداث.

- يوحنا كانتاكوزين:

ولد يوحنا كانتاكوزين Kantakuzenos في عام ١٢٩٢م تقريباً وهو ينتمي إلي أسرة استقراطية عسكرية وأصبح القائد العسكرى لقوات الأمبراطورية في عهد سلفه الإمبراطور أندرونيقوس الثالث Andronicus III ١٣٢٨ - ١٣٤١م ثم أصبح شريكاً في الحكم مع الامبراطور القاصر يوحنا الخامس ١٣٤١ - ١٣٩١م، ثم انفرد بالسلطة من ١٣٤٧ - ١٣٥٤م، وتم عزله في عام ١٣٥٥م فدخل الرهبانية وبقى مدة في أحد أديار جبل آثوس Athos حيث التحق به ابنه متى فأقام في ميسترا Mistra منذ عام ١٣٨٠ حتى توفى بها عام ١٣٨٣م.

ومن الأحداث التي شارك الامبراطور يوحنا وسجلها الحرب مع الصرب والاتراك العثمانين التي وقعت في صيف عام ١٣٤٨م، وذكر تقدم القوات البيزنطية ضد مدينة ميديا Mideia التي تقع على ساحل إقليم بنطس Pontic في البحر الأسود وكيف دارت الحرب أيضاً في إقليم تراقيا، والهزيمة التي لحقت بالقوات الصربية في مدينة مسن Mesene التي تقع في الجنوب الغربي من بلاد اليونان حالياً. أما الأحداث الأخرى التي سجلها المؤرخ في خريف العام نفسه فهي الحرب ضد الجنوية في إقليم جالاتا وهو الجزء الشمالي للقرن الذهبي ومرض الأمبراطور. وكيف استغاث مراطني الامبراطورية من

تعديات الجنوية وكيف استعد الاسطول البيزنطى بالشواني وهزم الجنويين، وكيف أنتهى الأمر بتسليم ما أطلق عليهم اللاتين وهم الجنوية الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها. وكيف لعبت الرياح دورها في هذا القتال، والحقيقة أن الوصف الذي قدمه المؤرخ فيه الكثير من فن الحرب والقتال البحرى، وكيف شكر الأهالي البيزنطيون من سكان ضاحية جالاتا الإمبراطور على قدمه لهم.

- ميخائيل كريتوفولوس:

هو ميخائيل كريتوفولوس أو كريتوبولوس Michael Kritovoulos أو Critoboulus وكتابه منشور باللغة الإنجليزية تحت عنوان تاريخ محمد الفاتح، والمتصود به السلطان العثماني محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١م). ومعلوماتنا عن هذا المؤرخ قليلة. فهو يوناني الأصل ويبدو أنه من مراطني جزيرة إمبروس Imbros التي تقع في الطرف الشمالي الشرقي لبحر ايجه في مقابل مدينة أبيدوس Abydus. ولم يكن هذا المؤرخ حاضراً أثناء حصار مدينة القسطنطينية في عام ١٤٥٣م ولكنه زار المدينة بعد سقوطها بقليل ودخل في خدمة السلطان محمد الفاتح، ويبدو أنه في نهاية الأمر أصبح حاكماً لجزيرة إمبروس. ومن الواضح أنه أصبح على علاقة طيبة بالسلطان وأنه درس سيرته جيداً. كما أنه كان معجباً بالسلطان وقدراته العسكرية منذ سقوط مدينة القسطنطينية وبداية زوال الإمبراطورية البيزنطية. وقد حمل المؤرخون اليونانيون المحدثون على هذا المؤرخ وألقوا عليه باللوم لميله إلي السلطان محمد الفاتح وتصويره في صورة بطل، وهو الرجل الذي هزم البيزنطين. ولكن المؤرخين المتصفين قالوا عنه أنه مؤرخ على مستوى عال فيما يتعلق بكافة الحملات العسكرية على المدينة.

ومن الملاحظ عليه أنه استخدم كلمة اليونانين Greeks (البيزنطيون) بدلاً من الرومان. وفيما يتعلق بأسماء الأشخاص فانه كتب اسم محمد

بالطريقة التركية مهمت Mehmet. كما أنه استخدم التقويم منذ بداية الخلق أى على الطريقة البيزنطية وهو ٥٥٠٨ وأن سنة ٦٩٥٩ تعادل ١٤٥١م.

وينقسم كتاب المؤرخ إلى خمسة أقسام ومقدمة فى شكل خطاب. وقد وردت فى ثلاث صفحات. وجاء القسم الأول وهو أكبر الفصول فى حوالى ثمانين صفحة واشتمل هذا الفصل على الأحداث من ١٤٥١ - ١٤٥٢م وتضمن بداية حكم السلطان العظيم محمد الفاتح، وبعض أعماله وبناء قلعة البسفور والمقصود بها قلعة روملى حصار وحالياً هى المتحف التركى، والمعارك العسكرية على القسطنطينية. أما القسم الثانى فقد تناول الأحداث من ١٤٥٤ - ١٤٥٧م، وسجل الأحداث الخاصة بالحملات التركية على إينوس Enos والحرب ضد إقليم تريبالى Triballi وهو الصرب حالياً وهزيمة السلطان وتخليص من وقع فى أيدى الأتراك، والاستيلاء على جزيرتى ليمنوس Limnos، وثاسوس Thasos. وهجوم أسطول بحرى إيطالى سيره البابا على بحر إيجه خاصة جزيرة ثاموسراكا Thamothraca.

أما الفصل الثالث فقد تضمن الأحداث من ١٤٥٨ - ١٤٦٠م، وتكلم المؤرخ عن الحرب ضد إقليم البلوبونيز Peloponnes أى بلاد اليونان حالياً والغزوة الأولى والثانية للسلطان محمد الثانى وهزيمة الإقليم وأسر سكانه وبعض الأحداث الأخرى مثل وصول السلطان إلى مدينة أدرنه وقيامه ببعض التنظيمات. وفيما يتعلق بالقسم الرابع الذى أحتوى الأحداث من ١٤٦١ - ١٤٦٣م، فقد سجل المؤرخ استسلام مدينتى طرابيزون وسينوب للاتراك العثمانيين، وثورة الولاشين Vlachs أو الجيتاى Getae، والقضاء على ثورتهم وأسرهم، والسيطرة على كل جزيرة ليبوس، وأول تدخل للسلطان فى إقليم البوسنة والاستيلاء عليه، وبعض الشئون الداخلية. وجاء الجزء الخامس ليسجل الأحداث من ١٤٦٤ - ١٤٦٧م، وكتب عن حروب السلطان مع البنادقة، والحملة العسكرية الثانية ضد البوسنة، والحملة الأولى والثانية على أقليم

الليريا Illyrians وهى البانيا حاليا وكيف أخضع السلطان هذا الإقليم وقيامه ببناء بعض القلاع.

- جورج سفرانتزس :

ولد المؤرخ جورج سفرانتزس George Sphrantzes فى عام ١٤٠١م وكانت وفاته بعد عام ١٤٧٧م، وهو أحد رجال بلاط الامبراطورية ولعب دوراً كبيراً فى الدبلوماسية البيزنطية وخدم كسفيراً لعدة أباطرة، وفى ختام حياته أعد حولية عرفت باسم الحولية الصغرى Chronicom Minus، وهى بمثابة يوميات سجلها المؤرخ كشاهد عيان. وقد امتدت الحولية من ١٤١٣ حتى عام ١٤٧٧م.

وقد جاءت المعلومات الخاصة بسقوط القسطنطينية، وهى ما تهمنا فى هذه الصفحات موجزة جداً، ومن ذلك أن المؤرخ يقول فى أقل من ثلاثة أسطر أن السلطان ويقصد به محمد الفاتح إستولى فى السادس والعشرين من مارس عام ٦٩٦٠ (١٤٥٢م) على المضيق يقصد مضيق البسفور من أجل إقامة قلعة والمقصود قلعة روملى حصار. ويقول فى موضع آخر أنه فى يوم الثلاثاء الموافق التاسع والعشرين من مايو (١٤٥٣م)، وفى الصباح الباكر استولى السلطان على المدينة أى القسطنطينية، وأن الامبراطور قسطنطين قد قتل، وأنه أى المؤرخ لم يكن فى هذا المكان طبقاً لتعليمات الإمبراطور، وأن الإمبراطور عاش لمدة تسع وأربعين سنة، وتسعة أشهر وعشرين يوماً، وأن حكمه امتد أربع سنوات وأربعة شهور، وأربعة وعشرين يوماً. كما تكلم المؤرخ عن وقوعه فى أسر الأتراك العثمانيين، وتم تحريره فى الأول من سبتمبر عام ١٤٥٣ مقابل الفدية، وكذلك تحدث عن أسر زوجته وأولاده، ويعتبر أهم ما سجله المؤرخ هو عدم قيام الممالك المسيحية الأوروبية بتقديم أية مساعدة للامبراطورية البيزنطية فى هذه المرحلة، وكيف سارعت دولة المجر وأرسلت سفيراً إلى السلطان العثمانى لعقد معاهدة سلام. وسجل طلب دولة قشتالة فى

الحصول على جزيرة ليمنوس لتستعد لمهاجمة الأتراك عن طريق البحر فى الوقت المناسب.

- نيقولو باربارو:

ولد نيقولو باربارو Nicolo Barbaro فى عام ١٤٠٠م، وهو ينحدر من أسرة نبيلة من مدينة البندقية. وكان هذا المؤرخ طبيباً جراحاً محترفاً، وكان شاهد عيان على الأحداث الخاصة بسقوط مدينة القسطنطينية فى عام ١٤٥٣م، ويرجع اشتراكه فى هذه الأحداث إلى القوانين البحرية التى تقضى بوجود طبيب على متن كل سفينة تبحر فى البحر المتوسط. والحقيقة أن ما كتبه هذا المؤرخ جاء فى صورة يوميات ومن ذلك يقول المؤرخ على سبيل المثال وفى اليوم الخامس من أبريل عام ١٤٥٣م وبعد ساعة من طلوع الشمس جاء محمد بك ويقصد به السلطان محمد الفاتح إلى القسطنطينية ومعه حوالى مائة وستين ألف رجل، وعسكر على مسافة ميلين ونصف من أسوار المدينة وهكذا فى اليوم السادس والسابع من الشهر نفسه. ويلاحظ أن هذا المؤرخ كان يركز على أعمال الأسطول البندقى الذى شارك فى الدفاع عن المدينة، كما تكلم أيضاً عن ما قام به البيزنطيون والجنيويون، ويلاحظ أيضاً التركيز على المعارك البحرية أكثر من غيرها.

وقد سجل نيقولا الأحداث أولاً بأول، وقام بتدوين الأحداث منذ الثانى من مارس عام ١٤٥٢ حتى التاسع والعشرين من مايو عام ١٤٥٣م أى حوالى خمسة عشر شهراً، ولما كان نيقولا لم يصل إلى مسرح الأحداث إلا فى سبتمبر ١٤٥٢م، فبذلك يكون قد نقل عن شهود العيان الأحداث السابقة لذلك، وقد جاء ذلك فى بعض معلومات بسيطة، أما ما سجله المؤرخ بعد وصوله إلى منطقة المعارك العسكرية فقد جاء بالتفصيل. وقد سجل المؤرخ الأحداث فى حينها، وبعد سقوط العاصمة البيزنطية هربت السفينة التى كان عليها وعادت إلى البندقية عاد صياغة يومياته. ومن الملاحظ أن المؤرخ لم يكن مؤرخاً بطبعه لذلك قدم الأحداث كما شاهدها دون تعليق أو تحليل أو مقارنة.

والمطلع على هذه اليوميات يلاحظ الخطر الذى شعر به المؤرخ من الغزو العثمانى بدليل اشتراك البنادقة والجنيويين بالإضافة إلى البيزنطيين فى الدفاع عن المدينة. كما يلاحظ شدة كره المؤرخ للسلطان العثمانى وأنه وصفه بالوثنى أو الكافر فى بعض الأحيان فى حين وصف الجنود الأتراك بأنهم كالأسود. كما يلاحظ قيام المؤرخ بذكر بيان عن سفن البندقية التى شاركت فى المعارك وحمولتها بالإضافة إلى ذكر قوائم بالقادة والمحاربين البنادقة الذين شاركوا فى الأحداث. وأنه كان يوجد بعض القادة الأتراك فى صفوف القوات البيزنطية. والحقيقة أن ما قدمه المؤرخ نيقولا يعتبر من أفضل كافة الكتابات التى أرخت لأحداث سقوط القسطنطينية. والشكر الجزيل للدكتور حاتم عبد الرحمن الطحاوى بكلية الآداب جامعة الزقازيق على الجهد الكبير الذى بذله فى ترجمة ودراسة هذه اليوميات فى الكتاب الصادر عام ٢٠٠٢م عن عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

وفى ختام الحديث عن المصادر الأوربية والصليبية والبيزنطية التى اخترتها، أود الإشارة إلى أن هناك مصادر روسية وجورجية وأرمينية وقشتالية ومغولية ونورمانية لم يتسع هذا الكتاب لذكرها وأننى أترك هذا الموضوع للزمن ربما أمكننى الكتابة عنها أو يتولى أحد المتهمين بمصادر العصور الوسطى الكتابة عنها. كما أتوجه بعظيم الشكر والتقدير لكل من ساهم فى حقل الكتابات التاريخية من المؤرخين المحدثين خاصة فى العصور الوسطى، سواء أكانت هذه المساهمة بكتاب أو بحث فى مصر أو العالم العربى أو فى المؤتمرات الدولية، وكذلك كل من ترجم مصدراً تاريخياً أو كتاب حديث عن لغة ليست عربية.

وهناك نقطة هامة حول المصادر، وهى المصادر العربية ولا يتسع المقام هنا لذكرها، وعلى الطالب أن يبحث عنها ويتعامل معها فى الزمن المناسب للأحداث سواء فى الحروب الصليبية أو مع العلاقات الاسلامية البيزنطية أو مع أوربا العصور الوسطى أو فى بلاد الاندلس. هذا بالإضافة إلى كتب الرحالة فى الشرق والغرب.

أهم المصادر

أهم المصـــــادر الأوروبية

Arnald of Le Mans

The Deeds of Bishop Arnald of Le Mans and The Mans Commune 1065-1081 Trans. Richard Barton, 1998

Bede,

A History of The English Church and People, Penguin, 1975

Chronicle of the Counts of Arijou,

C 1100 From Louis Halphen and René Poupardin, Paris, 1913

Ekkehard of Aura

Chronicon Universale, A German trans. Pflüger Leipzig, 1893

Berthold of Reichenau

Chronicle, in P.L., CXLVII, pp 314-442.

Einhard and Notker The Stammerer,

Two Lives of Charlemagne, Penguin, 1974.

Flodoard (Frodoard)

Annales, Trans. Academy of Reims, Reims, 1854-55, 3 Vols.

Gregory of Tours,

The History of The Franks, Penguin, 1974.

Gildas

De Excidia Britannae Liber Querulus, Two Manuscripts in Cambridge University Library.

Herman of Altach

Annales Hermanni, in Mon. Germ. XVII, 351-427

Hincmar

Annales, in P.L., CXXV-CXXVI.

Isidore of Seville

All The Works of Isidor in Patrologia Latina LXXXI-LXXXIV

Jocelin of Brakelond,

The Chronicle of Jocelin of Brakelond of St. Edmundsburg, (1173-1202), trans. L.C. Jane, London, 1907.

Lambert of Hersfeld

Annales Lamberti, in Mon. Germ. Script. III, pp. 22-263.

Matthias of Neuburg

Chronica, Berne, 1866.

Matthew Paris
English History, trans. J.A. Giles, 2 Vols. London, 1852-3

Matthew of Westminster
The Flowers of History, trans. C.D. Yonge, 2 Vols. London 1853.

Nennius
Historia Brittonum, trans John Allan Giles, London 1891

Paul the Deacon
History of The longobarbs, trans. F.W. Foulke, Philadelphia 1907, repr. 1974 which includes Pauli Continuatio Tertia

Roger of Hoveden,
The Annals of Roger of Hoveden, trans. Henry T. Rily 2 Vols., London, 1853.

Roger of Wendover,
Flower of History, trans. Gilles, J.A. 2 Vols. London, 1949

Sugar, Abbot of Saint Denis
The Deeds of Louis The Fat Trans. Richard Cusimano and John Moorhead, Washington, 1992.

Thangmar,
Vita Bernwardi, in Mon. Germ. IV pp.757-782

Thegan (Degan) of Treves
Chronicle, tran. Into German by Jasmund, Berlin, 1850 and by Wattenbach, Leipzig, 1889.

Thomas Walsingham
Chronicon Angliae, in Rolls Series 1874

Victor of Tunnuna
Chronicle, P.L., LXXII,pp. 859-70

Widukind of Corvey
Res Gestae Saxonicae Sive Annalium Libri Tres. Mon. Germ. Hist. Scriptores, III, pp.416-67 and in Scriptores rerum Germanicarum, Hanover, 1882.

William of Nangis
Historiae Francorum: Scriptores Coaetanei 5 vols. Paris

William of Newburgh
The History of English Affairs, trans. P.G. Walsh and M.J. Kennedy, Warminister, Wiltshire: Aris, 1988.

مصـــــادر ارمينية وسريانية

Anonymous Chronicle
(ed. A.S. Tritton with English trans.) in 'First and Second Crusades from an anonymous Syriac Chronicle', in *Journal of the Royal Asiatic Society*. London, 1933.

Anonymous Chronicle
(ed. With Latin trans. By I. Guidi), in C.S.C.O. *Scriptores Syri, ser.III, vol. IV.* (Quoted as Anon. Guidi).

Bar Hebraeus, Gregory,
called Abu'l Faraj. *Chronography*. Part I, *Political History* (ed. With English trans. By E.A.W. Budge), 2 vols. Oxford 1932, Parts II and III, Ecclesiastical History (ed. With Latin trans. by J.B. Abbeloss and T.J. Lamy), 2 vols. Louvain 1872-7. (Extracts in Assemani, Biblioteca Orientalis, vol.II).

Doctor Basil,
Oraison Funebre de Baudouin, Comte de Keçoun et de Marasch, C.F., R.H.C. Doc. Ar., I,

Grégoire le Pretre,
Chronique de le Grégoire le Pretre, Cf. R.H.C. Ar. Vol. I, pp.151-201.

Guiragos de Kantzag,
Histoire d' Armenie, extrait, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 413-430 Hethoum, Comte de Gorigos.
Table Chronologique, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp.1-180.

Michael The Syrian
Chronicle (ed. With French trans. By J.B., Chabot, IV vols. Paris 1899-1910.

Saint Nerses,
Elegie Sur La Prise d'Edesse Par Eman ein Zanqui Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 226-307.

Saint Nerses de Lampron,
Extraits de Son Oubrage, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 557-603.

Samuel d'Ani,
Chronographie, extrait, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 447-468.

Sempad, Le Conetable,
Chronique du royaume de la Petite Armenie, extrait, Cf. R.H.C Doc. Arm., I, pp. 610.

Vahram d'Eddesse,

Chronique Rimes des Rois de la Petite Armenie, Cf R H C Doc Arm , I. pp 493-535

بعض المصـــادر المتنوعـــة

Bar Sauma

The History of the Life and Travels of Rabban Sir E A Wallis Budge, KT London, 1928

Bernat Descolt,

Chronicle of the Reign of King Pedro III of Aragon 1276-1282, trans F L Chitchlow, Princeton, 1928

Chronicle of Novgorod (1016-1471)

Tran Robert Michell and Nevill Forges, London, 1914

Daniel, The Russian Abbot,

The Pilgrimage in the Holy land (1106-1107), (annotated by C W Wilson) in the Palestine Pilgrim's Text Society, vol IV, London, 1888

Joseph ben Joshua ben Meir,

Chronicle (tran. From Hebrew by C H F Biallablotzky) 2 vols London, 1834-1836

Ramon Muntaner

Chronicle, tran Lady Goodenough, Cambridge, Ontario, 2000

مجموعات عن معظم المصادر الصليبية

R.H.C. = Recueil des historiens des Croisades

Recueil des historiens des Croisades, (Paris, Imprimerie royale, 1841-1906), 16 Vols
Historiens occidentaux t 1-5, 1844-95 --
Historiens orientaux, t 1-5, 1872-1906 --
Documents armeniens t 1-2, 1869-1906
Historiens grecs, t 1-2, 1875-81
Lois Assises de Jerusalem .. t 1-2, 1841-43

مجموعة من مصادر الحملات

A.C. Krey,

The First Crusade: The Accounts of Eye-Witnesses and Participants, (Princeton NJ: Princeton University Press, 1921, rep Gloucester MA: P Smith 1958)
Dana C Munro, "Urban and the Crusaders", *Translations and Reprints from the Original Sources of European History*, Vol 1 2, (Philadelphia University of Pennsylvania, 1895)

مصادر عن الحملة الأولى

Fulcher of Chartres

Latin
English trans Martha E McGinty, *Fulcher of Chartres: Chronicle of the First Crusade*, (London: Oxford University Press; Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1941)
English trans. Frances R Ryan, and H.S Fink, *Fulcher of Chartres: A History of the Expedition to Jerusalem, 1095-1127*, (Knoxville: University of Tennessee Press, 1969)

Gesta Francorum

Gesta Francorum et aliorum Hierosolymitanorum
English trans.
The first crusade, The deeds of the Franks and other Jerusalemites; "Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum", translated into English for the first time by Somerset de Chair, (London The Golden Cockerel Press, 1945)
The deeds of the Franks and the other pilgrims to Jerusalem,

trans. Rosalind Hill, Latin text and English translation, (London New York: T. Nelson, 1962)

Ordericus Vitalis

1075-1143?

Historiae ecclesiasticae libri

Latin

The ecclesiastical history of England and Normandy, trans. Thomas Forester, 4 vols. (London, H. G. Bohn, 1853-56, reissued New York: AMS, 1968),
[Translation was made from the edition of Auguste Le Prevost, Paris, 1838-55]

The ecclesiastical history of Orderic Vitalis, edited and translated with introduction and notes by Marjorie Chibnall, (Oxford, Clarendon Press, 1969-1980)

Raimundus de Agiles (Raymond D'Aguilers)

Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem [by] Raymond D'Aguilers, trans. John Hugh Hill and Laurita L. Hill, (Philadelphia: American Philosophical Society, 1968)

Petrus Tudebodus (Peter Tudebode).

Historia de Hierosolymitano itinere [by] Peter Tudebode, trans. John Hugh Hill and Laurita L. Hill, (Philadelphia American Philosophical Society, 1974)

William of Tyre

A History of Deeds Done Beyond the Sea, trans. Emily A. Babcock and A.C. Krey, (New York Columbia University Press, 1943)

الحملة الثانية

Odo de Deuil, Abbot of Saint Denis, d. ca. 1162

De profectione Ludovici VII in orientem, ed., with an English translation, by Virginia Gingerick Berry, (New York, Columbia Univ. Press, 1948)

Otto I, Bishop of Freising, d. 1158.

The deeds of Frederick Barbarossa, by Otto of Freising and his continuator, Rahewin, translated and annotated with an introd. by CharlesChristopher Mierow (with the collaboration of Richard Emery), (New York: Columbia University Press, 1953)

The two cities; a chronicle of universal history to the year 1146 A.D., by Otto, Bishop of Freising, trans. Charles

Christopher Mierow, (New York Columbia University Press, 1928)

الحملة الثالثة

Richard of Devizes

Chronicles of the Crusades : being contemporary narratives of the crusade of Richard Coeur de Lion / by Richard of Devizes and Geoffrey de Vinsauf, and of the crusade of St. Louis, by Lord John de Joinville, (London, H. G. Bohn, 1848, reissued New York: AMS, 1969)

Ernoul:

Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier (ed. Mas Latrie Paris, 1871)

Estoire d' Eracles,

R.H.C. Occ. Vols. I and II

Rigord

Deeds of Philip Augustus, in Readings in European History, by James Harvey Robinson, Boston, 1904

الحملة الرابعة

Collection - Old French Chronicles

English trans.

Three Old French chronicles of the crusades : the History of the holy war, the History of them that took Constantinople, the Chronicle of Reims. Trans. Edward Noble Stone, (Seattle, Wash : The University of Washington, 1939)
[Ambroise, fl. ca. 1196. Histoire de la guerre sainte. Clari, Robert de, 12th/13th cent. Conquete de Constantinople. Recits d'un menestrel de Reims]

Villehardouin, Geoffroi de, d. ca. 1212.

French

The Conquest of Cinstantinople

La conquete de Constantinople, Editee et traduite par Edmond Faral, (Paris, Societe d'edition "Les Belles lettres", 1938-)

Coulet, Noel, *Ceux qui conquirent Constantinople : recits de la quatrieme Croisade*. (Paris. Union general d'editions, 1966)

English trans.

Shaw, Margaret R. B. (Margaret Renee Bryers), *Chronicles of the Crusades*, (Baltimore: Penguin Books, [1963])

Chronicles of the crusades, by Villehardouin & De Joinville, translated by Sir Frank Marzials, (London, Dent; New York, Dutton [introd. 1908])
Available on the Internet at
http://www.fordham.edu/halsall/sbook.html]

Robert de Clari, fl 1200-1216.
The Conquest of Constantinople
La conquete de Constantinople, ed par Phipipe Lauer, (Paris, E. Champion, 1956)
La Conquete de Constantinople. Traduction par Pierre Charlot., (Paris, E. de Boccard, 1939)
Coulet, Noel., *Ceux qui conquirent Constantinople : recits de la quatrieme Croisade*. (Paris Union general d'editions, 1966)
English trans
The Conquest of Constantinople, trans. E. H McNeal, (New York Columbia University Press, 1936)
Three Old French chronicles of the crusades . the History of the holy war, the History of them that took Constantinople, the Chronicle of Reims. Trans. Edward Noble Stone, (Seattle, Wash : The University of Washington, 1939)
Italian trans
La conquista di Constantinopoli (1198-1216) [di] Roberto di Clari. Studio critico, traduzione e note, by Anna Maria Nada Patrone, (Genova, 1972)

الحملة الخامسة

Jacques de Vitry
ca. 1170-1240.
1- *The history of Jerusalem. A.D. 1180*, trans. Aubrey Stewart, (London, 1896 [1893?])
2- *Letters de Jacques de Vitry, Leiden, 1960.*

Olivere of Padenborn
The Capture of Damietta, tran. John J. Cavigan, Philadelphia 1948.

الحملة السادسة

Gesta des Chiprois, *R.H.C. Arm. Vol. II.*

الحملة السابعة

Jean de Joinville
c 1224-c1317
Life of St. Louis.
Histoire de saint Louis. [Ed. revue et presentee par Regine Pernoud (Paris Club des libraires de France [1960])
English trans.
Chronicles of the Crusades : being contemporary narratives of the crusade of Richard Coeur de Lion / by Richard of Devizes and Geoffrey de Vinsauf ; and of the crusade of St. Louis, by Lord John de Joinville, (London , H. G Bohn, 1848)
Chronicles of the crusades, by Villehardouin & De Joinville, translated by Sir Frank Marzials, (London, Dent, New York, Dutton [introd. 1908])
The history of Saint Louis, translated from the French text edited by Natalis de Wailly, by Joan Evans, (Newtown, Montgomeryshire [Wales] . Gregynog Press, 1937)
The life of St. Louis, translated by Rene Hague from the text edited by Natalis de Wailly, (New York Sheed and Ward, 1955)
Shaw, Margaret R. B. (Margaret Renee Bryers), *Chronicles of the Crusades*, (Baltimore Penguin Books, [1963])

OTHER CRUSADE SOURCES

Assizes of Romania
Liber consuetudinum Imperii Romaniae. Feudal institutions as revealed in the Assizes of Romania, the law code of Frankish Greece : translation of the text of the Assizes with a commentary on feudal institutions in Greece and in medieval Europe, by Peter W. Topping, (New York : AMS Press, [1980] c1949.) Series title: University of Pennsylvania. Dept. of History Translations and reprints from the original sources of history ; ser. 3, v. 3.

Eusebios of Caesarea

Ecclesiastical History, English trans. as *The History of the Church from Christ to Constantine*, by G.A. Williamson, (New York: Penguin, 1965).

Ammianus Marcellinus

Res Gestae, English translation, J.C. Rolfe, Loeb Classical Library, 3 Vols, (London and New York: 1935-39).

Zosimos

New History, English translation by Ronald D. Ridley,, Byzantina Australiensa 2, (Canberra. Australian Association for Byzantine Studies,1982).

Sozomenos

Ekklesiastike historia / Ecclesiastical History, A history of the church in nine books, from A.D. 324 to A.D. 440, tran Edward Walford, (London. Bagster, 1846).

Priskos

The Age of Attila, Fifth Century Byzantium and the Barbarians, (Ann Arbor University of Michigan Press, 1960).

John Malalas

Chronographia, *The Chronicle of John Malalas*, trans. Elizabeth Jeffreys, Michael Jeffreys, Roger Scott, et al, Byzantine Australiensia 4, (Melbourne: Australian Association for Byzantine Studies, 1986).

Theodoret of Cyprus

Ecclesiastical History, ed. L. Parmentier, (Leipzig 1911)

Procopios

History of the Wars, Secret History and Building, trans., ed And abridged Averil Cameron, Great Histories Series, (New York 1967).

Evagrius

Ecclesiastical History, ed J. Bidez and L. Parmentier, (London 1898, reprinted Amsterdam 1964)

Theophanes of Byzantium

[fragments] in C. Müller, *Fragmenta Historicorum Greacorum* IV, pp. 270-71 and in Photios, *Bibliotheca*, ed R. Henry, Vol 2, (Paris 1959), pp 76-79.

Nikephoros,

Short history, ; text, translation, and commentary, Corpus fontium historiae Byzantinae ; v. 13. by Cyril Mango, (Washington, D.C Dumbarton Oaks, 1990)

Theophanes the Confessor

Chronographia, trans Harry Turtledove, (Philadelphia University of Pennsylvania Press, 1982)

Theophanes Continuatus

Chronographia, [Book 5 written by Constantine VII Porphygenitos] ed. Immanuel Bekker, Corpus Scriptores Historiae Byzantinae, (Berlin. 1838)

George Monachos,

Chronicle, ed. C. de Boor, (Leipzig: 1905).

Joseph Genesios

["Official" account of Michael III and Basil I] ed. C. Lachmon, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, (Bonn: 1828).

Nicholast I (Mysticus)

Letters of Nicholas I Patriarch of Constantinople, tran R. J.H. Jenkins and L.G. Westering, Washington, 1973

George Kedrenos
Historiarum Compendium, ed. Immanuel Bekker, Corpus Scriptores Historiae Byzantinae 35-36, 2 vols, (Berlin 1838-39)

Constantine Manassas
Chronicle, ed. as *Breviarum historiae metricum*, ed. Immanuel Bekker, Corpus Scriptores Historiae Byzantinae, (Berlin: 1837).

John Zonaras
Epitome historiarum, ed. M. Pindar and M. Buttner-Wobst, 3 vols, Corpus Scriptores Historiae Byzantinae, (Berlin 1841-97)

Anna Komnena
The Alexiad, English trans. E.A. Dawes, (London 1928) English trans. E.R.A. Sewter, (New York: Penguin, 1969)

Nicephoras Bryennios
Materials for a History, ed. as *Histoire* with French trans. by Paul Gautier, Corpus Fontium Historiae Byzantinae, Vol. IX, (Brussels: 1975.

John Kinnamos
[Deeds of John and Manuel Comnenus], English trans. Charles M. Brand, (New York: Columbia University Press, 1976).

Niketas Choniates
O City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates, trans. Harry J. Magoulias, (Detroit: Wayne State University Press, 1984).

George Akropolites
Chonike Sungraphe, critical ed. as *Opera*, by A. Heisenberg. (Leipzig: 1903).

Symeon the Logothete
Chronicle, [ed. T. Tafel, (Munich 1859)], George Monachos Continuatos, and the Chronicle of Leo Grammatikos, [ed., Immanuel Bekker, *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*, (Bonn 1842); also Migne PG 108 1037-1164]

Constantine VII Porphyrogenitos
De Administrando Imperio, tran. R.J.H. Jenkins, Washington, 1967

John Kaminatos
De Expugnatione Thessalonicae, ed., Gertrude Bohlig, Corpus Fontium Historiae Byzantinae, Vol. IV, Series Berolinensis, (Berlin: De Gruyter, 1973)

Leo the Deacon
Historia, ed., C. B. Hase, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, (Bonn 1828)

Michael Psellos
Chronographia, edited with critical notes and indices by Constantine Sathas 1st AMS ed, (New York: AMS Press, 1979)

John Skylitzes
Synopsis Historiarum, ed. Hans Thurn, Corpus Fontium Historiae Byzantinae, Vol. V, Series Berolinensis, (Berlin: De Gruyter, 1978)

Skylitzes Continuatos
Ioannis Scylizes Continuatus, ed. E.T. Tsolakes, (Thessalonica 1968)

Michael Attaliates
Historia, ed. Immanuel Bekker, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae 34, (Bonn 1853)

Nikephoras Gregoras

Correspondance, ed R. Guilland, Paris, 1927

John Kantakuzenos

Historiarum, English partial trans by R. Trone *History I: 1-19* (Ph.D Dissertation, Catholic University of America, 1979)

Nicolo Barbaro

Diary of The siega of Constantinople 1453 tran J R. Jones, New York, 1969

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية انظر: حاتم عبد الرحمن الطحاوي: الفتح الاسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني ١٤٥٣م القاهرة - عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ٢٠٠٢م.

George Sphrantzes

Chronicon Maius, English trans as ***The Fall of the Byzantine Empire***, by Marios Philippides, (Amherst MA: University of Massachusetts Press, 1980) [This edition includes a short excerpt on the fall of Constantinople by Michael Melissenos.]

Michael Kritovoulos

History of Mehmed the Conqueror, trans. Charles T. Rigg, (Princeton. Princeton UP, 1954)

كتب وأبحاث

الأستاذ الدكتور/ محمود سعيد عمران

أستاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

أولاً: الكتب:

١-الحملة الصليبية الخامسة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، إسكندرية، ١٩٧٨.

٢-إدارة الإمبراطورية البيزنطية ترجمة وتعليق – دار النهضة، بيروت، ١٩٨٠.

٣-معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة – بيروت، ١٩٨٠

٤-معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٢.

٥-مملكة الوندال في شمال أفريقيا، دار المعارف، إسكندرية، ١٩٨٥.

٦-السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، دار المعارف، إسكندرية، ١٩٨٥.

٧-القادة الصليبيون الأسرى في أيدى المسلمين، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٦.

٨-تاريخ الحروب الصليبية، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٠.

٩-حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، ١٩٩١.

١٠-تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٩٦.

١١-أوروبا والمغول، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٩٧.

١٢-الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة، بيروت، ٢٠٠١.

١٣-المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ٢٠٠٣.

١٤-تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت ٢٠٠٦

ثانياً: بحوث باللغة العربية:

١-نيقولا مستيقوس وعلاقة الإمبراطورية البيزنطية بالقوى الإسلامية، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٠.

١٩٨٠.
٢-المؤرخ جريجورى التورى، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت،
٣-الإمبراطورية البيزنطى رومانوس الرابـع ديـوجينس ١٠٦٨ – ١٠٧١م فـى
ضوء حولية ميخائيل بسلوس، بحث منشور فى مجلة كليـة الآداب جامعـة
الإسكندرية، ٨٢/ ١٩٨٣.
٤-أركولف ورحلته إلى الشرق، بحث منشور فى ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط
– جامعة عين شمس، المجلد ١٢ دار المعارف، ١٩٨٥.
٥-كتابات الرحالة أركولف كمصدر لبلاد الشام فى عصر الراشدين، بحث منشـور
فى أعمال المؤتمر الدولى الرابع لبلاد الشام – الأردن عمان، ١٩٨٧.
٦-صلاح الدين من الإسكندرية إلى حطين، بحث فى المؤتمر الدولى لذكرى مرور
٨٠٠عام على معركة حطين، بغداد، ١٩٨٧.
٧-السفراء والقناصل فى عصر الحروب الصليبية، بحث ألقى فى الموسم الثقـافى
لجامعة بيروت العربية – بيروت، ٨٧/ ١٩٨٨.
٨-الهدن بين المسلمين والصليبيين فى عصر الدولة الأيوبية، بحث ألقى فى ندوة
العلاقات بين الشرق والغرب فى العصـور الوسـطى، ٢٠ – ٢٢ أكتـوبر
١٩٩٢ كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢.
٩-رحلة الشهيد أنطونيوس إلى بلاد الشام ومصر ٥٦٠ – ٥٧٠م، بحث ألقى فى
ندوة العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى الثانية، ٣٠ – ١٠
إلى ١ – ١١ – ١٩٩٣، كلية الآداب – جامعة المنيا، ١٩٩٣.
١٠-تحصينات مدينة القسطنطينية فى مواجهة الغزوات الخارجية، بحث ألقى فـى
ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار – اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٦
– ٨ نوفمبر ١٩٩٣.
١١-مصر فى كتب الرحالة الأجانب فى العصر البيزنطى، بحث ألقى فـى مـؤتمر
الإسكندرية الدولى حول التبادل الحضـارى بـين شـعوب حـوض البحـر
المتوسط عبر التاريخ ٢٢ – ٢٦ يناير ١٩٩٤.

١٢-دور الحركة الصليبية فى تكوين مملكة البرتغال، نـدوة الأنـدلس: الـدرس
والتاريخ – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ١٣ – ٢٥ أبريل ١٩٩٤.
١٣-حولية سقوط لشبونة ١١٤٧م، ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال
القرون الوسطى كلية الآداب، الرباط ٢ – ٤، نوفمبر ١٩٩٤، نشر ١٩٩٥.
١٤-السلطان قلاوون بين أوروبا والمغول، بحث ألقى فى ندوة مدينـة طـرابلس
لبنان بمناسبة مرور ٧٠٠عام على بنـاء الجـامع المنصـورى ١٧ – ٢٤
نوفمبر ١٩٩٤.
١٥-روسيا وسقوط الإمبراطورية البيزنطية، نـدوة تـاريخ وحضـارة العصـور
الوسطى – كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ٢٤ – ٢٥ أبريل ١٩٩٤.
١٦-تحصينات مدينة دمياط فى عصر الحروب الصليبية، ندوة التاريخ العسـكرى
لشمال مصر عبر العصور، كلية الآداب، ٨ – ٩ اكتوبر ١٩٩٥.
١٧-وليم آدم واستعادة الأراضى المقدسة، ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية
– اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ٢٨ – ٢٩ نوفمبر ١٩٩٥.
١٨-القدس فى كتب الرحالة الأجانب فى العصر البيزنطى، ندوة القدس: التـاريخ
والحضارة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ٢ – ٥ نوفمبر ١٩٩٦.
١٩-العلاقة بين مغول فارس ومغول القفجاق بعد معركة عين جـالوت ١٢٦٠ –
١٢٧٠م، بحث ألقى فى ندوة إقليم الخليج على مر عصور التاريخ – اتحاد
المؤرخين العرب، القاهرة ٢٣ – ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦.
٢٠-شارل كونت أنجو بين القسطنطينية وتونس والقدس، بحث ألقى فى ندوة بلاد
المغرب وعلاقاتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخـامس عشـر المـيلادى
"التاسع الهجرى"، القاهرة ٢٥ – ٢٦ نوفمبر، ١٩٩٧.
٢١-حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين فـى مدينـة الإسـكندرية
٥٦٢هـ، بحث ألقى فى ندوة سواحل مصر الشمالية عبر العصور – كليـة

الآداب – جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة ٢٢ – ٢٣ أبريل ١٩٩٨.

٢٢-الحركة الفكرية فى الإسكندرية فى القرون الأولى للمسيحية، مشاركة فى الكتاب الذى أصدرته محافظة الإسكندرية (د.ت).

٢٣-المراكز الحضارية فى مصر والشام فى القرون المسيحية الأولى، بحث ألقى فى المؤتمر الدولى الثالث (التبادل الثقافى بين شعوب البحر المتوسط) – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع وزارة الثقافة ١٢ – ١٥ اغسطس ١٩٩٨.

٢٤-العرب فى مدونة المؤرخ السريانى زكريا الملتينى، بحث ألقى فى ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة تحت اسم "أضواء جديدة على مصادر تاريخ العرب" ٢٤ – ٢٦ نوفمبر ١٩٩٨.

٢٥-أفكار بيير دو بوا لاستعادة الأراضى المقدسة – مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩١ – ٦٩٠هـ – جامعة اليرموك – كلية الآداب إربد – الأردن من ٨ – ١٠ نوفمبر ١٩٩٩.

٢٦-فشل الحروب الصليبية وأثره على الفكر الأوربى – مؤتمر التبادل الحضارى بين شعوب حوض البحر المتوسط – من ٢٩/١١ إلى ١/١٢/ ١٩٩٩ – جامعة بيروت العربية – كلية الآداب.

٢٧-دور إيمرى بطريرك أنطاكية فى دعم الحروب الصليبية – مؤتمر "الصليبيون والشرق" – الجمعية التاريخية اللبنانية – من ٢ – ٤ / ١٢ ١٩٩٩ – بيروت – لبنان.

ثالثاً: كتب باللغة الإنجليزية منشورة بالخارج:

Contributors,
Chronicles of the Crusades, Eye – Witness Accounts of the Wars Between Chrestianity and Islam – Edited by Elizabeth Hallam, London 1989.

رابعاً: بحوث باللغة الأجنبية منشورة بالخارج:

1-King Aamarlric and the Siege of Alexandria, in the First Conference of the Crusades and the Latin East, Cardiff 1 – 4 Sep. 1982, Cardiff 1985, UK.

2-Truces between Moslems and Crusaders (1174 – 1217) in Autour de la premiere Croisade. Actes du Colloque de la "society for the Study of the Crusades and the Latin East" (Clermont – Ferand 22 – 25 Juin 1995 France). Reunis par Nichel Balard, publication de la Sorbonne, Paris 1996.

3-John Kinnamos As a Historian of the Second Crusade. In the international. Symposium on Crusade 23- 25 June 1997. Istanbul. Turky.

4-Edward I King of England and the Holy Land (Jeruslem) In the 35 th Innternational Congress of Asian and North African studies, 2 – 21 July 1977. Budapest – Hungaria.

5-Grigor of Akanc as a Historian for the Moslem Nations. In The International Medieval Congress, 9 – 12 July 2001, University of Leeds. UK,.

6-Hohenstaufen and Their Arab Subjects and Moslems Against Excommunication. In The International Medieval Congress, 8 – 11 July 2002, University of Leeds, UK.

اعتاد الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران على عقد حلقة بحث (سمينار) فى مكتبه بالكلية منذ أكثر من ثلاث عشرة سنة يوم الأربعاء الأخير من كل شهر بصفة منتظمة، ويحضر هذا اللقاء جمع من السادة أعضاء هيئة التدريس فى تخصص العصور الوسطى، وكذلك المسجلين مع سيادته لدرجة الدكتوراه أو الماجستير وطلاب السنة التمهيدية ومن يرغب من الباحثين فى حقل العصور الوسطى أو غيرهم. وفى هذا اللقاء قدم سيادته العديد من النصائح حول المنهج التاريخى والمصادر التاريخية، هذا بالإضافة إلى العديد من البحوث وخاصة القائمة منها على دراسة المصادر التاريخية الأصيلة، ونقدم فى هذه الصفحات أهم ما تناوله سيادته من بحوث.

١-مصادر المؤرخ الصليبي ألبرت أف أكس Albert of Aix .

٢-حولية توفما متسوبتسيس Tovma Metsobetsis ؟تيمورلنك وخلفاؤه حتى عام ١٤٣٨م.

٣-سجلات المناصب الرفيعة المدنية والعسكرية للإمبراطورية البيزنطية فى الشرق حوالى عام ٤٠٠م. Notitia Dignitatum .

٤-كتابات سالفيان Salvian عن انعدام العدالة الضريبية فى الإمبراطورية البيزنطية ٤٤٠م.

٥-خطابان من سوليوس أبوليناريس Sollius Apollinaris .

١-خطاب مؤرخ فى ٤٥٤م كتب عن الملك القوطى الغربى ثيودريك الثانى (٤٥٣ – ٤٦٣م).

٢-خطاب مؤرخ فى ٤٦١م عن الحياة فى الريف البيزنطى الغالى.

٦-طاعون عام ٥٤٢م للمؤرخ بروكوبيوس.

٧-حولية مرقص الشماس عن بروفيرى الغزاوى أسقف غزة (٣٤٨ – ٤٢٠م).

٨-حياة الراهبة ماكرينا للأسقف جريجورى النيسى Gregory of Nyssa .

٩-البابا ليو الأول وأتيلا للمؤرخ بروسبر Prosper ٤٥٥م.

١٠-مرسوم التسامح الدينى من جاليروس ٣١١م.

١١-مرسوما التسامح الدينى الصادران من جاليروس وقسطنطين ٣١١ – ٣١٣م.

١٢-البطريرك إيمرى والدفاع عن الإمبراطور البيزنطى ١٣٩٥م.

١٣-دراسة فى حولية المؤرخ البيزنطى ثيوفانيس ٦٠٢ – ٨١٣م.

١٤-دراسة فى حولية المؤرخ البيزنطى يوحنا كيناموس ١١١٩ – ١١٧٦م.

١٥-دراسة فى حولية المؤرخ البيزنطى نيكتاس خونياتس ١١١٩ – ١٢٠٦م.

١٦- دراسة فى حولية المؤرخ الصليبي أود أف ديل عن الحملة الصليبية الثانية.

١٧- دراسة فى حولية المؤرخ إيفاجريوس ٤٣١ – ٥٩٤م.

١٨-اجتياح الفرس لمدينة بيت المقدس طبقاً لرواية أنتيوخس استجراتجوس عام ٦١٤م.

١٩-البطريرك فوتيوس والهجوم الروسى على القسطنطينية عام ٨٦٠م.

٢٠-حولية المؤرخ زوسيموس Zosimus من الاسكندر حتى عهد أركاديوس ٣٩٥ – ٤٠٨م.

٢١-التاريخ المختصر للمؤرخ البيزنطى نقفور.

٢٢-كتاب المراسم للإمبراطور قسطنطين بروفيجينيتوس (٩١٣ – ٩٥٩م).

٢٣-تاريخ القوط للمؤرخ القوطى جوردانس من نشأة القوط حتى ٥٣٦م.

٢٤-تاريخ اللمبارد للمؤرخ بولس الشماس ٥٦٨ – ٧٧٤م.

٢٥-حولية المؤرخ البيزنطى ليو الشماس ٩٥٩ – ٩٧٦م.

٢٦-حولية المؤرخ البيزنطي يوحنا سكليتيزس John Skylitzes ٨١١ - ١٠٥٧م.

٢٧-حولية المؤرخ البيزنطي ميخائيل بسلوس Michael Psellus ٩٧٦ - ١٠٧٨م.

٢٨-الحملة الصليبية عام ١٣٨٢م طبقاً لرواية هنري نايتون.

٢٩-حولية أرنولف أف ميلان ٩٢٥ - ١٠٢٧م.

٣٠-حصار مدينة آمد عام ٥٠٢م طبقا لرواية بوسودوا يوشع.

٣١-الحرب بين بيزنطة والفرس في القرن السادس الميلادي طبقاً لرواية المؤرخ البيزنطي يوحنا مالالاس John Malalas

٣٢-هجمات المسلمين على مدينة سالونيك عام ٩٠٤م.

٣٣-حولية المؤرخ القشتالي رامون مونتانير Ramon Montner ١٢١٧- ١٣٢٥م.

٣٤-حملة روجر دي فلور Roger de Flor القطلاني على الأراضي البيزنطية ١٣٠٣ - ١٣١١م.

٣٥-عمارة المسجد الأقصى معماريا على يد الخليفة عمر بن الخطاب.

٣٦-بلاط اتيلا Attila ملك الهون في عام ٤٤٨م للمؤرخ بريسكوس Priscos.

٣٧-حولية ايزدور الاشبيلي Isidor of Seville حتى عام ٦١٦م.

٣٨-حولية المؤرخ الفلورنسي جيوفاني فيلاني Giovanni Villani من الكتاب الثاني عام ٨٠١ - ١٢٢١م.

٣٩-حولية المؤرخ الفلورنسي ليوناردو بروني Leonardo Bruni من الكتاب الأول حتى الرابع ٨٠م - ١٣١١م.

٤٠-حصار مدينة طرسوس عام ٩٦٥م طبقاً لرواية المؤرخ البيزنطي ليو الشماس.

٤١-معركة كليديون عام ١٠١٤م طبقاً لرواية المؤرخ يوحنا سكليتزس.

٤٢-غزو بيزنطة لايطاليا عام ٥٣٤ - ٥٤٧م، طبقاً لما أضيف إلى حولية أميانوس مارسلينوس.

٤٣-الحرب في ضاحية جالاتا شمال القسطنطينية عام ١٣٤٨م، طبقاً لرواية المؤرخ البيزنطي يوحنا كانتاكوزين John Kantacuzens .

٤٤-بسالة الأتراك في الحرب عن خطاب بارثلميو دي جانو مؤرخ في ١٤٣٨م.

٤٥-من قوانين الإمبراطور جستنيان

١-الزواج بين الأحرار والعبيد ٥٣٠م.

٢-حماية النساء الأحرار عند الزواج من العبيد ٥٣٠م.

٣-عودة العبيد الآبقين ٥٣٠م.

٤٦-سفارة عربية مجهولة إلى بيزنطة في أواخر القرن العاشر.

٤٧-امتيازات بحرية من خايمي الأول ملك أراجون ١٢٢٧م.

٤٨-قوانين برشلونه صادرة في علم ١٢٢٣م.

٤٩-حولية الإمبراطور ألفونسو الثامن ملك قشتالة (١١٢٦ - ١١٥٧) لمؤرخ مجهول.

٥٠-الحولية الأنجلو سكسونية من ٧٥٥ - ١١٤٠م.

٥١-حياة دانيال العمودي ٤٠٩ - ٤٩٣م.

٥٢-البابا نيقولا الأول (٨٥٨ - ٨٦٧م) والمسألة البلغارية.

٥٣-خطابات بطريرك القسطنطينية نيقولا مستيقوس مستيكوس (في المرة الثانية) ٩١٢ - ٩٢٥م إلى سيمون البلغاري.

٥٤-حولية نوفجورد الروسية.

٥٥-الحولية الروسية الأولى.

٥٦-الامتيازات التى منحت لتجار نوفجورد عام ١٢٩٩م.

٥٧-الحرس الفارانجى وبدايات الدولة الروسية والأوكرانية.

٥٨-مدونة السفير المغولى رابان سوما عام ١٢٨٧م.

٥٩-حولية المؤرخ الأرمينى أريستاكس لاستيفرتك Aristakes Lastivertci.

٦٠-كنيسة آيا صوفيا كما وصفها المؤرخ بروكوبيوس.

٦١-تأسيس مدينة موسكو عام ١١٤٧م، طبقاً للحولية الروسية.

٦٢-معركة فونتناى Fonteneay عام ٨٤١م طبقاً لحولية فولدا Fulda.

٦٣-غزوات الفايكنج فيما بين ٨٤٣ - ٨٥٩م طبقاً لحولية القديس بـرتن St. Bertin

إضافات أخرى

عن الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران

١-جائزة جامعة الإسكندرية للتشجيع العلمى.

٢-جائزة جامعة الإسكندرية للتميز العلمى للعلوم الإنسانية.

٣-عميد كلية الآداب - جامعة بيروت العربية سابقاً.

٤-عضو جمعية الآثار بالإسكندرية.

٥-عضو الجمعية التاريخية المصرية.

٦-عضو اتحاد المؤرخين العرب.

٧-عضو الجمعية الدولية لدراسات الحروب الصليبية والشرق اللاتينى.

The Society for the Study of the Crusades and Latin East.

٨-عضو الجمعية الدولية لدراسات التاريخ العسكرى فى العصور الوسطى

The Society for Medieval Military History

٩-مستشار بهيئة تحرير مجلة من ١٩٩٦ - ٢٠٠٣م.

Al-Masaq, Islam and The Medieval Mediterranean, Leeds, U. K.

التى تصدر من قسم دراسات اللغة العربية والشرق الأوسـط فـى جامعـة ليـدز المملكة المتحدة (إنجلترا).

١٠-عضو بهيئة تحرير مجلة Journals التى تصدر من المملكـة المتحـدة، والولايات المتحدة الأمريكية.

١١-محكم على مستوى العالم العربى والدولى.

١٢-رئاسة جلسة فى مؤتمر دولى:

Autour de La Premiere Crosiade Actes du Colloque de la "Society for the Study of the Crusades and the Latin East" (Clermont - Ferand 22- 25 Juin 1995 France).

١٢-رئاسة جلسة فى مؤتمر دولى:

The 35 th International Congress of Asian and African studies, 2- 12 July 1997, Budapest, Hungaria.

١٤- Round Table about The First Crusade and The Fall of Jerusalem, in

the Second International Conference on the First Crusade. Faculty of

Huesca, 7- 11 Sept., 1999 University of Zaragoza, Spain.

المحتــوى

الصفحة

الفصل الأول ٥

منهج البحث التاريخى

مقدمة ٧

١- مدخل إلى البحث العلمى التاريخى ١١

- مفهوم التاريخ ١٣

- الصفات الراجب توافرها في المؤرخ ١٤

- العلم والفن في التاريخ ١٧

٢- المراحل الأولى للبحث التاريخى (العلوم المساعدة) ١٨

اللغات ١٨

علم المكتبات (البيلوجرافيا) ٢٠

الأختام ٢١

الرنوك ٢١

الاقتصاد ٢١

النقود والمسكوكات ٢٢

الفنون (الآداب - النحت - التصوير) ٢٣

العمارة والترحال والجغرافيا ٢٣

الحاسب الآلي ٣٥

عوامل نجاح الرسالة ٣٥

٣- جمع المادة التاريخية ٤٢

تعريف المراجع ٤٢

تعريف المصادر ٤٢

المفهوم الفكري لجمع المادة التاريخية ٤٥
كيفية جمع المادة التاريخية ٥٠
تحليل المادة التاريخية ٥٤
الحواشي ٥٩
الصور والرسومات والخرائط ٦٤

الفصل الثاني

المصادر المبكرة لبيزنطة وأوربا العصور الوسطى ٦٥

- مقدمة ٦٧
* يوسيبيوس القيصري ٧١
* أميانوس مارسلينوس ٧٣
* زوزيموس ٧٤
* بولص أوروسيوس ٧٦
* القديس جيروم ٧٩
* جوردانس ٧٩
* إيفاجريوس ٨٢
* إيذدور الإشبيلي ٨٥
* بروكوبيوس القيصري ٨٧
* فيكتور أف تونونا ٩٠
* جريجوري التوري ٩٣
* بولس الشماس ١١١

الفصل الثالث

المصادر الأوربية ١١٥

١- المصادر الكارولنجية والألمانية ١١٧
- وثائق كارولنجية ١١٨
* إينهارد ١١٩
* نيثارد ١٢١
* تيجان أف تريف ١٢٢
* هنكمار ١٢٣
* نوتكر المتلعثم ١٢٤
* ويدكند أف كورفي ١٢٥
* ليوتبراند أوف كريمونا ١٢٦
* تانجمار ١٢٨
* هرمان القعيد ١٢٩
* لامبرت أف هرسفيلد ١٣٠
* برتلود أف ريخناو ١٣١
* إكهارد أف أورا ١٣٢
* أرتو أف فرايزنج ١٣٣
* هرمان أف التاخ ١٣٦
- قرارات امبراطورية ١٣٧
٢- المصادر الإنجليزية ١٣٩
* القديس جلداس ١٤١
* بيده ١٤٣

* نتيوس ١٤٥
* وليم أف مالمسبوري ١٤٧
* الحوليات الأنجلوسكسونية ١٤٩
* وليم أف نيوبره ١٥٢
* روجر أف هوفدن ١٥٥
* جوسلين أف بريكلوند ١٥٧
* روجر أف وندوفر ١٥٨
* متي الباريسي ١٦٠
* متي أف وستمنستر ١٦٣
* توماس والسنجهام ١٦٤

٣ - المصادر الفرنسية ١٦٧

* فرودورد أو فلودور ١٦٩
* حولية كونتات أنجو ١٧٠
* سوجر أف سانت دنيس ١٧١
* أرنالد اسقف ليمان ١٧٣

الفصل الرابع
المصادر الصليبية ١٧٥

- مقدمة ١٧٧
- خطابات عن الحملة الصليبية الأولى ١٨٠
* لوشيه أف شارتر ١٨٥
* المؤرخ المجهول ١٨٨

* ريموند دأجليز ١٩٠
* رودلف أف كاين ١٩١
* أنا كومنينا ١٩٣
* جيوبرت أف نوجنت ١٩٤
* بالدريك أف دول ١٩٦
* البرت أف أكس ١٩٧
* وليم الصوري ١٩٨
* خطابات الحملة الثانية ٢١٥
* حوليه فرزبورج ٢١٧
* أودو أف ديل ٢١٧
* خطاب إيمري أف ليموج وغيره ٢١٩
* ذيل وليم الصوري ٢٢١
* إرنول ٢٢٣
* هرقل ٢٢٥
* روتلان ٢٢٦
* امبرواز ٢٢٧
* ريتشارد أف ديفيزس ٢٢٨
* جوفري أف فينزوف ٢٣٠
* ريجورد ٢٣٤
* خطاب عن الحملة الألمانية ٢٣٧
* روبرت كلاري ٢٣٨
* جوفري دي فيلهاردوين ٢٤٠
* خطاب من البابا انوسنت الثالث ٢٤٤

* مصدر عن حملتي الصبيان ٢٤٥
* أوليفر أف بادنبورن ٢٤٥
* جاك دي فتري ٢٤٩
* خطاب بطرس أن موتاجو ٢٥١
* فيليب أف البني ٢٥٢
* تاريخ بطاركة القدس وغيرهم ٢٥٤
* قرارات مجلس اللاتيران ٢٥٤
* مآثر القبارصة ٢٥٥
* مجموعة رسائل من الحملة السادسة ٢٥٦
* خطاب وليم شانوتيف ٢٥٩
* جرانفيل ٢٦٠
* خطابات عن الحملة السابقة ٢٦٥
* قرارات مجمع ليون الثاني ١٢٧٤م ٢٦٦
* ليردولف أف سوكيم ٢٦٧

الفصل الخامس

المصادر البيزنطية ٢٦٩

* يوحنا مالالاس ٢٧١
* أجاثياس ٢٧١
* يوحنا الأنطاكي ٢٧٢
* ليوناس ٢٧٣
* صلة ثيوفانس ٢٧٧

* جوزيف جنسيوس ٢٧٨
* يوحنا كامينياتس ٢٧٨
* نيقولا مستيقوس ٢٧٩
* جورج الراهب - موناخوس - همرتولوس ٢٨٠
* سيمون المستشار ٢٨١
* قسطنطين بروفيروجنيتوس ٢٨٢
* ليو الشماس ٢٨٣
* يوحنا سكلتيزس ٢٨٥
* جورج سدرنوس ٢٨٥
* ميخائيل بسلوس ٢٨٦
* نقفور برينيوس ٢٨٧
* ميخائيل أتالياتس ٢٨٩
* يوحنا زوناراس ٢٩٠
* أنا كومنينا ٢٩١
* يوحنا كيناموس ٢٩٣
* نيكتاس خونياتس ٢٩٦
* يوحنا كانتاكوزين ٣٠٢
* ميخائيل كريتوفولس ٣٠٣
* جورج سفرانتزس ٣٠٥
* نيقولا باربارو ٣٠٦

قوائم المصـــادر

* أهم المصادر الأوروبية ٣١١
* مصادر أرمينية وسريانية ٣١٣

الصفحة

* بعض المصادر المتنوعة ٣١٤
* مصادر الحروب الصليبية ٣١٥
* المصادر البيزنطية ٣٢٠
* كتب وأبحاث للمؤلف ٣٣٥



The Four Bronze Horses Of St. Mark's In Venic